الجمهـورية الجزائـرية الديمقـراطية الشـعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة الـتعـلـيـم العـالـي و الـبـحـث العـلـمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

كـلـيـة العـلـوم الإجتـمـاعية
Faculté des Sciences Sociales
قسـم عـلـم الإجـتـماع
Département de sociologie

أطروحـة دكـتوراه علـوم في علم الإجـتـماع

مشروع الهجرة عند الشباب الجزائري

دراسة سوسيولوجية عن الحراقات بإسبانيا و المقبلات بالجزائر

إعـــداد:
كـيـم صبيـحـة

إشـــرف:
أ. العايـدي عبد الكريم

2014/04/10

أعضاء لجنة المناقشة

أ. حـجيـج جـنيـد	أستاذ التعليم العالي	جامعـة وهـران	رئـيـسا
أ. العايدي عبدالكريم	أستاذ التعليم العالي	جامعـة وهـران	مـشـرفـا
أ. بـشيـر محـمـد	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مـنـاقشـا
أ. مـزوار بلـخضـر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مـنـاقشـا
د. مـدني مـحمـد	أستاذ مـحـاضـر	جامعـة USTO	مـنـاقشـا
د. زمـور زين الديـن	أستاذ مـحـاضـر	جامعـة وهـران	مـنـاقشـا

السـنـة الجـامـعية : 2013-2014

شـــكر و تقـــــدير

لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف **"العايدي عبد الكريم"** الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ومساعدته القيمة.

و لا أنسى كل الأشخاص الذين سهلوا علي مهمة إنجاز هذه الأطروحة من قريب أو بعيد، و بالأخص الحراقات اللواتي منحنني الثقة و من خلال هذا العمل أوجه لهن تحية و عرفان على شجاعتهن و مثابرتهن.

الإهـــداء

أهدي هذا المجهود المتواضع الذي أساهم به في حقل المعرفة إلى والدي العزيزين أطال الله في عمرهما و إلى **"ياسين"** الذي منحني السعادة و إلى إخوتي و الأقارب والأصدقاء.

أوجه ذكرى خاصة للمرحوم الأستاذ **"غريد جمال الدين"**.

الفـــهـــرس

- **مـقـدمة عـامـة** 12

I – الإطـار النـظـري 15

1-الإشكالية 15

2-الفرضيات 15

3-أسباب إختيار الموضوع..... 15

4-المجال المكاني و الزماني للبحث 16

II –الإطار الـمنهجي..... 17

1-منهجية الدراسة 17

2-حالات الدراسة 18

3- صعوبات البحث..... 18

القسم الأول : الـهجرية السرية و المجتمع الجزائري بين الماضي و تطورات الحاضر

الفصل الأول : نظريات الهجرة و المقاربة السوسيولوجية للهجرة السرية النسوية

- تمهيد..... 23

I - الهجرة كظاهرة إجتماعية..... 24

II - النظريات الهجرية..... 25

1- النظريات الإقتصادية..... 27

أ- نظرية الإقتصاد الكلاسيكي الجديد..... 27

ب- النظرية المزدوجة لسوق العمل..... 27

ج- نظرية الفوارق الإقتصادية..... 28

د- نظرية إستثمار الرأسمال البشري 32

و- النظرية الاقتصادية الجديدة للهجرة..... 35

هـ- نظرية النظام العالمي..... 37

2- النظريات السوسيولوجية..... 37
أ- نظرية دوافع الجذب و الدفع..... 37
ب-نظرية الشبكات الإجتماعية 40
ج-نظرية السلسلات الهجرية..... 42
3-النظرية السياسية..... 43
III - تداخل النظريات الهجرية..... 46
IV - المقاربة السوسيولوجية للهجرة السرية النسوية..... 51
- خلاصة..... 55

الفصل الثاني : الهجرة السرية في المجتمع الجزائري

- تمهيد 57
I - الهجرة السرية كحراك جديد..... 58
1- بداية الهجرة السرية في المغرب العربي 58
2- الخلفية السياسية للهجرة السرية 59
II - تعريف الهجرة السرية..... 63
1- البعد القانوني..... 63
2- البعد الإجتماعي 66
3- البعد الثقافي..... 70
III - إحصائيات الهجرة السرية في المجتمع الجزائري..... 74
VI - دراسات للهيئات مختلفة حول الهجرة السرية 77
1- تيبولوجيا الحراق..... 78
أ- الجنس 78
ب- السن..... 78
ج- الحالة العائلية 81
د- المستوى الدراسي..... 82
و- المهنة..... 84
2- دوافع الهجرة السرية..... 87

أ- الدافع الإقتصادي 87
ب- الدافع الإجتماعي..... 93
3- إستراتيجية الحراقة..... 96
أ- جمع المعلومات 96
ب- الوسائل المادية..... 96
ج- مناطق الإنطلاق 98
4- شبكة الممررين..... 101
أ- الشبكات الصغيرة..... 101
ب- الشبكات المتوسطة..... 102
ج- الشبكات الحدودية..... 104
V- محاربة السلطات الجزائرية للهجرة السرية..... 105
IV - الجمعيات الجزائرية أمام ظاهرة الهجرة السرية 109
IIV - معالجة الإعلام و الفن الجزائري للهجرة السرية..... 112
- خلاصة 119

الفصل الثالث : الهجرة النسوية الجزائرية و انخراطها في تيار الهجرة السرية

- تمهيد..... 121
I - بروز المرأة في التيار الهجرة..... 122
II - بداية الهجرة النسوية الجزائرية..... 123
III - مراحل الهجرة النسوية الجزائرية..... 125
1-هجرة التجمع العائلي..... 125
2- الهجرة النسوية الفردية..... 131
3-الهجرة النسوية الدولية 136
VI-تيبولوجيا المهاجرة الجزائرية..... 140
1- السن..... 140
2- المستوى الدراسي..... 144
3-مجال عمل المهاجرة في بلدان الإستقبال..... 146

أ- القطاع الخدماتي المنزلي..... 149
ب- القطاع التجاري الدولي..... 153
ج- قطاع المهن ذات المهارات العليا..... 154
V - غياب المرأة عن سياسة الهجرة الجزائرية..... 156
IV- عوائق بروز الهجرة النسوية..... 157
1- ثقافة المجتمع الأصلي..... 157
2-عدم مرئية الهجرة النسوية في المجال العلمي..... 158
IIV - الهجرة النسوية الغير شرعية 162
IIIV- أنثوية الهجرة السرية كظاهرة جديدة في المجتمع الجزائري..... 165
1- ذكورية مصطلح الحرقة..... 167
2-إقتحام الأنثى لظاهرة الحرقة..... 168
XI- بروز الهجرة السرية النسوية من خلال الإحصائيات 170
- خلاصة..... 173

القسم الثاني : المهاجرة السرية بين تحقيق المشروع و إكتساب مكانة جديدة

الفصل الرابع : مشروع الهجرة السرية عند الحراقات حالات الدراسة

- تمهيد..... 176
I - الإستطلاع الميداني..... 177
II - حالات الدراسة..... 188
III -تيبولوجيا الحراقات..... 190
1 - السن 192
2 - المستوى الدراسي..... 194
3 - الحالة المدنية..... 195
4 – منطقة الإقامة..... 196
5- مهنة الحراقات..... 197

III- الأصل الإجتماعي للحراقات..... 198
VI -مشروع الهجرة..... 200
1- مشروع الهجرة الإقتصادي..... 200
2- مشروع الهجرة للهروب..... 206
3-مشروع الهجرة التحرري الإرتقائي..... 211
4 - مشروع الهجرة لأجل الدراسة..... 213
V- تداخل مشاريع الهجرة..... 214
• خلاصة..... 219

الفصل الخامس : إستراتيجية الحراقات و مخاطر الهجرة السرية

• تمهيد..... 221
I - استراتيجية الحراقات..... 222
1- المرحلة الأولى : جمع المعلومات..... 223
2- المرحلة الثانية : الإتصال بشبكة الممررين أو جماعة الحراقة..... 225
3-المرحلة الثالثة : جمع المال..... 225
4- المرحلة الرابعة : إختيار الطريق الهجري السري المناسب..... 228
أ- المسار البحري..... 228
ب-المسار البري..... 229
5- المرحلة الخامسة : الوسائل المستعملة في الحرقة..... 233
II - تفاوض الحراقات مع الذكر في الهجرة السرية..... 237
III –الهجرة السرية الغير معلنة عند الفاعلة..... 242
VI – المعتقد و طقوس الذهاب في الهجرة السرية..... 246
V -دور شبكات الهجرة في إنجاح الحرقة..... 255
1-وظائف شبكات الهجرة السرية 256
2- عامل الثقة في الشبكة..... 259
3- بنية الشبكة..... 259
IV -مخاطر الهجرة السرية..... 264

1-تزايد إحتمال مخاطر الحرقة عند المرأة..... 265
2-المهاجرة السرية أمام العنف الجنسي..... 270
- خلاصة..... 277

الفصل السادس : مكانة الحراقات بين الرقابة الإجتماعية و الإضطهاد

- تمهيد..... 279
I - المكانة الإجتماعية للحراقات كدافع لهجرتها السرية..... 280
II -إرتباط الهجرة السرية بظاهرة الأمهات العازبات..... 287
III -تصور المجتمع حول الحرقات..... 295
1-وصم و تجريم الحراقات..... 295
2- محو و إعادة توظيف الوصم..... 303
IV -الرقابة الإجتماعية..... 305
1-وسائل الرقابة الإجتماعية..... 305
أ- الوسيلة الشفاهية..... 305
ب -وسيلة الفضاء العمومي..... 309
2-أنواع الرقابة الإجتماعية..... 311
أ-الرقابة الجنسية..... 311
ب-الرقابة المؤسستية..... 315
V -الجحود القانوني ضد المرأة..... 316
1-الوضعية القانونية للمطلقة..... 317
2-الوضعية القانونية للأم العازبة..... 319
IV - الإضطهاد و العنف ضد مكانة المرأة..... 322
- خلاصة..... 329

الفصل السابع : الحراقات ما بين القطيعة و الرابطة في بلد الأصل و واقعها المعاش في بلد الإستقبال

- تمهيد..... 331

I -الحراقات ما بين القطيعة و إعادة الرابطة في بلدها الأصلي..... 332

1-المساعدات المادية و إعادة الروابط الأسرية..... 332

2-إسترجاع الحراقة لمكانة جديدة من خلال مؤسسة الزواج..... 339

II -بحث الحراقات عن الإستقلالية الذاتية..... 347

III-واقع المعاش للحراقات في بلد الإستقبال..... 349

1-الحراقات و الجنس كإستراتيجية جندرية..... 349

2-هشاشة وضعية الحراقات في بلد الإستقبال..... 360

3-إستمرارية الفضاء العمراني لبلد الأصل..... 364

- خلاصة..... 370
- **خـاتمة عامة**..... 372
- **المراجـع**..... 378
- **الملاحـق**..... 395

مـــقدمـــة عـــامـــة

- **مقدمة عامـــة**

I – الإطـــار النـــظـــري:

منذ السنوات الأخيرة من القرن الماضي احتل موضوع الهجرة الصدارة في إهتمام الساحة الدولية ويوما بعد يوم صار يعتبر إشكالية استحوذت على الاهتمامات المختلفة وظهرت معها عدة رهانات مست كل الدول في القطاعات المختلفة.

الجزائر تعد ضفة هجرية هامة حيث إعتبرت في فترة إستعمارها من بلدان الهجرة المستقبلة و هذا باستقبال تدفق هام من مختلف البلدان الأوروبية ، ثم بعد ذلك أصبحت بلدا للهجرة الوافدة خاصة نحو إتجاه بلدان الإتحاد الأوروبي. الهجرة الجزائرية نحو هذا الفضاء تحولت منذ سنوات الستينات لظاهرة إجتماعية محضة.

و في الوقت الـراهن ، تقريبـا يعد موضـوع الهجـرة في القـائمـة الأولى للإعــلام و نصب أعين الإعلاميين من خلال معالجة مختلف أبعاده الإجتماعية و الاقتصادية و السياسية و هذا يدل على خطورة إتجاه الهجرة نحو أوروبا.

و في هذا الإطار تعد الهجرة في البداية تعبيرا عن مشروع إقتصادي و الذي تحول فيما بعد إلى مشـروع حياة و ذلك بتدعيم من الجـالية الجزائرية المقيمة بالخارج والتي تحتفظ بنظام علاقات و روابط إنسانية و إقتصادية و ثقافية ، ذات طابع وثيق بالبلد الأصل.

إن الإهتمام الموجه إلى ظاهرة الهجرة و إلى بلدان الإنطلاق عموما و التدفق الهجري نحو الجزائر و الذي يسجل في منظور ديناميكي و من المهم أن نذكر أن مشروع الهجرة قد تعرض إلى العديد من التطورات العميقة من حيث الطبيعة والكثافة و الأهداف و إن فهم ظاهرة الهجرة من خلال النظرة السياسية والإعلامية و العلمية تجري بالتوازن مع التحولات التي خصت هذا التدفق. فكانت الهجرة المؤقتة التي يكمن سببها في الجانب الإقتصادي أما ظاهرة الهجرة الحالية فقد وجدت نفسها في نظام فرض عليها أن تغير بنيتها و إتجاهها و أساليبها و وسائلها و أهدافها.

فغلق الحدود لبلدان الهجرة المستقبلة كفرنسا ، قد ترجم هذا بإنخفاظ في عدد الوافدين لهذه البلدان بطريقة رسمية أو قانونية و أيضا غلق الحدود قد أدى بشكل مباشر إلى إنفجار قوي لتدفق الهجـرة العائلية و الهجـرة السرية ، فإتخـذت ظاهـرة الهجرة السرية موقف صراع و تحدي أمام هذه العوائق.

و ظاهرة الهجرة السرية في المجتمع الجزائري تتميز بخلفية تاريخية فتعرضت إلى العديد من التحولات و هذه الظاهرة كانت مصدر لتقدم متواصل و لإمتدادها الجهوي و الإجتماعي أي انتشارها في معظم مناطق الوطن و اجتماعيا مست كل الفئات على اختلاف أنواعها جنسيا ، ثقافيا ، طبقيا.

أردنا تسليط الضوء على فئة جديدة قد إلتحقت بظاهرة الهجرة السرية هي **فئة الإناث الشابات** فنشهد على حركة أنثوية للتدفق الهجري السري و أصبحت واقعا مفروضا على المجتمع.

وقد صرح l'ONU[1] أن المرأة تمثل الآن حوالي 48 % من نسبة الهجرة في السلم الدولي ، و لا تنحصر في الهجرة الدولية فقط بل تتعدى أيضا إلى هجـرة داخـلية في البلد الأصل ، و هذه الحركة النسوية للهجرة تحمل معها عوامل و نتائج للتحول الإجتماعي و الثقافي في كل من المناطق الأصلية للمهاجرات و المناطق التي تتخذها للإستقرار.

لقد عرفت الهجرة النسوية في الجزائر مراحل عديدة ، في بادئ الأمر كانت تتجسد في مجيء المـرأة للبلدان المستقـبلة في إطار التجـمع العـائلي و بصفتها إمرأة ماكثة في البيت و نادرا ما كانت تهاجر لوحدها و هذا التيار الهجري بدأ في السنوات السبعينات.

1. Falquet Jules, sexe, race, classe et mobilité sur le marché du travail néolibéral : hommes en armes et femmes de services , Conférence Mobilité au féminin, Tanger, 15-19 novembre 2005. www.mmsh.univ-aix .fr/lames/Papers/falquet.pdf

و بعدها أخذ هذا التيار الهجري طابعا جديدا فقد إتسمت هذه الهجرة النسوية بالاستقلالية الاقتصادية و أغلبهن عازبات و في بعض الحالات متزوجات مع أو بدون أطفال[2].

فهنا تشارك المرأة في تشكل نظام جديد للحراك الإجتماعي و ذلك حسب الحاجيات الجديدة التي ولدها سوق العمل و الذي يخضع لنظام العرض و الطلب. هذا التحول يخص بالدرجة الأولى المرأة المغاربية و برز هذا الحراك في أواخر سنوات الثمانينات.

و الذي يدهش اليوم ، هو تنوع الهجرات نحو الدول المتقدمة و إقتحام فاعلين جدد و هن الشابات في المسار الذي يعتقد أن الرجل هو العنصر الأساسي في هذا النوع من الهجرة التي تتطلب من المقبلين عليها قدرة بدنية و طاقة كبيرة لتحمل المصاعب.

و مما ذكر سالفا ، يجب الأخذ بعين الإعتبار العلاقة التي تربط الحراقات بأسرهن و وسطهن الإجتماعي و ببلدهن الأصل و المكانة الإجتماعية التي يتواجدن فيها ، و من خلال هذا تتم ترجمة و فهم المسار الذي إتخذته و تنحصر فئة الشابات في قائمة المهاجرات الغير مرتبطة بالعلاقات القانونية ، الأسرية و هن لا يتركن أي رابطة إجتماعية من خلفهن.

إن إعداد مشروع الهجرة السرية يعد رغبة فردية أو جماعية حيث يكون الهدف هو انطلاقة جديدة لبناء مشروع حياة في البلد المستقبل من خلال الانخراط في التيار الهجري ، فمشاريع الهجرة السرية المشكلة من طرف الشابات تعد في إطار خاص حيث تعطي سمات ظاهرة الهجرة السرية الخاصة بالمجتمع الجزائري.

2.Schmoll Camille, pratiques spatiales transnationales et stratégies de mobilité des commerçantes tunisiennes, Revue Européenne des Migrations Internationales numéro spécial « Femmes, Genre, Migrations et Mobilités », 2005, n=° 21, 1, p 131-154. http://www.phal.archives-ouvertes.fr/docs/00/21/20/17/PDF/**Schmoll**REMI.pdf

1- الإشكالية :

و تعد المقاربة السوسيولوجية لهذه الظاهرة من تساؤل أساسي هو : هل ظاهرة الهجرة السرية تعد من هذا المنظور مقاومة نتيجة للوضعية الإجتماعية التي تعيشها الحراقات و وسيلة لإندماجهن في مجتمع آخر و حياة أفضل ؟

2- الفرضيات:

فارتأينا وضع الفرضيات التي مفادها ، أن الصراع الأسري الذي تعيشه المرأة بسبب مكانتها الجديدة كالمطلقة و الأم العازبة و العانسة ، و الغير مقبولة إجتماعيا ، فالهجرة السرية هي إستراتيجية لإسترجاع مكانة مرموقة كمهاجرة حاملة للوثائق.

الضغط الإجتماعي الذي يمارس على المرأة ، و القيود التي يفرضها المجتمع من خلال الطقوس و الممارسات الثقافية و الرقابة الإجتماعية ، كل هذا يدفع المرأة إلى الهجرة السرية.

وتعد ظاهرة الهجرة السرية كفعل هجري لتحقيق مشاريع حياتية للحراقة ، كالزواج و البحث عن الترقية الإجتماعية و المادية ، التفتح الخارجي الذي تحلم به ، فهذا يعد تطورا تسعى له الشابة.

3-أسباب إختيار الموضوع :

إن إختيار أي بحث سوسيولوجي يخضع بالدرجة الأولى لدوافع ذاتية و أخرى موضوعية.

فمن الأسباب الذاتية هي اهتمام شخصي بظاهرة الهجرة السرية ، و أيضا خوض المرأة ميدان البحث الذي يطغي فيه العنصر الرجالي ، و تحدي شخصي لإختبار قدراتي و مدى تحملها و مواصلتنا في مسيرة العلم.

أما السبب الموضوعي فيتمثل في مواصلة إتمام لدراسة سابقة في إطار نيل شهادة الماجستير تحت عنوان " ظاهرة الحرقة و الشباب " دراسة ميدانية لظاهرة الإقبال على الهجرة السرية بميناء مدينة وهران.

الهدف من البحث هو تحديد العلاقة التي تربط بين الشباب الجزائري و ظاهرة الهجرة السرية و محاولة الإحاطة بمختلف طرق ، و مشاريع الهجرة السرية ومتابعة مختلف مراحل إعداد هذا المشروع من جمع المعلومات ، إستخدام مختلف الوسائل و كشف غاية الحراقات.

و نعتبر أن كل شابة جزائرية إلتحقت بالنظام الهجري السري هدفها هو الجمع ما بين مكان الذهاب و مجموعة من الإستراتيجيات التي تأخذ عدة مساحات ، وهي مجمعة و محققة من خلال ظاهرة الهجرة السرية و أيضا معرفة طبيعة هذا الإختيار و التمثلات و الأحداث ، يعني كل الإحتمالات التي تساهم في وقوع أو تسجيل الشابات في مسار النظام الهجري السري.

و من أجل فهم مشاريع الهجرة السرية الشابات ينبغي عرض إطار الهجرة النسوية الجزائرية من خلال تحليل خصوصياتها و أيضا إبرازها من الجانب السياسي والإقتصادي والإجتماعي و الثقافي في الجزائر.

4-المجال المكاني و الزماني للبحث:

تم مجال البحث في مناطق مختلفة ، حيث إرتأينا مقابلة حالات الدراسة في بلدان الإستقبال ، كفرنسا و إسبانيا و أيضا في بلد الإنطلاق للتمكن من إلتماس الظاهرة من قرب و لكشف الوسائل المستعملة من أجل ذلك و إستجواب المقبلات على الهجرة السرية لمحاولة الإقتراب منهن رغم الصعوبة.

أما عن الفترة الزمنية للدراسة الميدانية و إجراء المقابلات فإستغرقت مدة مطولة ، و على فترات متقطعة من الزمن ، كانت بدايتها من سنة 2009 حتى بداية سنة 2012.

II –الإطـار الــمنهجي:

1- منهجية الدراسة :

إن طبيعة ظاهرة الهجرة السرية في المجتمع الجزائري تفرض علينا الإلمام بجميع الجوانب ، التي تمدنا بمعلومات كثيرة و تساعد على الوصول إلى خلفيات هذه الظاهرة ، لهذا إرتأينا إستعمال المنهج الكيفي ، كمنهج مناسب لمثل هذه الظواهر الإجتماعية و التي نحن بصدد دراستها و المتمثل في دراسة الحالة .

أما عن التقنيات التي إستعنا بها فهي الملاحظة و المقابلة المعمقة (أنظر الملاحق ص 395) و كذلك تقنية تحليل المضمون ، و التي نرى أنها توصلنا إلى فهم الوضعية الإجتماعية للفاعلات و تحديد سلوكهن و ممارستهن ، و هي ضرورية لتحديد إطار التجربة الهجرية عند الحراقات.

بإعتبار أن المنهج هو الذي يحدد التقنية فكانت هذه الأخيرة متمثلة أساسا في إستعمالنا لتقنية المقابلة المعمقة التي تعتبر من أهم الوسائل لجمع المعلومات عن موضوع البحث ، و قد إشتملت على أربعة و عشرين (24) سؤالا منها المغلقة و المفتوحة ، قسمت إلى محاور فالمحور الأول يتعلق بالمعلومات الشخصية حيث من خلاله نستطيع تحديد الإطار الإجتماعي الذي تعيش فيه الحراقات ثم المحور الثاني فكانت الأسئلة تتعلق ببناء مشروع الهجرة السرية والتجربة التي قمن بها.

ثم تطرقنا إلى المحور الثالث و هو تحديد الدوافع المختلفة التي أدت إلى خوض المبحوثة للهجرة السرية.

2- حالات الدراسة:

تتكون عينة البحث من 10 حراڤات من مختلف الأعمار ، لكن من جنس واحد و هو الإناث.

كان من الصعب تكوين عينة البحث و هذا لطبيعة الظاهرة و أيضا لأن المبحوثات لسن متواجدات في إطار رسمي و لا نستطيع أن نعرف أنهن حراڤة إلا بإعترافهن بذلك ، فإختيار المبحوثات بطريقة محددة و هي الكرة الثلجية كانت مفروضة علي و هذا للإستفادة أكثر من المعلومات التي كنا نتحصل عليها من خلال المقابلات.

لقد تمت مقابلاتي بالحراڤات في أماكن عامة ، فالجزء الأول من العينة كان بأليكانت (إسبانيا) و أكس بروفانس (فرنسا) و الجزء الثاني كان بمناطق مختلفة من الجهة الغربية للجزائر (ولاية وهران، تلمسان، عين تموشنت). قد تم إستخدامنا لمرشدين مختلفين من أجل التعرف على الحراقات و مقابلتهن.

في نفس الفترة كنا نتردد على مديرية الأمن بولاية تلمسان ، لجمع مختلف الإحصائيات المتعلقة بالهجرة السرية و أخذ مختلف التصريحات من المسئولين عن هذه الظاهرة.

3- صعوبات البحث:

إن أي عمل علمي مهما كان نوعه و مهما كانت درجته لا يخلو من الصعوبات التي تعترض طريق الباحث و الباحثة في مختلف مراحله و إنما يجتهد لينجز البحث على أحسن وجه بقدر الإستطاعة.

و يمكن حصر الصعوبات التي إعترضتنا في دراسة هذا الموضوع في النقاط الآتية:

1- نقص المراجع و صعوبة الوصول إلى الموجود منها في داخل الوطن وخارجه.

2- صعوبة الإقتراب من مكان حدوث ظاهرة الهجرة السرية لإختلاف مناطق إقامة حالات الدراسة .

3- صعوبة التقرب من حالات الدراسة لأن طبيعة الظاهرة توجب العمل في خفاء تام.

4- صعوبة جوهرية تكمن في التوجه للبحث في ظاهرة الهجرة السرية وتحديدها لأنها محاطة بظروف صعبة و كثيرة التعقيد.

ينقسم هذا البحث إلى قسمين ، القسم الأول تحت عنوان الهجرية السرية و المجتمع الجزائري بين الماضي و تطورات الحاضر ، و الذي بدوره يتفرع إلى ثلاثة فصول وهي كالآتي :

- الفصل الأول بعنوان النظريات الهجرية و المقاربة التفسيرية للهجرة السرية النسوية ، يحتوي على مختلف النظريات التي عالجت الظاهرة الهجرية والتي من خلالها نستطيع وضع مقاربة سوسيولوجية لظاهرة الهجرة السرية النسوية.
- الفصل الثاني بعنوان الهجرة السرية في المجتمع الجزائري ، الذي عالجنا فيه ظهور و تطورات الهجرة السرية في المجتمع الجزائري.

- الفصل الثالث الهجرة النسوية الجزائرية و انخراطها في التيار الهجرة السري ، إرتأينا منه من الضروري إظهار سمات الهجرة النسوية الجزائرية ودوافع تطورها وبداية إنخراط المرأة في الهجرة السرية.

أما القسم الثاني تحت عنوان المهاجرة السرية بين تحقيق المشروع و إكتساب مكانة جديدة و الذي يحتوي على أربع فصول و هي كما يلي:

- الفصل الرابع بعنوان مشروع الهجرة السرية عند الحراقات حالات الدراسة و الذي عالجنا فيها مختلف المشاريع الهجرة التي تحملها حالات الدراسة والتي تسعى لتحقيقها.

- الفصل الخامس المعنون بـإستراتيجية الحراقات و مخاطر الهجرة السرية ، من خلال الدراسة الميدانية حاولنا جمع المعلومات التي تتعلق بمراحل بناء مشروع الهجرة و الإستراتيجيات المختلفة و مدى تعرض الفاعلات للخطر في هذا النوع من الهجرة.

- الفصل السادس بعنوان مكانة الحراقات بين الرقابة الإجتماعية والإضطهاد ، حاولنا تبيين العلاقة الموجود لكل من مكانة الحراقات في مجتمعها الأصل وتأثير هذا الأخير كدافع للهجرة السرية و أيضا ضغط الرقابة الإجتماعية والإضهاد الذي تتعرض له الحراقات في وسطها الإجتماعي.

- الفصل السابع بعنوان الحراقات ما بين القطيعة و الرابطة في بلد الأصل وواقعها المعاش في بلد الإستقبال ، حاولنا في هذا الفصل إظهار طرق إسترجاع الحراقات للرابطة الإجتماعية في بلد الأصل و ظروف المعاش الحقيقية التي تواجهها في بلد الإستقبال.

القسم الأول

الهجرة السرية و المجتمع الجزائري
بين الماضي و تطورات الحاضر

الفصل الأول

نظريات الهجرة و المقاربة

السوسيولوجية للهجرة السرية النسوية

- **تمهيد**

من خلال هذا الفصل، لا نريد إظهار هذه النظريات الهجرية، بتفسيرها لإطار العام و الشامل للظاهرة الهجرة بأكملها، أي ترتكز على الحراك الهجري فقط، بل نحن بصدد تفسير الهجرة السرية من حيث الجنس، وتركيزنا على المجال الإقتصادي و السوسيولوجي و حتى السياسي.

فحاولنا جمع هذه النظريات التي تساعدنا على فهم هذه الظاهرة المركبة لإعتمادها على مجموعة من العوامل و ليس على عامل واحد، و إيجادنا المقاربة السوسيولوجية المناسبة التي تفسر ظاهرة الهجرة السرية النسوية.

I -الهجرة كظاهرة إجتماعية :

الهجرة ظاهرة إجتماعية عادية، هذه النظرة الجديدة لظاهرة الهجرة فهي تعد عادية و طبيعية و تبقى آثارها مثل تواجد الولادات و الوفيات، من خلال هذه الهجرة تتكون مجموعة من السلوكات للتنقل الحدودي و أيضا تقلب موازين الدول وسيادتها و إنتشار الفرد المهاجر كفاعل في العلاقات الدولية تسجيل للبصمة الظاهرة الهجرية من خلال **الحدث الإجتماعي اليومي**[3].

الهجرة في حد ذاتها هي حاملة للتغيير في كل من سوق العمل و ايضا في التنوع و إمتزاج الثقافي و إزدواجية الجنسية (البلد الأصل، البلد الإقامة).

الهجرة الدولية هي من أحد أهم عوامل التغيير في العالم الذي نعيش فيه. و هي ايضا نتيجة حيث انها تحافظ على العلاقة المعقدة لتحول المجتمعات و الإقتصاد وتباعد المسافات اكثر فأكثر و قد كانت هذه الهجرة جزءا من التطور الإقتصادي والسياسي و محرك لعملية التغيير في مجتمعات الإنطلاق و الإستقبال.

و هذه الظاهرة كانت موجودة في اوروبا نهاية القرن التاسع عشر و النصف الأول من القرن العشرين اما عن المنطقة الجنوبية و اوروبا الشرقية فهو جديد فقد نجم عنه اليوم حراك مهم.

في بداية القرن الواحد و العشرين التدفق الهجري اصبح عالمي تقريبا كل دول العالم تتعلق بظاهرة من قريب او بعيد و اذا كان بالنسبة للإنطلاق أو الإستقبال أو العبور transit و بعض الدول تكون الأولى و الثانية يعني (الإنطلاق و الإستقبال في نفس الوقت).

3. Badie Bertrand, Brauman Rony, Decaux Emmanuel, Devin Guillaume, Wihtol de Wenden Catherine, *Pour un autre regard sur les migrations, construire une gouvernance mondiale*, Editions la Découverte, Paris, 2008, p 19-20.

ظاهرة الهجرة اليوم هي كلية Global [4] نتيجة لتداخل العوامل التي تمت خلال العشرين سنة الماضية. و تقدر فئة النساء في الحراك الهجري تقريبا النصف 49,6% و هي تفوق نسبة فئة الرجال منذ سنة 1990 و تقدر نسبة 54% من المهاجرين الذين يعيشون في الدول المتقدمة و اصلهم من الدول في طريق التطور (الدول النامية ، دول العالم الثالث).

II - نظريات الهجرة :

حاولنا إتباع تصنيف النظريات الهجرية حسب المجالات المختلفة، و من أهمها المجال الإقتصادي و السوسيولوجي و السياسي، و كل مجال يعتمد على تفسير معين الذي يبين أهم دوافع الهجرة الدولية، و التي ترتبط بشكل مباشر بدوافع الهجرة السرية النسوية التي نحن بصدد دراستها ، فالجدول التالي يبين مختلف النظريات الهجرية و إرتباطها بنوعية الهجرة.

4. Ibid, p 20.

جدول رقم 01 : يبين مختلف النظريات الهجرة و مجالاتها[5]

النظريات		أسماء الباحثين	نوع الهجرة	مستوى و وحدة التحليل
إقتصادية	الكلاسيكي	أريس و تدارو **Harris et Todaro**	الداخلية والدولية	ماكرو مجتمع أو دولة
	الإقتصاد الجديد للهجرات	ستارك و تيلور **Stark et Taylor**	الداخلية والدولية	ميكرو العائلة
	إزدواجية سوق العمل	بيور **Piore**	الدولية	ماكرو مجتمع أو دولة
	النظام العالمي	ولارستان **Wallerstein**	الدولية	ماكرو دولة
السوسيولوجية	الطرد و الجدب	لي **Lee**	الداخلية والدولية	ميكرو ماكرو الفرد
	الشبكات	ماسيه و الآخرون **Massey et al**	الداخلية والدولية	ميكرو الفرد / العائلة
	السلسلات الهجرية	مختلف الباحثين	الدولية	ميكرو ماكرو الفرد / العائلة
السياسية	المقاربة النظرية	زولبرق **Zolberg**	الدولية	ماكرو ميكرو الدولة في علاقتها بالفرد

5.Ambrosetti Elena, Tattolo Giovanna, « Le rôle des facteurs culturels dans les théories des migrations », 2008, p 4. *www.erudit.org/livre/aidelf/2008/001490co.pdf*

1-النظريات الإقتصادية :

إن التفسيرات التي إنبثقت من رصد ظاهرة الهجرة و تطوراتها المختلفة، أخذت إنتباه العلماء في شتى المجالات و التخصصات مما جعلهم يقدمون هذه النظريات و التفسيرات المتعددة و خاصة التفسير الإقتصادي .

أ- نظرية الإقتصاد الكلاسيكي الجديد:

إن التفسير الكلاسيكي الجديد الذي يعتمد في تفسيره على الإقتصاد المزدوج، القطاع التقليدي الذي يعتمد على المورد الزراعي أما القطاع المتقدم الذي يعتمد على عمالة المهاجرة و المحافظة على تدني الأجور فتعتبر الهجرة جانب من الإستثمار الرخيص.

و أيضا نلمس جانبا آخر، أن الهجرة تنتج عن قرارات فردية يتخذها ممثلون راشدون يسعون إلى تحسين حالتهم بالتنقل إلى مكان آخر، بمعدل يكفي لتعويض التكاليف الملموسة و غير الملموسة المترتبة عن التنقل.

و النقد الذي يوجه للنظرية الكلاسيكية الجديدة، هو أن الهجرة عبارة عن فعل فردي و تلقائي و تطوعي يقوم على المقارنة بين الوضع الحالي للفاعل، فالحقيقة أن التفاوت الإقتصادي عامل هام بلاشك و لكنه غير كاف على الإطلاق لإنسياب الهجرة، فإذا كان إنسياب الهجرة بين الدول يسير وفق قواعد النظرية الكلاسيكية الجديدة، فإن عدد المهاجرين الدوليين ينبغي أن يكون أضعاف العدد المحصل في الواقع.

ب- النظرية المزدوجة لسوق العمل :

النظرية المزدوجة لسوق العمل الـتي وضـعها ميشل بيور[6] ، فترجع أن الهجرة الدولية إلى الطلب الدائم للعمالة الأجنبية الذي ينبع من بعض الخصائص الذاتية للمجتمعات الصناعية المتقدمة التي تؤدي إلى تجزئة أسواق عملها (تقسيم الإقتصاد إلى قطاع أولي رأسمالي مكثف و قطاع ثانوي ذي عمالة مكثفة ومنخفضة الإنتاجية).

6. جواكين آرنجو، "تفسير الهجرة : المداخل المفاهيمية و النظرية"، الهجرة الدولية عام 2000، **المجلة الدولية للعلوم الإجتماعية**، مركز المطبوعات اليونسكو ، القاهرة ، العدد 165 ، سبتمبر 2000 ، ص 66.

و لعدد من الأسباب تطلب الدول المتقدمة في إقتصادياتها إلى درجة كبيرة عمالا أجانب لشغل الوظائف التي يرفض العمال الوطنيون القيام بها و سبب هذا الرفض أن هذه الوظائف متدنية في الأجر و غير مستقرة و لا تتطلب مهارة وعلى جانب من الخطورة المهنية و غير محترمة و مثل هذه الوظائف تمنح وضعا هابطا و مركزا متدنيا.

النقد الموجه ، إن حركات الهجرة الآن لا تبدو ناتجة بصفة أولية عن عمليات حشد العمالة و خاصة في الدول المتقدمة اقتصاديا التي تعنيها النظرية مثل شمال أمريكا و غرب أوروبا و في الدول الصناعية المتقدمة يأتي معظم المهاجرين بمبادرة منهم ، و ليس بالضرورة لشغل وظائف قائمة من قبل ففي حالات كثيرة الوظائف لم تكن لتقوم لولا حضورهم المسبق.

من خلال ما ذكر سابقا ، يتبين لنا أن هذه النظريات لا تهدف إلى تفسير الهجرة من حيث النوع أي تكون دائمة أو مؤقتة ، شرعية أو غير شرعية بل هو تفسير عام شامل للظاهرة بأكملها أي ترتكز على الحراك الهجري و لكن بدراستنا للإقبال على الهجرة السرية و هذه تعتمد على الناحية الإقتصادية و الإجتماعية والنفسية بدون مراعاة الإطار القانوني و إجتناب المخاطر.

فحاولنا جمع هذه النظريات التي تساعدنا على فهم جزء أو جانب من الهجرة السرية و بما أن هذه الأخيرة لها أسباب إقتصادية فهي تعتبر إسقاطا لهذه التفسيرات على ظاهرة الهجرة السرية.

ج- نظرية الفوارق الإقتصادية :

فهذه النظرية تعتمد على التطور الغير متساوي ما بين الدول مثل جنوب أوروبا وشمال إفريقيا و هو أساس الهجرة. وحسب هذه المقاربة ان الرأسمال capital هو الذي يحدد أغلبية الحراك و ديناميكية النظام الهجري.
الهجرة الدولية تنمو في الدول المجاورة للدول المتقدمة ، و مما يسهل هذه الهجرة هو العلاقة التاريخية التي تربط هذه الدول (كالإستعمار) و الثقافة (إكتساب اللغة) و حتى ايدولوجيا ، اكثر من تطور وسائل النقل أو القرب الجغرافي و حتى الإتصال.

إن فرق الدخل الفردي ما بين الدول الغنية و الأقل غنى هو مشجع للهجرة السرية حيث أن في سنة 1981 le PIB [7] للساكن كان 8.655 ألف دولار في فرنسا مقابل 1.395 ألف دولار في تونس و في سنة 1990 الفارق قد تزايد أكثر حيث قدر بـ 19.490 ألف دولار و 3.979 ألف دولار[8].

و عندما نعلم أن فارق الدخل عندما يكون أكثر ضعفا من هذا يكفي أن يضاعف تواصل التدفقات ما بين الدول المجاورة و من البديهي أن ضخامة الفوارق الديموغرافية و الإقتصادية ما بين دول العمل و دول العالم الثالث و المشاكل النقدية (العملة الصعبة)، كل هذا يزيد في تقوية الضغط نحو الإنطلاق و ينمي أكثر قدرة الهجرة السرية.

عامل إختلاف الأجر بين الدول الغنية و الفقيرة هذا الإختلاف يوجد حتى في مناطق البلد الواحد مثل ما بين شمال و جنوب منطقة البحر الأبيض المتوسط.

تعتبر Carbajal Mendoza[9] أن هذه المقاربة تحتاج إلى تداخل و توازن ما بين دول الإنطلاق و الإستقبال و ذلك في النظام الهجري و هذا في المؤهلات المهاجر الذي يبحث عن العمل و لكن في الواقع لاحظت أن الهجرة ما بين كل من الجزائر وفرنسا، لا يوجد هذا التساوي في المؤهلات بل يعاني المهاجرون من تخفيض للمستوى التعليمي (الشهادة)، فيعملون في مجالات أقل درجة من مستواهم الحقيقي ، فالدافع الحصول على العمل يعني الإقامة في بلد الإستقبال، فمجمل المهاجرين بالنسبة إليهم الحصول على عمل دائم يعني ارتفاع الأجر (إرتفاع الأجر بالنسبة للأجر في بلد الأصل) و أيضا استمرارية دخل ثابت.

7. le PIB : le produit intérieur brut .

8. Gildas Simon, *Géodynamique des migrations internationales dans le monde, Presse Universitaire de France*, 1er édition, 1995, p 189.

9.Mendoza Myrian Carbajal, « Actrices de l'ombre, la réappropriation identitaire des femmes latino américaines sans papiers », **Thèse de doctorat**, Faculté des Lettres de l'Université de Fribourg (Suisse), 2004, p 18.

ففي هذا الإطار البحث عن عمل يمثل الحماية الإقتصادية فيتحول إلى عامل قوى في الدفع الى الهجرة أكثر من الفارق في الأجر ما بين الدول. و تؤكد مستعملة مقولة الباحث Ghosh Bimal [10] أن البطالة و الفقر تشارك مع عدم الكفاية للطلب اليد العاملة في دول الأصل و الذي يبقي الدافع الإقتصادي كسبب الرئيسي ومهيمن في الهجرة الغير شرعية.

إن الهجرات السرية لم تكن لتأخذ هذه الضخامة في العالم حاليا لو لم تكن هناك عوامل للجذب و نداء البيوت المهنية[11] les niches professionnelle مستعدة لإستقبال المهاجرين السريين في بلدان العمل.

ظهور مناطق جديدة تستوعب تشغيل اليد العاملة للهجرة السرية و ظهور شبكات في أوروبا من مناطق شرق أوروبا و جنوب آسيا و الشرق الأقصى تبين عالمية حراك هذه الهجرة السرية و ذلك بفضل وجود البيوت المهنية.

تدرج هذه النظرية عامل آخر و هو حاجة الإقتصاد الباطني للبلدان الغنية لليد العاملة الرخيصة، لهذا يتألف الكثير من تدفقات الهجرة الدولية بصفة غالبة من مهاجرين الغير شرعيين و في بعض الحالات تسمح الدول ضمنيا بمثل هذه الهجرة ، حيث أنها تتيح الفرصة أمام تعبئة الأيدي العاملة ، إستجابة لطلبات أرباب العمل تفاديا لتكاليف إجتماعية أو إجراءات لحماية المهاجرين.

يوجد علاقة متينة بين اليد العاملة و النشاط الإقتصادي بحيث عندما يظهر النشاط تظهر الحاجة إلى يد عاملة و كلما إتسع النشاط، كلما إزدادت الحاجة إلى اليد العاملة و تنوع النشاط يفرض تنوع في اليد العاملة، هذا هو الواقع في البلدان الأوروبية مع التشغيل الدائم للأجانب في مجال الأعمال الشاقة و الوسخة و هو المعروف بإقتصاد البنية التحتية التي تتطلب يدا عاملة غير مختصة.

10. Ghosh, Bimal.. *Huddled Masses and Uncertain Shores: Insights into Irregular Migration*, The Hague: Martinus Nijhoff Publishers, 1998, In Monnier Laurent , note de lecture , **Revue européenne de migrations internationales** , 1998 , Volume 14, Numéro 14-3, p 229.
http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/remi_0765-0752_1998_num_14_3_1655_t1_0228_0000_3
11. Gildas Simon, op cit, p 190.

وفي المقابل الدول النامية (العالم الثالث) تعاني من تقلص في فرص العمل بسبب إنتقال العمل في الأرض و النزوح الريفي الى المدن الكبرى فيؤدي هذا الى تضخم في طلب فرص العمل في هذه المناطق مسببا البطالة و إرتفاع عدد العمال في القطاع الغير رسمي و قبول الوظائف ذات الأجر الضعيف في قطاع الخدمات وقطاع الزراعة.

إن تشغيل العمال الغير معلن عنهم (الغير رسميين) في بعض المجالات الإقتصادية هي خاصية موحدة تقريبا في كل بلدان الهجرة الوافدة، من أجل جني محاصيل الخضر و الفواكه في الأندلس (إسبانيا) ، و المستثمرين الزراعيين لا يترددون في إستخدام المهاجرين السريين كعمال موسميين في مجال البناء، الصناعة (الملابس في فرنسا، الأحذية في إسبانيا، إلكترونيك في إيطاليا) و المطاعم والفنادق في كل أوروبا المتوسطية (المحاذية للبحر الأبيض المتوسط) و في سويسرا و الولايات المتحدة الأمريكية يستفيدون من خدمات المهاجرين السريين الدائمين.

و اللجوء إلى المهاجرين الغير شرعيين هو محرك هام في مجال العمل الإقتصادي الباطني الذي يعد ثقله في المنتوج الداخلي الخام le PIB بحيث يسجل قيمة لا يستهان بها : 12% في متوسط أوروبا الغربية و 20% في إسبانيا و 30% في إيطاليا.

و في فرنسا قيمة الصفقات لمعاملات الغير شرعية مقدر من طرف المعهد الوطني للإحصاء الإقتصاد الأوروبي l'INSEE [12] بـ 63 مليار فرنك في سنة 1988 ما يعادل 04,1% من المنتوج الداخلي الخام le PIB و نشير أيضا أن مشاركة اليد العاملة الوطنية في العمل الأسود أو الغير رسمي هي أكثر توسعا مقارنة بالمهاجرين حيث يوجد في إيطاليا من 5 خمسة ملايين إلى 6 ستة ملايين مواطن يعمل بطريقة غير شرعية مقابل 500.000 ألف أجنبي.

12. Ibid, p 190.

إن تطـور هذا النوع من الإقتـصاد الباطني هو مترجم عادة كإجابة عن جمـود وصرامة النظام الإقتصادي و الإجتماعي في البلدان الرأسمالية.

لكن نظرا للضخامة المتزايدة للعمل الغير شرعي (العمل الأسود) نستطيع أيضا أن نترجمه على أنه تأقلم مع الأزمة الإقتصادية و هذا ما يفسر مواصلة و تطور هذا الحراك للهجرة السرية منذ سنة 1974[13].

إن هاجس المستخدمين في المجال الإقتصادي هو تخفيف الأعباء (واجبات، ضرائب، ضمان الإجتماعي...) و سعر المواد الأولية المناسبة و اليد العاملة الأجنبية الرخيصة و تحقيق هذا أصبح صعبا في أجواء سياسة الهجرة المتبعة في الدول المتطورة التي لا ترغب في الهجرة الوافدة، بإستقبال أعداد كبيرة للمهاجرين و لهذا صار المستخدم هو الذي ينقل رأسماله أي بناء مصانع في دول العالم الثالث فيتم تشغيل يد عاملة محلية.

ما دام هناك تواجد لإقتصاد منغمر لمنح عمل غير رسمي في بلدان الهجرة الوافدة، فإن التنظيم الحالي للهجرات السرية يعتمد على وظيفة الشبكات الهجرية المؤسسة في أوروبا و علاقة القرابة أو الجيران لنفس العرق أو الديانة تجد لها صدى في التنظيم و في عمل القنوات السرية للهجرة الدولية. فتبقى هذه النظرية محدودة في تفسيرها للنظام الهجري أمام حالة الهجرة النسوية من أجل البحث عن الزوج في منطقة أخرى أو مجتمع آخر لكبر سنها أو الهجرة من أجل الهروب من الضغوط الإجتماعية.

د- نظرية إستثمار الرأسمال البشري:

يبين Sjaastad [14] أن الهجرة تشكل نوعا من الإستثمار في رأس المال البشري بقدر ما تعنيه من إستهداف بعض التكاليف للحصول على مقابل أعلى من العمل.

13. Ibid, p 191.

14. جواكين آرنجو، **المجلة الدولية للعلوم الإجتماعية** ، مرجع ذكر سابقا ، ص 64.

فمن النتائج التي تم التوصل إليها من خلال دراستنا[15]، أن رغم ممارسة بعض المبحوثين لنشاط غير ثابت فهم يتذمرون من وضعهم هذا، فيرون أنهم في وضعية لا يستحقونها بل هم مستغلون من طرف المستخدمين لهم و أنهم لا يستطيعون أن يبنوا بما يحصلون عليه من مال المستقبل الذي يطمحون إليه أما الفئة الباقية التي ليس لها نشاط، و هي غير متحمسة للبحث عن عمل و هذا بإعتبار أنهم لا يتصورون أن يحظوا بعمل يرضيهم و يحقق أحلامهم، فيركزون إهتمامهم في السعي للهجرة السرية تحت دعاية البطالة المتفشية في بلادنا وإمكانية الحصول على عمل في الخارج بمساعدة شبكات الهجرة و قناعتهم الشديدة بأن ما يحصلون عليه من أجر في بلد المهجر سيحقق لهم ما يصبون إليه من رخاء عيش ومساعدة العائلة في البلد الأصل.

فالهجرة السرية تصبح فعل يقوم على المقارنة بين الوضع الحالي للفاعل و الربح الصافي المتوقع من التنقل و ينتج عن التكلفة و الربح.

أما Schultz Theodore William[16] يضع مفهوما للإستثمار في رأس المال البشري إسهاما كبيرا في مجال الاقتصاد، حيث أشار إلى ضرورة إعتبار مهارات ومعرفة الفرد شكل من أشكال رأس المال الذي يمكن الاستثمار فيه. و لهذا من خلال دراستنا للإقبال على الهجرة السرية، توصلنا أن بعض حالات الدراسة، كان لديهم عمل أو دخل مادي ، لكن يردن إستثمار جهدهن و خبرتهن في بلد أوروبي، للحصول على زيادة مما سيجمعنه من عملهن .

و ترى Mendoza Myrian Carbajal [17] ما تحمله الفاعلة (المهاجرة السرية) في جوفها من تجربة في الحياة un certain bagage و الذي يتمثل في مجموعة من السلوكات المختلفة للمعرفة الحياتية و التأقلم مع الوضعيات المفاجأة débrouillardise و مؤهلات فردية compétences هو عبارة عن رأسمال بشري و التي تستعملها عند الحاجة والتي تعدلها و تجددها حسب الحالات التي تتعرض لها و ذلك لمواجهة و الخروج من الأوضاع المعقدة و الصعبة و ايضا للخروج من الوضعية للهجرة السرية.

15. كيم صبيحة ، "الحرقة و الشباب "، دراسة ميدانية للمقبلين على الهجرة بميناء مدينة وهران ، مذكرة ماجستير ، جامعة وهران ، ماي 2006 ، ص 144.

16. حسن راوية ، *مدخل استراتيجي لتخطيط و تنمية الموارد البشرية* ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، 2002 ، ص65 -69.

17. Mendoza Myrian Carbajal, op cit , p 20.

فبالنسبة لما ذكر سابقا، إن المستوى الدراسي و المؤهل غير كافي لضمان للمهاجر السري أن يجد عملا و ينجح في تحقيق الأهداف المسطرة في مشروع الهجرة. فالقفوزية كرأسمال هي ضرورية في مثل هذا النوع من الهجرة والمعلومات اللازمة التي تساعد لإجتياز الصعوبات التي يواجهها الفاعلون.

رغم المعلومات التي يتحصلن عليها حراقات الدراسة ، ففي أغلب الحالات تتعلق عن الوضعية الغير شرعية ، فرص العمل المتواجدة في قطاع الخدمات مثل منظفة، الأجر مرتفع بالنسبة لبلد الأصل). أمام هذا التصور يبقى مفهوم الإقامة الغير الشرعية في بلد الإستقبال غير واضح بالنسبة للفاعلة فهي لا تستطيع إدراك والتحكم في مدة الكافية لإيجاد عمل، عن قيمة الأجر الحقيقي و مقارنته مع الأجر الذي ستتحصل عليه في مجال العمل الغير شرعي، المدة التي سيتم فيها تسديد الديون (تكاليف مشروع الهجرة السرية) و الصعوبات التي تتلقاها إذا لم تحصل على وثائق رسمية (تسوية وضعية).

يقول Ghosh Bimal [18] أن المعلومات التي تنتقل من الإشهار المخادع فهي معلومات خاطئة و تؤدي إلى خلق و انتظار أشياء غير واقعية بالنسبة لفرص العمل الموجودة و شروط الحياة في دول الإستقبال.

فيجب أخذ بعين الإعتبار صورة "الأسطورة" le mythe de l'eldorado و هو الوهم الهجري المحشو بالخيال و الذي يثير بدون مقاومة الرغبة في الهجرة. فالشباب في الحقيقة هم متأثرون بالحياة الإستهلاكية و طرق الحياة في العموم تتسم بالإغراء والرفاهية، التي تنتقل ما بين الأفراد في المجتمع و من خلال وسائل إعلامية، كالقنوات الفضائية و الأنترنيت.

فرجوع المهاجرين إلى بلدهم الأصل من فترة الى فترة و بطريقة مكثفة و هذا بفضل تطور وسائل التنقل، هو فرصة للتباهي و عرض مختلف المشاهد على المسرح الإجتماعي. مما يؤدي إلى إثارة الشباب و التي تدفعهم الى مغادرة دولهم و هذا بسبب سلوكات المهاجرين المتباهين.

18. Ghosh Bimal, op cit, p 120 .

فيؤكد مبروك مهدي[19] على أهمية الثقافة الهجرية la culture de la migration، والإجراء الثقافي الذي يعمل على وفرة تلك الثقافة و تأثرها بالوسط الإجتماعي le milieu social. الثقافة تلعب دورا أساسيا حيث أن الهجرة تغير دوما في النظام القيمي le système de valeurs لجماعة الإنطلاق الهجري. و هذا من خلال التطور الملحوظ للوسائل التكنولوجيا السمعية البصرية و التي تكتسح الملايين من الشباب من خلال الصور الأكثر سحرا عن طريقة الحياة في أوروبا أو في الدول الأخرى المتقدمة.

هذه المقاربة لا تستطيع أن تتوقف على العامل الفردي في الهجرة السرية، فتلعب الأسر دورا هاما في قرار الهجرة، و أيضا مساعدة الحراقات لعائلاتهم من أجل تحسين وضعيتهم في بلد الأصل يعطي للهجرة السرية خاصية الإستراتيجية العائلية.

هـ- نظرية إقتصاديات الجديدة للهجرة :

ترتكز هذه النظرية على أن الفاعل الذي يسعى إلى تعزيز المنفعة هو الأسرة أو المنزل ، أكثر منه المهاجر بمفرده، فالهجرة هي إستراتيجية أسرية تتوافق مع تنويع مصادر الدخل أكثر منها مع تحقيق أقصى دخل و ذلك للتقليل من المخاطر مثل البطالة و فقدان الدخل و عجز المحصول و الخروج أو الإفلات من المعاناة. من هذا يمكن إستنتاج أنه كلما قلت العدالة في توزيع الدخل في مجتمع ما إزداد الإحساس العميق بالحرمان النسبي (فهي تعيد إتخاذ الفكرة القديمة للحرمان النسبي ستارك و تايلور 1989 [20] و بذلك تزداد الحوافز لحدوث مزيد من الهجرة.

فتشرح Mendoza Myrian Carbajal [21] أن الأسرة هي المحرك الأساسي لقرار الهجرة. فالقرار الهجرة تحدده الأسرة لأجل حمايتها من مختلف المخاطر التي يمكن التعرض لها و لدخلها و لملكيتها و أيضا من الإضطرابات التي يعيشها سوق العمل . فإرسال أحد افراد العائلة أو أكثر كعمال في سوق العمل الأوروبي فهو طريقة لتفادي هذه الأخطار و التصدي لها ، بتعدد مصادر الدخل.

19. Mabrouk Mehdi, *Voiles et sel, culture, foyers et organisation de la migration clandestine en Tunisie*, les Éditions Sahar, 2010, p 28 .

20 . جواكين آرنجو ، **المجلة الدولية للعلوم الإجتماعية** ، مرجع ذكر سابقا ، ص 65 .

21. Mendoza Myrian Carbajal, op cit , p 21.

إن تخفيض بعض الحكومات حجم القطاع العام و هو قطاع التوظيف السائد و ذلك من خلال الإحالة على التقاعد المسبق، وضغط النفقات، و ما شابه ذلك و كما أن القطاع الخاص سار على نفس الدرب. فنتج عن ذلك أن الكثير من الأسر قد فقدت وظائفها و إنضمت إلى صفوف الشباب العاطل. كما أن إلغاء دعم الخدمات الإجتماعية أسفر عن تدهور المستويات المعيشية للأسر تأثيرا حادا.

نستخلص أن الهجرة تعد حلا هاما للأسر لمواجهة الفقر و الظروف المعيشية القاسية ، لذلك يهاجر أحد أفرادها إلى دولة أخرى بحثا عن عمل ما لمساعدة الأسرة بأجره (مهما كان العمل أو قيمة أجره). فمساعدة المهاجر لأسرته من الناحية الإقتصادية للمساهمة في رفع مستواهم المعيشي و لضمان مستوى تعليمي أفضل لإخوتهم.

أما في حالة المرأة المتزوجة هي التي تأخذ قرار الهجرة لأنها مسؤولة عن العائلة "ربة البيت"[22] فهي حقيقة تعيشها المرأة في مختلف المجتمعات. فهذه المسؤولية ترغمهن على ترك اطفالهن عند آبائهن أو أعضاء الأسرة للتكفل بهم في المرحلة الأولى من الهجرة ثم تقوم بعد أشهر أو أكثر من ذلك بإرسالهم الى بلد الإستقبال. وفي بعض الحالات تفضل أن تضع حملها في بلد الهجرة من أجل الحصول على الوثائق مثل حالة الأمهات العازبات. (هذا ما سنتعرض له في الفصول الأخرى)

الفاعلة في المشروع الهجري العائلي أو الأسري عليها إرسال المال بإستمرار بطريقة منتظمة فهو يعد مصدر من مصادر الدخل للعائلة ، إن لم يكن المصدر الوحيد في بعض الحالات ، ففي هذه الحالة تعتبر الفاعلة أن الهجرة السرية لا تمثل تعدد مصادر الدخل بل بالعكس تعتبرها المصدر الوحيد للدخل l'unique source وواجب أخلاقي une obligation morale للتأكيد عن حسن سلوك الفاعلة[23].

22. Ibid, p 21.
23. Ibid, p 21.

و- نظرية النظام العالمي :

فتشير Mendoza Myrian Carbajal[24] في كتابه على أن نظرية النظام العالمي تعتمد في تحليلها على نظام هجري متبادل مع دولتين او اكثر فيتم تبادل المهاجرين ما بين الدولتين فهذه العلاقة او الديناميكية الهجرة تفهم من خلال العلاقة التاريخية والثقافية و السياسية و اقتصادية ما بين الدول التابعة لهذا النظام و هذه الرابطة متواجدة من قبل و تبحث عن اصلها في الإستعمار التأثير السياسي الإستثمار التجاري و تبادل الثقافي.

2- النظريات السوسيولوجية :

يعتبر مبروك مهدي[25] أن النظريات السوسيولوجية للهجرة (الماكرو و الميكرو) والتي ترتكز على العوامل الثقافية و التي تلعب دورا هاما، و تظهر هذه العوامل من خلال الدور الذي تلعبه العائلة، الشبكات، في دول الذهاب و الوصول هي ذات اهمية كبرى. و يعتبرها اليد الخفية التي تشكل الهجرة السرية، و بفضل الرأسمال الإجتماعي و العاطفي لا يمكن أن يتحقق المشروع الهجري.

أ- نظرية الجذب و الدفع :

الباحثة Mendoza Carbajal Myrian [26] في دراستها للمهاجرة الغير حاملة للوثائق، تحصر حسب هذه النظرية العوامل التي يمكن أن تكون جاذبة و طاردة في العملية الهجرية و هي كالآتي:

- **بلاد الإستقبال تعد الجاذبة للهجرة**:
  - أجر أفضل
  - ميزات في النظام التربوي
  - مستقبل مهني

24. Ibid, p 26-27.
25. Mabrouk Mehdi, op cit, p 28.
26. Mendoza Myrian Carbajal, op cit, p 22.

➢ **بلاد الأصل تعد الطاردة و الدافعة للهجرة**

- البطالة
- الفقر
- الأزمة السياسية

يرى مجموعة من الباحثين[27] ، أن الأسباب الجاذبة أكثر تأثيرا من الأسباب الدافعة و المهاجرين اليوم ليسوا الريفيين الأميين و الفقراء ، إن المهاجرين تحولوا الى أفرد متحضرين و متمدرسين ، الذين إستطاعوا إدخار المال من أجل خوض المغامرة و هذا بإجتياز الحدود.

و تحصر العوامل الجاذبة في النقاط التالية :

- ❖ توسع مساحة الحراك بفضل إنخفاظ تكلفة السفر.
- ❖ وجود تضامن دولي ذو طبيعة عائلية ، و ثقافية ، و دينية و مؤسستية.
- ❖ تجارة شبكات الهجرة غير الشرعية التي تمنح الحراك للفئات المحرومة.
- ❖ تأسيس شبكات جديدة للهجرة نتيجة للعولمة كالهجرة الآسيوية نحو أوروبا.
- ❖ الحصول على جواز السفر بعدما كانت بعض الدول رافضة لحراك الأفراد في السنوات الماضية.

فحسب هذه النظرية لا نستطيع تفسير أسباب الحراك الهجري الذي نلاحظه في بعض المناطق التي هي أيضا فقيرة ، و لا نستطيع تفسير مصادر الهجرة الخارجية و التي ترتكز على نفس المناطق و ليس منطقة اخرى. و حتى أن دافع تطور التيارات الهجرية راجع إلى تطور في نظم الإتصال و التنقل فيقابله التوسع في الشبكات الإجتماعية و توسع عمليات الممررين يساعد وصول بعض الأشخاص بالطريقة غير الشرعية.

27. Groupe, op cit, p 23.

أما الباحث Julien Brachet [28] فعند دراسته للهجرة السرية و إستعانته لتفسيرها بنظرية الدفع و الجذب **Push/Pull** و هو لا يعتبرها من النظريات الأكثر تفسيرا والأكثر حداثة بل هي النموذج الأكثر ظهورا و نقدا و إستعمالا في خطابات السياسة الهجرية الإفريقية.

إن نظرية الدفع و الجذب ، تعتمد في تفسيرها للهجرة على العامل الإقتصادي منذ القدم ، كمحفز ، و محرك اساسي للهجرات الدولية و المقاربة لهذه النظرية تفضل العوائق الماكرو اقتصادية و الامكانيات الخاصة للمهاجر. و تعتبر ان الفعل الهجري هو عبارة عن قرار وضعي و منطقي ، فردي و الذي يتم من خلال ربط العلاقة ما بين العوامل " الدافعة " و العوامل " الجاذبة " و ما بين منطقة الأصل ومنطقة الوصول.

تتعرض Mendoza Myrian Carbajal [29] إلى ضعف هذه النظرية في تفسير لقرار الهجرة بدافع الجذب أو الطرد هو غير كافي بالنسبة لظاهرة الهجرة السرية.
ففي دافع الجذب نحن أمام وضعية إجتماعية هشة للفاعلة بسبب الوضعية لهجرتها السرية التي تعيقها في الحصول على عمل رسمي و مربح و التي ترغمها على تحديد مساعداتها المالية للأسرة في البلد الأصل و أيضا تتعرض إلى إرهاق نفسي و ضغط اقتصادي في البلد الإستقبال. أما عن دوافع الطرد كما هي محددة في البطالة و الفقر و القلق الإجتماعي و خيبة الأمل و العنصرية تؤثر في قرار الهجرة لكن ليست بالضرورة أن تكون هي المحرك الأساسي لتيار الهجري.
فهذا لا يمنع الفرد من تحسين وضعيته الإجتماعية و المعيشية في هذه المجتمعات بعيدا عن الهجرة فهو يبني إستراتيجيات محددة في بلده الأصل كالتجارة الغير رسمية و البنك الشعبي banques communautaires ، شبكات الإجتماعية القوية كالعرف و القفزة la débrouillardise.

النظرية تستطيع حسب الباحثة تفسير الهجرة السرية لبعض الفئات الإجتماعية في إطار عامل الطرد ، مثل الأمهات العازبات و التي تعاني من تهميش إجتماعي وقانوني و إقتـصادي في المجـتمع ، و أيضا العـنف الذي تتعـرض له المـرأة أو

28.Brachet Julien, *Migrations transsahariennes Vers un désert cosmopolite et morcelé* (Niger), Terra édition, 2009, p 53.
29. Mendoza Myrian Carbajal, op cit, p 22.

الضغط الأسري (الأسرة الأبوية و المجتمع الذكوري) و العنصرية نحو المرأة التي تنتمي إلى مهن غير معترف بها إقتصاديا و إجتماعيا.

يشترك الباحث[30] في نفس الفكرة من خلال تقريره عن الهجرة النسوية ، معالجا للجوانب الإجتماعية للهجرة السرية ، أن معظم النساء اللاتي يهاجرن بصورة غير قانونية أو يصبحن في وضع غير قانوني قد حاولن في غالب الأحيان الإفلات من البطالة و القيود داخل المجتمع الذي يعشن فيه في أوطانهن الأصلية.

و عموما ، الإنتقادات المختلفة لنظرية الدفع والجذب تتمثل في القدرة الضعيفة والهشة للتصور الهجري في الجانب الإجتماعي أمام التفسيرات الأخرى للنظريات التي تعتمد على الدور المهم للجماعات الإجتماعية في ذهاب و إنطلاق المهاجرين و إبراز أهمية الشبكات و المؤسسات الإجتماعية و تأثيرها على قرارات الأفراد[31].

ب- نظرية الشبكات الإجتماعية :

إن دوجلاس ماسي[32] قد عرف شبكة الهجرة بأنها مجموعة الصلات المتبادلة بين الأفراد التي تربط المهاجرين و المهاجرين المستقبلين و غير المهاجرين في مساحات المنشأ و المقصد و ذلك عبر صلات القرابة و الصداقة و أصل جماعي مشترك. إن وظيفة شبكات الهجرة هي تقديم فرص و وسائل للتكيف للمهاجرين ويقوم البعد الأكثر رواجا منذ عدة سنوات على ربط اشكالية شبكات الهجرة مع تنمية روح المبادرة العرقية .

يصف الباحث مبروك مهدي[33] في كتابه على ضرورة ربط المهاجرين علاقات التي تشكل الشبكات للدعم الفاعل و ذلك للتقليل من تكاليف الهجرة و الرفع من إحتمال فرص هجرة الأفراد ذات الدخل الضعيف و أيضا تسمح هذه الشبكات بتوفير المصادر كالمعلومات و التمويل و الإيواء و العمل و تعلم السلوكات الإجتماعية و القوانين التي تسهل عملية الإندماج في النظام الهجري بصفة عامة.

30. جون لوي فيل ، الهجرة النسائية بين دول البحر المتوسط و الإتحاد الأوروبي ، **يوروميد للهجرة 2** ، 2009 ، ص 341.
http://www.enpi-info.eu/library/sites/default/files/StudyonWomenredGIZ_EUROMED_II_AR_L.pdf

31. Brachet Julien, op cit, p 54.

32 . جون لوي فيل ، مرجع ذكر سابقا ، ص 36 .

33. Mabrouk Mehdi, op cit, p 28.

أما الباحثة Mendoza Myrian carbajal[34] تعطي أهمية كبيرة لشبكات العلاقات الإجتماعية معتبرتها الرأسمال الإجتماعي الذي يعد قاعدة مادية و نفسية للمهاجرة ، فهي تتلقى المساعدة في بلد الإستقبال من طرف أحد أعضاء العائلة أو الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء أو حتى أبناء الجالية الجزائرية و تتلقى المعلومات والحيل الإدارية.Le capital social constitue un support matériel et psychologique

و بعيدا عن الشبكة و العائلة كمؤسسات هجرية les institutions migratoires يجب إضافة البنيات الرسمية كالجمعيات و البنيات السياسية و الإدارية politico administratif و التي أنشأها المهاجرون هم بأنفسهم و هذه المؤسسات تتكفل بدعم و تعزيز الهجرة و التي تصبح في الأخير اقل تبعية للأسباب الأولية (الإقتصادية) ، و حتى مؤسسات العبادة كالمسجد و الكنيسة فهذه الأماكن تصبح مكانا للتجمع والتلاقي المنظم و أيضا تعد مصدرا يتبادل فيها المعلومات المتنوعة[35]. و يشير مهدي مبروك إلى الخاصية الجديدة للنظام الهجري الموسع و المعروف بـ العبور le transnationalisme وهو تجاوز الإطار التقليدي للهجرة المعروف بالنظام المحصور فقط على بلد الأصل و بلد الإستقبال. و من خلال انخفاظ تكاليف التنقل و الإتصال ، أصبح من السهل عيش حياة مزدوجة هنا و هناك ، و في المجال الإجتماعي أين الأفراد و العائلات تتبنى أكثر من لغة ، سكن و طريقة عيش ويتنقلون كثيرا بين البلدين و يربطون علاقات عبر الحدود ، و التي تأخذ خاصية إطار و مرجعية مختلفة و هي تعدد الثقافات و الهويات.

و يشرح Portes Alejandro [36] هذا الشكل من الهجرة كردة فعل "من القاعدة " ، "من التحت" « par le bas » أمام اعادة الهيكلة العالمية فهي استراتيجية للإلتحاق بتيار الإقتصاد العالمي ، و بطريقة اخرى هو مقاومة الوضعية الجديدة التي يتواجد فيها الفاعل في بلد الإستقبال و ذلك بعدم ترك مجال للإختيار سوى الأعمال المنبوذة travaux dévalorisé و التي لا ترتبط بالطموح للتسلق الإجتماعي la mobilité sociale و هذا ما يشكل هشاشة و ضعف خاصية ظروف المهاجر.

34. Mendoza Myrian Carbajal, op cit, p 26.
35. Mabrouk Mehdi, op cit, p 29.
36.Portes Alejandro, « La mondialisation par le bas l'émergence des communautés transnationales », **Actes de la recherche en sciences sociale**s, n=° 129, 1999, p 16.

في كتاب نظرة أخرى حول الهجرة[37]، يضع تصور جديد بالنسبة للشبكات الهجرية ، فتعتبر شبكات الهجرية غير الشرعية هي أيضا لها دور كبير في مساعدة تنقل الفئات المحرومة، بدافع تعقد إجراءات الإدارية المفروضة للحصول على تأشيرة السفر، فهي تقدم خدمات من بداية السفر حتى الوصول إلى بلد الإستقبال، و هي شبكات دولية تضم عدة دول و توضع عدد مهم من الممررين، و بفضل هذا النوع من الشبكات الهجرة الغير شرعية تم إنتقال عدد مهم من الشباب و الشابات.

الهجرة السرية تمثل في بعض الحالات ما يسمى "بالسياسة الجماعية" « politique communautaire » فالباحثة Mendoza Myrian Carbajal [38] تعتبر هذه السياسة كجزء لا يتجزأ من الشبكات الهجرية و هو نتيجة لحل الأزمات التي تتخبط فيها المجتمعات، و لهذا توضع خطة واضحة للفاعلين لمواجهة مختلف الوضعيات وتساهم في وضع سياسة يكون هدفها الرئيسي و الوحيد هو ضمان الإستمرارية العيش.

و هذا الأخير يسمح بإعادة انتاج شروط السرية clandestinisation، فهذه السياسة الجماعية أصبحت نتائجها فعالة ضد الفقر، تعد الحاجة الأولية هي إرسال الأفراد لجمع المال إلى بلد المهجر و بهذا تحسين ظروف عيش العائلات في البلد الأصل، و هي مسطرة و منفذة من طرف الأفراد أنفسهم و بمصادرهم الخاصة. وتجد الدعم و المساندة العائلية في كل من بلد الأصل و بلد الإستقبال (العائلة، شبكة الأصدقاء و المعارف، الجالية الأصلية في بلد المهجر).

ج- نظرية السلسلة الهجرية :

مفهوم الهجرة بالتسلسل[39] فهي هجرة على مراحل و تتكون من تنقلات متعاقبة من مساحة محيطية الى مساحة مركزية يمر المهاجر في طريقه بدرجات مختلفة تسبق إكتسابه لسلوكيات جديدة.

37. Groupe, op cit, p 24.
38. Mendoza Myrian Carbajal, op cit, p 60.
39 .جون لوي فيل ، مرجع ذكر سابقا ، ص 36.

أما الباحث Portes Alejandro [40] فيرى أن بغض النظر عن السياسات الهجرية التي تهدف الى مراقبة التدفق للتيار الهجري، فإن السلسلات الهجرية تقوي و تعيد انتاجها و يظهر ذلك في بعض الدول و يأخذ مثال عن دول المغرب العربي و التي نشهد تواجد السلسلة الهجرية بشكل قوي، حتى أنه يسميها بعض الباحثين الجماعة الدولية communauté transnationale فرغم غلق الحدود للدول الإستقبال فالتيارات الهجرية مازالت مستمرة لخلق بعض الأفراد و جماعات التي تجتاز الحدود الوطنية و التي بمعنى آخر تتواجد في كل من بلد الأصل و بلد الإستقبال في وقت واحد.

إن السلسلة الهجرية قد استطاعت فرض نوع جديد من الحراك الدولي و الذي أثار إهتمام الباحثين مثلSchiller Glick Nina [41]و الآخرون، الذين لاحظوا إنتشارها والذي يتميز بخاصية أنه يربط الدولة الأصلية بدولة الإنتقال من خلال الشبكات والأعمال و طريقة العيش و يعرفون « le transnationalisme » كنظام من خلاله يتم المهاجرون بناء علاقات متنوعة (عائلية، إقتصادية، إجتماعية، بنيوية، دينية، وسياسية) و التي تجتاز هذه العلاقات الحدود رابطة المجتمع الأصلي بمجتمع الإقامة.

و من خلال دراستنا ، الحراقات تتواجد من خلال السلسلات الهجرية التي تدعمها و تتضامن معها مباشرة أو غير مباشرة و ذلك عن طريق العائلة في البلد الأصل و التنظيمات الرسمية و غير الرسمية في بلد الإستقبال و التي تسهل على هؤلاء الفاعلات القدرة على تواجد كمهاجرة سرية.

3- النظرية السياسية :

إن الهجرة الدولية تتعلق بالدول بحيث تعكس صورة سيادتها. فهو يتعلق بتبادل ما بين الدول الأشخاص و الذين ينتقلون عن طريق القوانين ، فالفرد يتوقف عن الإنتماء بمجتمع حتى يصبح عضو في مجتمع آخر. فالدول الحديثة قد وضعت السياسات الهجرية التي تتبعها من خلال القوانين الإدارية و الإتفاقيات الدولية

40. Portes Alejandro, op cit, p 16.

41 .Glick Schiller Nina, Basch Linda, Szanton Blanc, « From Immigrant to Transmigrant: Theorizing. Transnational Migration » , **Anthropological Quarterly**, vol 68, n=° 1 , Jan 1995, p.48-63 in Mabrouk Mehdi, *Voiles et sel, culture, foyers et organisation de la migration clandestine* , 2010 .

والخطابات الإعلامية ، لكي تتحكم و تراقب دخول و خروج الأفراد ، و تحديد وضعيتهم القانونية. و عبر القوانين المفروضة لوثائق السفر و الإقامة و العمل ، ومنح الجنسية و التجنس la naturalisation و هكذا تستطيع الدول التحكم في حدودها[42].

من أجل التحكم في التدفق الهجري تضع الدول مجموعة من القوانين و الإجراءات التي تمنع أو تقلص تنقل الأفراد خاصة من الدول التي تنحذر من مناطق الخطر ، (التجمع العائلي ، مدة الإقامة ، إتفاقيات تبادل اليد العاملة...). و تستخدم منح تأشيرة السفر المعروفة بالفيزا ، من أجل منع حق التنقل لغير الأوروبيين (تعرضنا إلى السياسة الهجرية في الفصل الأول)، و لهذا الدول في الإتحاد الأوروبي ملزمون على إيجاد سياسة هجرية موحدة و التي تفرض صرامة السياسة الهجرية.

و يشير كل من Ambrosetti et Tattolo [43] ان طموح الأفراد و رغبتهم في تنقلهم بحرية و التي تأخذ بعين الإعتبار مصالح دولة الإستقبال و لا حتى دول الأصل.
و في بعض الحالات يكون وعي الأشخاص او الجماعة و دوافعهم في تناقض وتعارض أساسي مع الدوافع و الوعي للدولة.

فنشهد اليوم تدفقا هجريا ، الذي يتميز بمنح بعض الدول حق الإنتقال بمغادرة الوطن (بطريقة رسمية) ، أما بالنسبة لدول أخرى فتعتبر المهاجرين القادمين إليها خطرا عليها ، فنلاحظ أن السياسة الهجرية التي تتبعها الدول الأوروبية ، مثل السياسة الهجرية الفرنسية و التي تعتبر أن المهاجرين يمثلون خطرا الذي يهدد الهوية الوطنية ، فهنا نرى أن العامل الثقافي له دور كبير في توجيه السياسة الهجرية ، من خلال اللغة و الدين و التاريخ الإستعماري .

و يؤكد في نفس السياق كل من Ambrosetti et Tattolo [44] أن الهجرات الدولية هي عبارة عن نظام يربط كلا من المجال الأصلي بالمجال الإنتقالي (الرابط الإستعماري، الثقافي، السياسي، الإقتصادي) و من الضروري تشخيص تأثير العمليات الأخرى على تكوين التدفق الهجري و أيضا على تحوله عبر الزمن. ومن أهم تلك العمليات هو الخلفية الثقافية و للهجرة التي تظهر من خلال الشبكات الهجرية و الأخذ بعين الإعتبار الدول العامل الثقافي في سياستها الهجرية لتوجيه

42. Mabrouk Mehdi, op cit, p 30.
43. Ambrosetti et Tattolo, op cit, p 8.
44. Ibid, p 11.

وتطوير الهجرات المختلفة. إن تفسير الهجرات الدولية يشير الباحثان إلى تعقد وتشبك الظاهرة الهجرية و من أجل جمع تلك النظريات يقترح "مقاربة نظامية" une approche systémique و التي تم وضعها في شكلها التام سنة 1992[45].

و يضع Tapia [46] تعريف أن المقاربة النظامية مؤسسة على " أن التصور للنظام الهجري كمجموعة من الدول تربطها علاقة تبادل هجري و التي تتميز بديناميكية وظيفية لمختلف الشبكات و التي توحد الفاعلين بتلك الهجرة في مختلف المستويات التجميع ".

أما مبروك مهدي[47] ، يرى أن هذه المقاربة النظامية تجعل الهجرة الدولية تخضع " لفضاء موحد " و التي تشمل كل من دولة الأصل و دولة الإستقبال ، و يجب الأخذ بعين الإعتبار هذا النظام في شموليته من أجل فهم تلك الهجرة و أسبابها و نتائجها.

و يشير الباحثان Ambrosetti et Tattolo [48] أن إستعمال المقاربة النظامية في دراسة الهجرات الدولية تعد في مرحلتها الأولية للإستعمال و الإستغلال ، والمعيق لتطور هذه النظرية في رأيهما هو نقص المعلومات الكاملة و حتى أنه بالنسبة لبعض الدول هو عدم توفر لتلك المعلومات حول الهجرة الدولية.

إن من أهم الصعوبات التي تواجد الباحث في دراسته للظاهرة الهجرية هو نقص المعلومات التي تتعلق بالفئات المهاجرة ، و خاصة الإحصائية و إن وجدت فهي تتضارب في مصدرها إن كان رسمي أو غير رسمي و أيضا لا نستطيع الوثوق بها بقابلية تغيير بعض القيم من طرف بعض المؤسسات الحكومية ، و لهذا الباحث عاجز عن الوصول إلى نتائج حقيقية و التي تعكس تطورات الديناميكية الهجرية في عمومها و خصوصيتها.

45. Ambrosetti et Tattolo, « Pétrole et migration de travail vers les pays du golfe », in les migrations internationales, observation, analyse et perspectives, **Acte du 12eme Colloque international de Budapest**, 20-24 septembre 2004, Puf, Paris, 2007, p 355-366.

46. Tapia Stéphane, *Système migratoire Euro-méditerranéen : effets des transferts financiers dans les pays d'origine*, Éditions du Conseil de l'Europe, Strasbourg, 2008, p 15. http://book.coe.int/ftp/3135.pdf

47.Mabrouk Mehdi, op cit, p 32.

48. Ambrosetti et Tattolo, op cit, 2008, p 11.

III - تداخل نظريات الهجرة :

حسب العمل الذي قامت به Mendoza Myrian carbajal [49] على المهاجرات الغير حاملات للوثائق بسويسرا ، فهي تعتبر ظاهرة الهجرة السرية من خلال الإقامة الغير الشرعية للمهاجرات أنها ليست ظاهرة تلقائية un phénomène volontaire ، فالمهاجرة لا ترغب في أن تكون في هذه الوضعية بل تعتبرها مفروضة عليها بسبب سياسة الهجرة للدول و قوانينها. فهؤلاء النسوة ليس لديهم الجنسية المرغوب فيها و لا المؤهلات. فهي تطرح مفهوم La clandestinisation السـريـــة الذي استعمله Bolzman Claudio [50] .

و ترى أن الأفراد من خلال إنتاج و إعادة إنتاج قوتهم الجسدية و الذهنية ، الثقافية (قرار الهجرة ، شبكات المعلومات و التضامن ، نقل رموز السرية او فن طريقة الهجرة السرية la transmission de « codes » pertinents à la clandestinité ou à l'art de la clandestinisation و الذي يشكل عالم السرية او كما اتفضل تحديدها بعالم سرية الهجرة Le monde de la clandestinisation.

و هي تعتبر أننا أمام ظاهرة إجتماعية التي يجب أن نضعها في إطارها الماكرو سوسيولوجي و الميكرو سوسيولوجي و هذا من أجل فهم الهجرة السرية ودوافعها، فمن خلال تعرفها على المهاجرة و طريقة حياتها اليومية و منطق ممارساتها ، إستطاعت وضع إزدواجية العوامل ، الماكرو (اختلاف الأجر ، جذب اليد العاملة الرخيصة ، الفقر...) و العوامل الميكرو الإجتماعية (الشبكات ، السلوكات ، قناعات المهاجرة و أشياء أخرى) ، كل هذه العوامل تساعد على فهم تجربة الهجرة السرية.

49. Mendoza Myrian Carbajal, op cit, p 65.
50. Bolzman Claudio, « Quels droits citoyens ? Une typologie des modèles d'intégration des migrants aux sociétés de résidence », in Perrégaux C., Intégrations et migrations. Regards Pluridisciplinaires, Paris, Éditions L'Harmattan, 2001, p 176.

يعتبر Piché Victor [51] أن الهجرة هي ظاهرة متعددة الدوافع و متعدد المجالات وتضم ثلاثة نقاط أساسية :

- بلد الأصل و الوصول
- مستوى التحليل ميكرو و ميزو و ماكرو
- المجالات الإقتصادية و الإجتماعية و السياسية

أراد الباحث من خلال النظريات التي تعرض لها في كتابه توضيح العوامل الماكرو و الميكرو في ظاهرة الهجرة و إضافة الشبكات الإجتماعية و العائلية وعلاقة كل ذلك ببلد الأصل و بلد الإستقبال و كيف تتداخل المجالات المختلفة في الديناميكية الهجرية و التي يراها أنها معقدة و متشابكة، فالبيان التالي يوضح ذلك .

51. Piché Victor, *Les theories de la migration*, Paris, INED, 2013, p 50. http://oppenheimer.mcgill.ca/IMG/pdf/PicheLes_fondements_des_theories_migratoires_contemporaines_-_2013.pdf

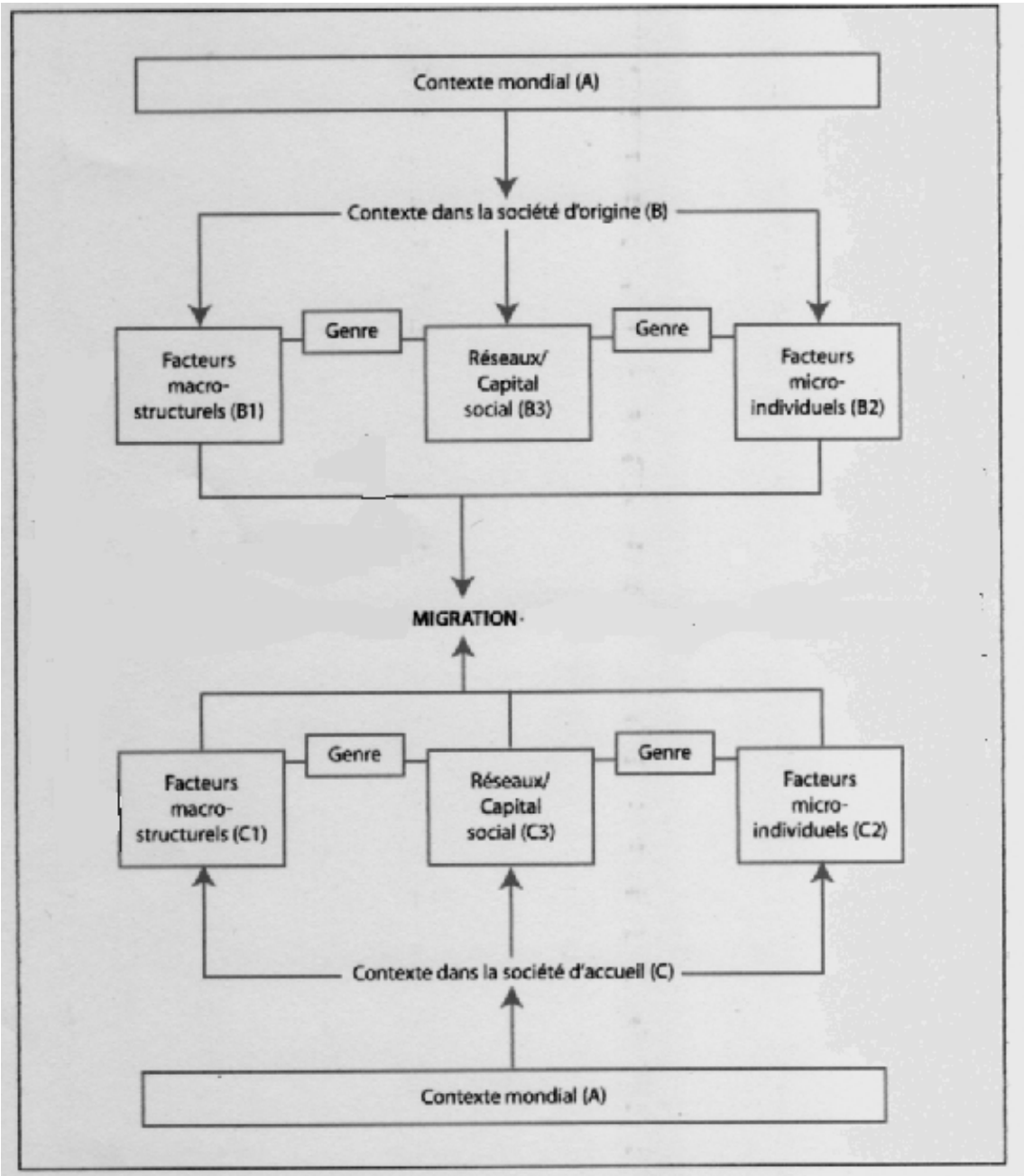

Figure 1 : Cadre conceptuel pour l'étude des facteurs de migration

و من أجل شرح البيان سنوضح حسب الباحث[52] ، العوامل الماكرو - البنيوية والعوامل الميكرو –الفردية :

***الوضعية العالمية* (A)** : العلاقات الدولية ، ما بين دول الشمال و الجنوب ، العولمة ، السياسات الخارجية

***الوضعية في مجتمع الأصل* (B) :** شروط الذهاب

***الوضعية في مجتمع الإستقبال* (C)** : سياسات لإختيار و إدماج المهاجرين الجدد.

العوامل الماكرو - البنيوي :

مجتمع الأصل (B1) : مستوى التطور التصنيع و العمران و التمدرس ، النظم السياسية ، الحروب و الكوارث الطبيعية.

مجتمع الإستقبال (C1) : الوضعية الإقتصادية و الديمغرافية ، سوق العمل ، مستويات العنصرية ، العمران ، السياسات الحكومية ، و خاصة طلب يد العاملة والسياسات الهجرية.

العوامل ميكرو - فردية :

مجتمع الأصل (B2) : الخاصية القبل هجرية الفردية و التي تتميز بالرأسمال البشري (مستوى التعليمي ، المؤهل المهني و الخبرة في العمل و الأصل الإجتماعي و الخصوصية الديمغرافية

مجتمع الإستقبال (C2) : و التي تأخذ نفس الخاصية للذهاب في مجتمع الأصل لكن يجب المفاوضة في المجتمع الجديد و يجب أخذ بعين الإعتبار مكانة المهاجر و التي تمثل متغيرا هاما في إندماجه و في الغالب تتعلق هذه العوامل بنظرية الإستثمار الرأسمال البشري او التحليل المنطقي للتكلفة و الفائدة المحققة للمهاجر.

الشبكات و الرأسمال الإجتماعي :

مجتمع الأصل (B3) و مجتمع الإستقبال (C3) : في الحالتين ، يتعلق الأمر بدور الأسرة و الشبكات الرسمية (الكنيسة و الجماعات الإثنية ، النقابات ، الجمعيات) والشبكات الغير رسمية (الوسطاء ، الأصدقاء) و كل هذه العوامل تشكل الرأسمال الإجتماعي.

52. Ibid, p 51-52.

الجندر :

عند تعرضه للجنس ، فهو لا يعتبره كمتغير فردي مثل المتغيرات الأخرى بل هو بناء إجتماعي و الذي يعكس العلاقات التي تربط كل من الرجل - المرأة و التقسيم الجنسي للعمل في كل من مجتمع الأصل و مجتمع الإستقبال.

فيعتبر Piché Victor[53] أن هذا البيان لا يدرج التحولات التي تستطيع أن تحدث في النظام الهجري عبر الزمن ، لكن يبقى معمول به إذا اعتبرنا أن كل نوع من العوامل لها ثقلها عبر الزمن ، و هذا ما لاحظناه أن إستعمال هذا البيان في صورته العامة لفهم الظاهرة الهجرية سيساعدنا في فهم الهجرة السرية بإعتبار العامل الماكرو و العامل الميكرو.

الباحثة Mendoza Myrian Carbajal [54] ترجع المقاربة النظرية لفهم " ظاهرة الهجرة السرية " من خلال النظرية السياسية و نظرية سوق العمل الموازي.

- **الأولى** : تعتبر أن السياسة الهجرية المتبعة من طرف الدول الإستقبال (الأوروبية) و كيف تنتج هذه الهجرة غير شرعية من خلال غلق الحدود وإتخاذ سياسة الهجرة المختارة l'immigration choisie.
- **الثانية** : إدخال النوع في النظام الهجري و تطور تيبولوجية المرأة المهاجرة و إختيار فئة المهاجرات السريات ، الحرقات. La féminisation de l'immigration clandestine

53. Ibid, p 53 .
54.Mendoza Myrian Carbajal, op cit, p 67.

IV - المقاربة السوسيولوجية للهجرة السرية النسوية :

نحن نذهب إلى أبعد من نظرت الباحثة فمن خلال دراستنا و الحراقات (حالات الدراسة) أن الهجرة السرية لا تتوقف على نظريتين ، بل تتداخل جوانب متعددة التي تمس مقاربات متعددة هي أيضا ، فالإستراتيجية العائلية لا يمكن تجاهلها في ظاهرة الهجرة السرية و خلفية إستثمار العائلات في هذا الحراك ، و أيضا الشبكات الإجتماعية التي تعتبر كمجتمع تحتي الذي يستقبل المهاجرة الجديدة و تتلقى من خلاله المساعدات اللازمة لتقليل من صعوبات الإندماج و التواجد في بلد الإستقبال.

و حاولنا أن نبين تداخل النظريات المهمة التي نرى أنها تساهم في تفسير الهجرة السرية النسوية و المنبثق من عمل الباحثة Mendoza Myrian Carbajal [55].

55. Ibid, p 68.

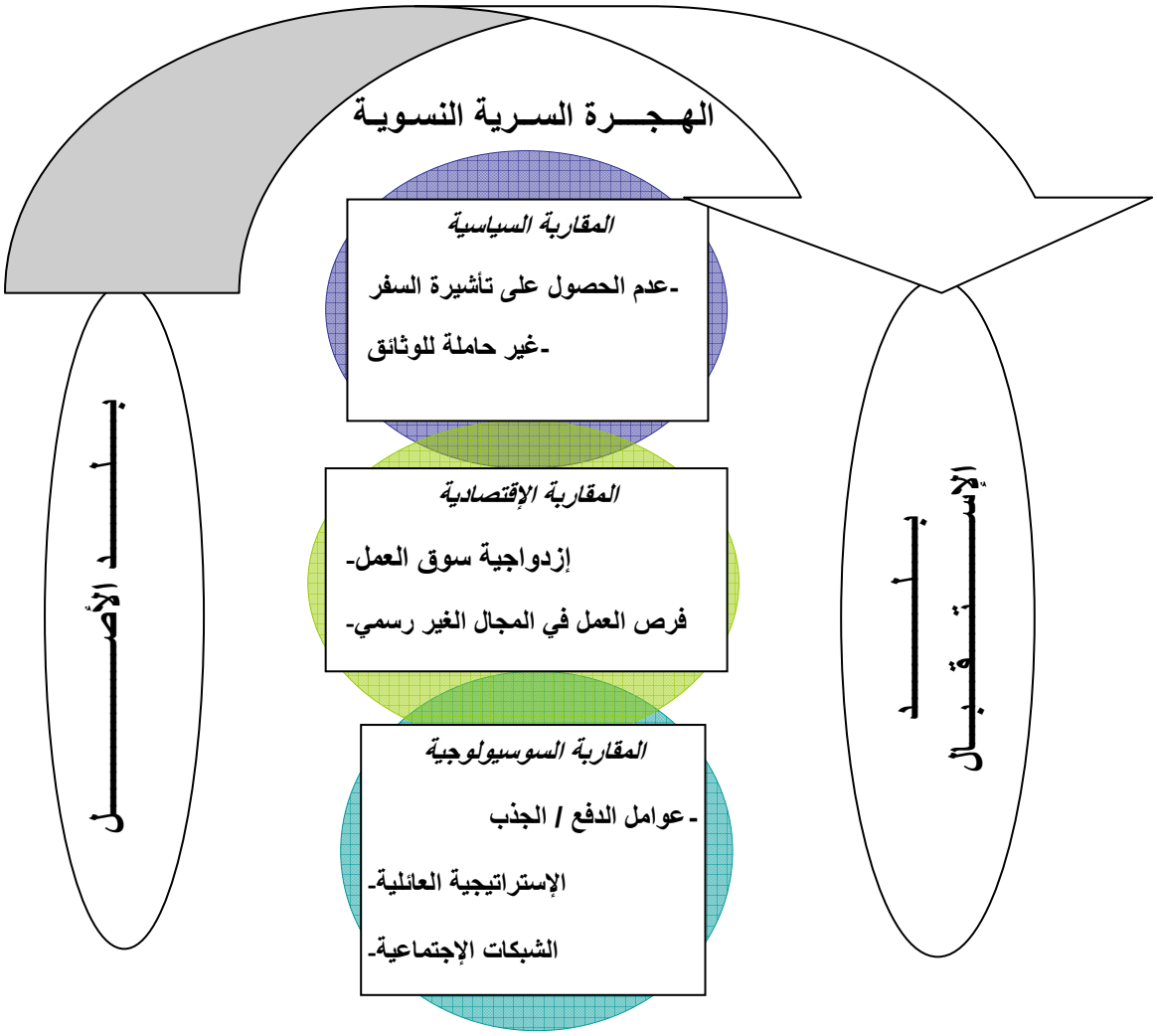

بيان رقم 2 : يبين المقاربات المختلفة لتفسير الهجرة السرية النسوية

حسب تقرير جون لوي فيل[56] يمكن إعتبار النموذج الهجرة وفقا لبعد متكامل يقوم على ثلاث عناصر:

- العامل الإجتماعي للمهاجرة (الخصائص، السلوكات، الممارسات والخطابات و الكفاءات)
- مؤسسات التنشئة الإجتماعية (العائلة، المدرسة، المؤسسة، العرق والدين)
- السياق الهيكلي (الهياكل الإقتصادية، الإجتماعية، القانونية و السياسية)

و في نفس السياق يعتبر الباحث[57] أن الهجرة النسوية تتجلى في ثلاث مراحل:

- **مرحلة ما قبل الهجرة** : فيتدخل خلالها العديد من العوامل من أجل توجيه و تسهيل أو إعاقة قرار هجرة النساء و هي أنماط فردية (السن، الحالة الإجتماعية، مستوى الإجتماعي) و مؤسسية (مؤسسات التنشئة الإجتماعية والمهنية و السياسية) و مجتمعية (النظام السياسي و مستوى التنمية الإقتصادية و الهياكل الإجتماعية الثقافية).

و يشرح من خلال بحثه، أن العلاقات بين الجنسين و التسلسل الطبقي داخل المجتمع يؤثران على هجرة النساء اللاتي غالبا ما يقعن تحت سلطة الرجال و أن التحكم في النساء و إعطائهن أدوارا يغلب عليها الطابع المنزلي و تنشئتهن في بلادهن الأصلية تحدد دوافعهن للهجرة كذلك التحكم في الموارد و المعلومات من قبل الرجال يمكن أن يثبط و يمنع هجرة النساء.

56. جون لوي فيل ، مرجع ذكر سابقا ، ص 34.

57 . المرجع السابق ، ص 35.

❖ **مرحلة انتقال النساء** : إن الإنتقال من بلد المنشأ إلى بلد الإستقبال يظهر قدرات النساء على معرفة التحرك بمفردهن و إختيار خط السير و وسائل المواصلات من أجل الوصول إلى دول المقصد التي هي من إختيارهن. إن تدخل العائلة أمر لا يمكن تجاهله. فهي تضع شبكاتها في خدمة المهاجرات اللاتي يمتلكن أحيانا شبكاتهن الخاصة بهن. مما يشرك الأعضاء الأخرين من الأخوة او العائلة أو العرق في الخارج في تسهيل الهجرة النسائية.

❖ **مرحلة ما بعد الهجرة و هي الإقامة** : تواجه النساء في دول إستقبال العديد من التحديات المتعلقة بوضعهن الإجتماعي و التحاقهن بالوظائف و انخراطهن في المجتمع. الأمر الذي يؤثر على عائلاتهن و على الوظائف اللاتي يشغلنها وعلى مكانتهن في المجتمع.

فإرتأينا الجمع ما بين هذه المقاربات النظرية المختلفة لظاهرة الهجرة السرية النسوية التي عرضناها سالفا ، لوضع مقاربة سوسيولوجية لدراستنا "حراقات أليكانت و الأخريات"، أن العامل الماكرو نجده في نظرية الدفع/الجذب، فالظروف التي تعيشها الحراقة في ظل مكانتها في المجتمع الذكوري، تدفعها إلى الهجرة السرية، أما الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية فهي التي تجذبها في الدول الأوروبية. العامل الميكرو يجب تواجد الشبكات الهجرية لتحقيق المشروع الهجري و أيضا الإستفادة من عائد هذه الهجرة بالفارق في الأجر و مساعدة العائلة والإستثمار في بلد الأصل، فنجد كل من نظرية الشبكات الإجتماعية و إستثمار الرأسمال البشري تفرض نفسها في تفسير ظاهرة الهجرة النسوية السرية.

- **خـلاصـــة**

نستنتج أنه لأجل فهم الظاهرة الهجرة النسوية السرية علينا الإلمام بكل جوانبها، الإقتصادية و الإجتماعية و السياسية و الثقافية، لتحديد المقاربة السوسيولوجية المناسبة لحالات دراستنا و أيضا لتحديد الإطار النظري الذي يعكس ترابط و تداخل النظريات التي تم عرضها في هذا الفصل.

حسب الباحث براشـــيه جوليان[58]، أن خصوصية الهجرة الإفريقية الحديثة، ترتكز على الفردانية في قرارها و الذي برافقها دوافع متعددة، كالوهم الهجري و الإرادة القوية للإستقلالية الذاتية أمام سيطرة الجماعة الإجتماعية والإستراتيجيات الجماعية للتنوع الدخل المادي، و الرغبة في الرقي و البرستيج الإجتماعي، مع كل هذا يضيف الباحث فكرة إكتشاف الأفراد للعالم من خلال السفر. الكثير منهم محمولين على رغبة شديدة و كبيرة لتواجدهم و عيشهم حياة أخرى، مغايرة على حياتهم الحالية، و هذا مهما كان الثمن الذي يكلفهم و مهما كانت المخاطرة التي يتعرضون إليها.

58. Brachet Julien, op cit, p 57.

الفصل الثاني

الهجرة السرية في المجتمع الجزائري

- **تمهيد**

تطورت الهجرة في العصر الحاضر إلى أن أصبحت موضوع الساعة من خلال الخطاب الرسمي الذي يعلن عن محاربة الهجرة عموما و الهجرة الغير شرعية خصوصا.

و تتمثل هذه المحاربة في وضع إجراءات إدارية و قانونية مشددة و تكثيف مراقبة الحدود و توظيف أموال كبيرة لتدعيم شرطة الحدود بالوسائل الحديثة والأكثر فعالية لتترصد هؤلاء المهاجرين السريين و إرجاعهم إلى بلدهم الأصل.

أما من حيث واقع الهجرة السرية في المجتمع الجزائري ، سنعرض هذه الظاهرة و مبينين إنعكاساتها في مجالات مختلفة منها الجانب الإقتصادي والسياسي و الإجتماعي و بدايتها من البلد الأصلي حتى الوصول إلى الدولة المقصودة و نبين تأثيرها على الأسر و الرأي العام.

I -الهجرة السرية كحراك جديد :

1 -بداية الهجرة السرية في المغرب العربي:

لقد عرفت الدول الأوروبية الهجرة السرية منذ سنوات الخمسينات خاصة الستينات ، في فرنسا قد شهدت الهجرة السرية الاتية من إسبانيا و إيطاليا و بشكل مكثف في منطقة بيريني كما يشهدها دول المغرب العربي في الوقت الراهن بجبل طارق والمقبلين على الهجرة السرية كانوا يتوافدون من إسبانيا و البرتغال[59].

أما بالنسبة لدول شمال إفريقيا فالمغرب عرفت ظاهرة الهجرة السرية نحو أوروبا بدأت منذ الإستعمار الفرنسي ، فالحاجة إلى اليد العاملة أدت بأرباب العمل ، كانوا يجلبون اليد العاملة المغربية بطريقة غير شرعية بسبب منع السلطات الفرنسية فتح مكاتب التوظيف لليد العاملة المغربية للعمل في فرنسا. فقدر عدد المغاربة المهاجرين السريين نحو فرنسا بـ 12000 سنة 1950 من مجموع 16000 مهاجر و هذا ما يؤكد نسبة 75% مهاجر سري من المجموع الكلي[60].

59.Khachani Mohamed, « La migration clandestine au Maroc, Entre mondialisation et protection des droits », **Acte du Colloque**, Dynamiques migratoires marocaines : histoire, économie, politique et culture, Casablanca, 13, 14 et 15 juin 2003, p 1.
www.generiques.org/**migrations_marocaine**s/.../**khachani**_article.pdf
60.Akellal Ahmed, « Les motivations historiques et sociales de l'émigration marocaine », in l'émigration marocaine, Publications de l'académie du royaume du Maroc, Rabat, 1999, p 8.

2- الخلفية السياسية للهجرة السرية:

حسب Prévost Gérard [61] أن بداية إستعمال لمصطلح الهجرة السرية بفرنسا ، كان في أوائل سنوات الثمانينات و التعرف على هذا النوع من الهجرة ظهر في فترة الوزير مرسلان Marcellin سنة 1972 و التي تتمثل في أول منع لهذا النوع من التنقل و ولادة سياسة مراقبة الهجرة الوافدة.و في هذه الظروف تشهد بداية نشوء تنقلات فردية للعمال " بدون وثائق " "sans papier".

تعتبر الباحثة فرجيني ليدي[62] منذ سنوات السبعينات (1970) ، قد تم وضع العديد من الإتفاقيات ما بين الدول لربط علاقات إيجابية ما بين الضفتين (الشمال جنوب البحر الأبيض المتوسط) و حوار الأورو - العربي، حوار 5+5، اتحاد المتوسطي المسمى بـ " **عملية برشلونة** " اتفاقية : الإتحاد من اجل المتوسط في سنة 2008.

و التي تتجه نحو السياسة الأوروبية للتجاور و التي تتميز بالغموض ، حيث اوروبا ترغب في شركاء في المجال الإقتصادي و الثقافي و البيئي و الأمني و كل هذا بتقليص و الحد من التنقل و حراك الإنسان في الإتجاه الأحادي، من الضفة الجنوبية نحو الضفة الشمالية. في المقابل وسائل النقل و الإتصال اصبحت في متناول الجميع و اجتياز البحر الأبيض المتوسط اصبح مصدرا لكل الصراعات والأزمات.

و تؤكد الباحثة فرجيني ليدي [63] أن الإقامة بدون ترخيص لم يكن إشكالا في مرحلة الإستعمار و الذي كان يتميز بالحربين العالميتين و الثلاثين سنة للإستعمار و التي كانت تحتاج للأيدي العاملة و التي لم تكن تهتم بهذا النوع من الهجرة. و بعد ذلك قد تميز الرأي العام بخلفية مضادة للمهاجرين (خاصة التيار الهجري القادم من

61. Prévost Gérard, « Qu'ya 'il de nouveau aujourd'hui dans les manifestations migratoire «? », **Revue NAQD**, n°26-27, p 34.
62. Virginie Lydie, *Traversée interdite, les harragas face à l'Europe forteresse*, L'Edition le Passager Clandestin, 2011, p 23.
63. Ibid, p 24.

المغرب العربي) و بإجراءات قانونية متتالية تتسم بالصرامة و التشدد في نظام دخول و إقامة الأجانب ، رغم هذا كان الذهاب و الإقامة في أوروبا لم تكن من بالمهمة الصعبة، اذ تتسم سنة 2008 بدخول مليون جزائري الى التراب الفرنسي وذلك بطريقة حرة بدون أن تصبح الهجرة السرية مصدر لقلق معين.

و الإشكال الحقيقي ظهر في بداية السنوات التسعينات 1990، فمن جهة غلق الحدود الأوروبية و من جهة أخرى تنظيم محكم لعمليات الطرد.

عدم السماح القانوني لإجتياز البحر الأبيض المتوسط ادى بآلاف المهاجرين شذوا الرحال بدون إخبار أحد، مخفيين جنسيتهم خوفا من القاء القبض عليهم فمن هنا تمت بداية ظاهرة الحراقة.

اوروبا قد اغلقت رسميا أبوابها، فهذا ليس سهلا بالنسبة للأفراد الراغبين في الهجرة لكن مع الحض و القفوزية يستطيعون الوصول.

تعتبر فرجيني ليدي[64]، أن أحداث 11 سبتمبر 2001 قد فجرت مسارا جديدا للنظام الأمني في الخطاب السياسي، فخلق الخلط ما بين الهجرة السرية و الخطر الإرهابي، فأدى هذا الخلط الى زيادة التشديد اجراءات محاربة الهجرة الغير الشرعية، الآتية من الضفة الجنوبية نحو الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط وهذه الإجراءات قد ادت الى منع عدد معتبر و متزايد من الأفراد (الرجال والنساء) الحق في الهجرة الشرعية و مؤدية الى ارتفاع غير مشهود للهجرة السرية.

تتعجب من منح فرنسا تأشيرة السفر و خاصة تأشيرة قصيرة المدة visa schengen فهي لا تظهر صورة البلد المغلق و هو مبين في الجدول التالي: (بدون ذكر السنة)

64. Ibid, p 25.

جدول رقم 02 : يبين تقدير منح تأشيرة السفر

البلد	عدد منح تأشيرة السفرVisa
المغرب	151909
الجزائر	132135
تونس	79137

حسب إحصائيات القنصلية في 2008، التي تقدم نسبة رفض منح التأشيرة هو منخفض بالنسبة للسنوات السابقة.

جدول رقم 03 : يبين تقدير رفض منح تأشيرة السفر لسنة 2008

البلد	نسبة رفض تأشيرة السفر
المغرب	%10
الجزائر	%14
تونس	%35,5

و حسب دراسة قامت بها **La CIMADE**[65] و التي توضح في تقرير لها حول تعاملات القنصلية في كيفية منح تأشيرة السفر في كل من الجزائر و المغرب. تستنتج ان شروط منح التأشيرة هي التي تعزف الأفراد عن اتخاذ هذا الإجراء القانوني و ذلك للأسباب التالية:

صعوبة تحقيق الشروط المفروضة من طرف القنصلية

- تكاليف دراسة الملف مرتفعة 60 اورو لتأشيرة قصيرة المدة ، 99 أورو لتأشيرة طويلة المدة و لا يرد هذا المبلغ في حالة رفض الطلب.
- التكاليف الأخرى (الإنتقال الى مكان القنصلية و النسخ المطلوبة)
- الضمانات المالية الثقيلة التي ييأس الفرد من الحصول على تأشيرة
- العجز في تقديم التبريرات المطلوبة (كتذكرة السفر ، الحجز في فندق ، تأمين الصحي للسفر) و ايضا عدم المجازفة في صرف المال لتقديم كل هذه الشروط و في الأخير النتيجة هي ضعف الحصول على تأشيرة السفر.

المعزولون من الحصول على الفيزا تبقى لهم سوى الزواج بأجنبية عبر الأنترنيت أو التجنيد في الجيش الأجنبي.

65. Rapport d'observation , « Visa refusé, enquête sur les pratiques des consulats en matière de délivrance des visas », la **CIMADE**, 08 juillet 2010. http://cimade-production.s3.amazonaws.com/documents/contents/2587/original/Rapport_VisaRefuse_PremierePartie_definitif.pdf

II - تعريف الهجرة السرية:

1- البعد القانوني :

تجدر الإشارة إلى أن معظم المصادر المكتوبة التي تعالج موضوع الهجرة، لا تهتم بالهجرة الغير شرعية و تعترف بالهجرات الأخرى معتبرين أنها رسمية والأكثر بروزا في المجتمعات المختلفة أما الذين تطرقوا لها فيطلقون عليها بالهجرة المخالفة و هي المخالفة لقوانين التنقل المعمول بها ما بين الدول و هم المهاجرون الذين يدخلون حدود دولة ما للبحث عن عمل عادة و ذلك بدون توفر الوثائق والتصاريح اللازمة لذلك. ويعتبر البعض الهجرة الغير شرعية أنها غير منظمة، أو مخفية هي تمثل صفات تحدد أشكالها و أوضاعها بحسب تشريعات بلاد الهجرة المستقبلة.

- **الحالة الأولى** : تمثل المهاجرين الذين دخلوا البلاد الأخرى دون الخضوع للإجراءات الشرعية للدخول و الخروج من بلد الأصل فتصبح هجرة سرية.
- **الحالة الثانية** : حالة المهاجرين الذين يخرجون من بلادهم بطريقة شرعية ودخلوا كذلك بصفة شرعية إلى البلد المستقبل ، بصفتهم سائحين و الذين يمددون مدة إقامتهم إلى ما بعد المدة الشرعية (ثلاثة أشهر بالنسبة لفرنسا) ، فيصبحون مهاجرين بدون وثائق (Les sans papiers).

ترتبط الهجرة غير الشرعية بعدم المساواة المتزايدة بين الشمال و الجنوب على الأشخاص في طرق تنقلاتهم. و طالما ان عدم الإتزان في العرض و الطلب للأعمال يتزايد بين دول شمال البحر الأبيض المتوسط و جنوبه فان الأشخاص سوف يستمرون في تنقلاتهم بحثا عن فرص جديدة للعمل و ظروف افضل للحياة. و يدور الحديث عن الهجرة غير الشرعية من خلال مفهومين[66] :

66 .جون لوي فيل ،الهجرة النسائية بين دول البحر المتوسط و الإتحاد الأوروبي ، **يوروميد للهجرة 2** ، 2009 ، ص 315.
http://www.enpi-info.eu/library/sites/default/files/StudyonWomenredGIZ_EUROMED_II_AR_L.pdf

- **المفهوم الأول** : الهجرة غير الشرعية باعتبارها دليلا على سلوك منحرف يبرر بصورة أو بأخرى سقوط الحقوق و الطرد و إتخاذ إجراءات رادعة ضد الهجرة غير الشرعية.
- **المفهوم الثاني** : الهجرة غير الشرعية باعتبارها نتيجة الظروف المتنوعة التي يعد بعضها خارج ارادة المهاجر و تتطلب تدخلا من جانب الدولة ويمكن وفقا لهذا المفهوم ان يتم ادارة الهجرة غير الشرعية من خلال اجراءات التقنين و تحمل الدولة مسؤوليتها تجاه المهاجر.

يستخدم مصطلح الهجرة غير الشرعية لتعيين مجموعة من الظواهر للأشخاص الذين يعيشون في دولة ليسوا من مواطنيها لخرقهم قوانينها و يشمل هذا المصطلح:

- المتسللون الذين يدخلون الى البلاد و يقيمون فيها بغير تصريح.
- الأشخاص ضحايا تجار بالبشر و التهريب
- الأشخاص الذين دخلوا الى البلاد بصورة قانونية و اقاموا فيها بعد انتهاء مدة اقامتهم القانونية
- طالبوا حق اللجوء الذين لا يلتزمون بقرار الرفض.
- الأشخاص الذين يتحايلون على نظام الرقابة من خلال زواج منظم

يأتي مفهوم المصطلح الحديث " متسلل "[67] على رأس النقاشات الدائرة هذه الأيام حول سياسات الهجرة الى اوروبا. فعندما كان الدخول الى اوروبا لا يخضع لأي صورة من صور الرقابة فانه لم يكن هناك مجال للتسلل لكنه عند وضع نظام التأشيرات باعتباره اجراء تقييديا نشأت ظاهرة التسلل . و المتسلل هو من يخالف القانون بدخوله او بقائه في بلد اجنبي.

67. المرجع السابق ، ص 316.

يستخدم تعبير الهجرة غير الشرعية لتعيين عدة ظواهر لاسيما ظاهرة الدخول غير القانوني لأحد مواطني دول العالم الثالث الى دولة غير دولته الأصلية أوالدخول بصورة قانونية لكن الإقامة تصبح غير قانونية بعد انتهاء تصريح الإقامة برفض تجديده لفقدان العمل او لأي سبب آخر، و لا تستطيع السلطات في الدولة المضيفة ان تمنح المهاجر الذي لا تعلم بإقامته أية وثائق طالما انه يخالف الشروط المطلوبة. و التجاوز القانوني يقدم على ما هو هامشي. و حيث ان المهاجرين قد خالفوا قوانين البلد فإنه لا يمكنهم الاستفادة من ادنى درجات الحماية من جانب الدولة المضيفة. ان معظم النساء اللاتي هاجرن بصورة غير قانونية من دول البحر الأبيض المتوسط الى اوروبا انما هاجرن للحاق بأزواجهن أو اهلهن. ونظرا للتشريعات المقيدة للهجرة فإنها تتم بالنسبة للنساء في اطار الأسرة سعيا لقبولها في صورة قانونية[68].

يوضح **خشاني**[69] ان عدم شرعية الهجرة تختلف بإختلاف الوضعية التي يكون فيها الفرد و هي كالتالي:

- الهجرة السرية الدخول الى بلاد الإستقبال بطريقة غير شرعية "سرية".
- الفرد الذي يدخل بطريقة شرعية لبلد الاستقبال و ينقي مدة اقامته الشرعية و يقرر المكوث أو الاقامة في بلد الاستقبال.
- الأشخاص الذين يعملون بطريقة غير شرعية خلال اقامتهم الشرعية.
- الأفراد الذين يعملون عمل آخر غير الذي سمح لهم للعمل فيه من خلال عقد العمل.

68. المرجع السابق ، ص 317.

69. Khachani Mohamed, op cit , p6.

يحدد د. رمضان محمد[70] الاطار القانوني الهجرة غير الشرعية في معناها العام هي التسلل عبر الحدود البرية و البحرية و الإقامة بدولة اخرى بطريقة غير شرعية و قد تكون الهجرة في اساسها قانونية و تتحول فيما بعد الى غير شرعية وهو ما يعرف بالإقامة غير شرعية. و تتضمن الهجرة غير الشرعية في مضمونها الهجرة السرية و تعني الإجتياز غير القانوني للحدود دخولا او خروجا من التراب الوطني للدولة. و ظاهرة الهجرة السرية باتت ظاهرة عالمية اذ تصنف في المرتبة الثالثة تبعا لخطورتها الإجرامية بعد المتاجرة بالمخدرات و الأسلحة و قد تفاقمت في فترة ما بعد الحرب الباردة بسبب التطور التكنولوجي في ميدان الإتصال ، وسائل النقل ، المراقبة الهشة للحدود النزاعات العرقية النزوح القسري .

هذه المظاهر الجديدة دفعت الناس الى البحث عن حياة افضل في بلدان أجنبية وحفزت انواعا مختلفة من الهجرة ، فظهرت تنظيمات و عصابات اجرامية مختصة تعرف بشبكات الهجرة السرية.

و في الأخير يشير لعشر إسماعيل[71] أن الحراق هو المهاجر السري السلبي والمطرود من كل الأوطان و الدول و الذي يحدث الكارثة و يحطم كل شيء. qui cause du tort à tous et à tout ، هذا الضرر يكون للقانون و التشريع الوطني ، للإتفاقيات الدولية ، للمهاجرين المقيمين لمدة طويلة ، للوطن و حدوده.

2-البعد الإجتماعي:

الهجرة الغير شرعية أو السرية تتحدد من خلال كلمة " **الحرقة** "، اصبحت في السنوات الأخيرة ظاهرة شدت انتباه المجتمع و السلطات العمومية و المسؤولين السياسيين و حتى الباحثين الجامعيين.

70,.د.رمضان محمد ، "الهجرة السرية في المجتمع الجزائري ، ابعادها و علاقتها بالإغتراب الإجتماعي "، دراسة ميدانية ، **مجلة المواقف** ، العدد 04 ، ديسمبر 2009 ، ص 193 .

71. Laacher smain , *Le peuple des clandestins*, édition Calmann-Lévy , 2007, p11.

فالتعريف الأول لهذه الكلمة الحرقة بدأ من الوسط الإجتماعي و خاصة الشارع ومعناه هي الحرق و اختراق فحسب الدراسة الميدانية التي قمنا بها[72] فالحراقة يرجعون الى صورة اقبالهم على الهجرة السرية و قيامهم بالمشروع ، يقومون بحرق وثائقهم الرسمية.

و هذا خوفا من تشخيص جنسيتهم و بذلك ارجاعهم الى بلدهم الأصلي و البعض الأخر عرف هذه الكلمة على انها تصف طريقة كمجازفة التي يتعرض اليها الحراق و لهذا فهو يحرق نفسه و هي تشخص الطريقة الإنتحارية التي تتم بها الهجرة.

مصطلح الحرقة هو حديث العهد في كل من الجزائر و المغرب و تونس (المغاربة) فهذه البلدان تشهد نفس الظاهرة و هذا بسبب قرب المسافة التي تفصل كل من شمال إيفريقيا و جنوب اوروبا.

شهدت سنوات التسعينات هذا النوع من الهجرة السرية في المجتمع الجزائري نحو أوروبا ، المصطلح يوحي عدم شرعية الفعل الهجري باقتحام الحدود الدولية ، رافضا الخضوع للإجراءات الادارية و القانونية التي تفرضها الدول الاوروبية (فيزا) فهو يتمرد على القانون. فالشائع أنه عند خرق قانون المرور مثلا عدم احترام اضواء المرور نقول حرق الضوء الأحمر.

معنى المصطلح يختلف حسب الاطار أو الوضعية التي يتواجد فيها الفرد أو بالأحرى الحراق و النقطة المشتركة هي حمل هذا المصطلح الصفة الغير شرعية و ايضا خلفية قساوة و خطورة الذي يضع نفسه الحراق فيها.

محمد نظيف[73] الإقتصادي يقترح معنى اخر لمصطلح الحرقة انه يحرق مراحل فالحراق يريد الحصول على كل شيء و فعل كل شيء و بطريقة سريعة. فهو يقصد الربح السريع أي الحصول في فترة قصيرة على عمل مربح و منزل ، سيارة و زواج ...الخ ، تحقيق كل الأهداف – الأحلام- .

72. كيم صبيحة ، "الحرقة و الشباب" ، دراسة ميدانية للمقبلين على الهجرة بميناء مدينة وهران ، مذكرة ماجستير ، جامعة وهران ، ماي 2006 ، ص 17.

73 .Nadif Mohamed , « La région du Tadla Azilal face aux migrations internationales », **journée d'étude,** organisée par la faculté des lettres et des sciences humaines, Université Béni Mellal, Maroc , le 22 avril 2006.

فنستنتج أن الحرقة تقع على كل من يقبل على الهجرة (نحو اوروبا) بدون وثائق بغض النظر عن الوسيلة (بحرا ، برا ، جوا). فهي تدل على عدم شرعية الهجرة- حسب القانون الهجرة الدولية - التي يقوم بها الفرد (انثى أو ذكر). و باختلاف اعمارهم.

الحرقة كما يصفها عراب شادية و سبرانس خوان[74] كفعل يتوقف عند وصول الحراق الى بلد الإستقبال و الإقامة (الغير شرعية) ، يتحول الحراق الى غير حامل للوثائق sans papiers، رحال nomade، هائم على وجه الأرضl'errant. فصورة الحراق تتحدد في طريقة العبور و الوصول الى بلد الاستقبال فهي قد تكون مدة قصيرة كالحراقة المغاربة و التي تسمح ان يهاجر بطريقة سريعة او مدة طويلة كالحراقة الأفارقة لاجتيازهم لعدة دول.

أما الباحث محمد رمضان[75] فيربط في مقاله الهجرة السرية بالظاهرة الإجتماعية وإنتماء هذه الظاهرة بالمجتمع الجزائري. " *ليست الحياة في المجتمع الجزائري بمنأى عن هذه الظاهرة التي اصبحت تسجل حضورها الشامل في الثقافة الجزائرية المعاصرة* " و يربط ايضا الهجرة السرية بالإغتراب فيصف مغامرة أو مشروع الهجرة السرية و يعرفها من خلال الاطار الإجتماعي بـ رحلة الإبحار في المياه المجهولة تبدأ من الإغتراب و تمر بطريق الخوف و الهلع و في اصل كل خوف او هلع يكمن القهر و التسليط و تنتهي بحالات من الإنتحار .

و حسب مهدي مبروك[76] التونسيون يستعملون مصطلحين للتعبير عن ظاهرة الهجرة السرية في الوسط الإجتماعي، الأول بـ الفلاقة fellagha و الثاني مزقري mazighri في فترة السنوات 1970 ، اما عن استعماله لمصطلح الحرقة في كتابه فهو يمثل شكل خاص للهجرة السرية اين المقبل على الهجرة السرية يحاول اجتياز

74.Arab Chadia, Souvannavong Juan David Sempere, « Des rêveurs aux bruleurs de frontière : les jeunes harragas maghrébins se dirigeant vers l'Espagne », **Revue MIGRATIONS SOCIÉTÉ**, vol 21, n=° 125, septembre-octobre 2009, p 2.

75. د.رمضان محمد، مرجع ذكر سابقا، ص 195.

76 .Mabrouk Mehdi, *Voiles et sel, culture, foyers et organisation de la migration clandestine en Tunisie* , les Éditions Sahar, 2010, p 36.

البحر الأبيض المتوسط عن طريق القوارب متجها إلى إيطاليا ،عابرين من ليبيا (دولة العبور) نحو جزيرة مالطا. و يضيف أن صورة السري le clandestin اصبحت تشكل الفوبيا في العالم من خلال الاعلام و الخطابات السياسية. فمنذ حوادث 2001 ، هذه الهجرة تعرف من خلال الخطابات كخطر و مهدد على أوروبا. فمثل هذا التصور يمس الفرد على المستوى الإنساني و كرامة المهاجر وحتى انه تحرمه من ادنى الحقوق و ايضا حرمانه من اي نوع من الحماية.

في بداية السنوات التسعينات ، غلق الحدود الاوروبية تؤدي إلى ظهور أو تواجد مختلف القوارب المستعدة للسفر و قطع البحر الأبيض المتوسط و في نفس الوقت ظهر مصطلح مستوحاة من اللغة العربية " حرق " " حراق " " حرقة " و الذي التحق بالقاموس و اصبح شائعا. و أصبحت الكلمة في حذ ذاتها رمزا ، فالحراقة هم أكثر من أعضاء ينتمون الى بلد و الذي يرون انه ليس فيه مستقبل.

فالمصطلح يحرق كل شيء :

- المراحل التي تتم من اجل الحصول على تأشيرة سفر و التي ليس لهم أية فرصة للحصول عليها لأنهم لا يجيبون عن الشروط المفروضة للحصول عليها.
- الحدود التي تمنعهم من محاولة الإجتياز لجنة عدن الأوروبية و تحديدا إلى الدول التي يستطيعون فيها تجربة فرصتهم مثل الذين ذهبوا من قبل.
- حرق وثائقهم (جواز السفر ، بطاقة التعريف) بحيث يعرفون جيدا هؤلاء الشباب و القصر انه لا تستطيع دولة الإستقبال طردهم اذا لم يتم تحديد هويتهم (جنسيتهم) .

و هي تضيف انهم يحرقون الكثير من الأشياء ، في بعض الحالات حتى حياتهم[77].

77. Virginie Lydie, op cit, p 17.

3- البعد الثقافي :

تشير الباحثة ليدي فرجيني[78] في كتابها الى عنصر مهم وهو ثقافة الذهاب وتوضح ان الظروف القاسية للمجال الإقتصادي و الصراعات السياسية و تأزم المحيط الإجتماعي ، كل هذه الدوافع لا تسمح لفهم ، تواجد الهجرة في بعض المناطق على غرار المناطق الأخرى و التي تعيش نفس الظروف و ايضا لا تفسر ذهاب بعض الأفراد و بقاء الأغلبية.

فهي تجيب ان بعض المناطق تعد "منطقة هجرية محضة" ، ففي تونس المناطق الساحلية تعد من اهم المناطق الهجرية و تبرز فيها قوة و عراقة التقاليد البحرية الهجرية و العلاقات التي تربطها بفرنسا.

و حسب تصريح أحد أفراد منطقة بيزرت ان كل العائلات لديها احد افرادها في فرنسا ، و المنازل الفارغة التي ترونها بنيت من اموال المهاجرين و إذا اتيتم في موسم الإصطياف (جويلية و أوت) ترون كل السيارات المرقمة بالرقم الفرنسي.

الحراق يعد النموذج المهيمن في المجتمع الجزائري، فالهجرة تعتبر من المشاريع المستقبلية للشباب ، هذا يظهر من خلال إحصائيات الدراسات حول الشباب. فالمركز الوطني للدراسات و التحليل الديموغرافي و التطور ، قدم إحصائيات معبرة عن هذه الرغبة حيث تقدر هذه النسبة 37% من الشباب الذي يتراوح سنهم ما بين 15 الى 29 سنة و 43,5% للذكور و 29,1 % للإناث . دراسة أجريت على 200 شاب و عن تصريح رغبتهم في الهجرة تقدر بـ 59,5 % و نصفهم 25,5 % يصرحون بإستعدادهم للهجرة السرية أما 33,5 % فيفكرون في الحرقة[79].

78. Ibid, p 47-48.

79.Lakjaa Abdelkader, « La jeunesse algérienne entre valeurs communautaires et aspirations sociétaires », in Algérie France jeunesse, ville et migro marginalité, sous la direction d'Hervé cellier, Abla Rouag Djenidi, édition l'Harmattan, 2008, p 51.

هؤلاء الأوائل في الهجرة السرية أي السباقون فيها يضعون الأمثلة الجذابة لأمثالهم من المقبلين عليها من خلال الأخبار التي تنتشر بسرعة في الأحياء التي يسكنها هؤلاء الشبان الراغبون و الباحثون عن الهجرة بأي طريقة. و حسب دراسة أجريناها[80] حول ظاهرة الهجرة السرية فإن الشاب تطغى عليه رغبة الهجرة السرية كوسيلة للتعبير عن ميله لتحقيق الحرية الفردية " **باغي نعيش** " بدون أن يربط ذلك بالواقع و بما لديه من إمكانيات مختلفة، معرفية، إقتصادية و تحت ضغط الغيرة من الآخرين الذين شقوا الطريق و نجحوا بطريقة عشوائية و التي تعتمد على الصدفة.

تشير كاترين ويدلو ويندان[81] أن العوامل الجاذبة هي أكثر أهمية من العوامل الدافعة ، وهي الطرد نحو الخارج. فليست الكثافة السكانية و الفقر من العوامل الأساسية التي تدفع الأفراد للذهاب من بيوتهم و وطنهم. لكن حتى العوامل الثقافية أين تهيمن فيها الغاية الفردانية التي لها مكانتها في اسباب ظاهرة الهجرة السرية.

في نفس المسار، تؤكد ماري تراز تيتو[82] التحول إلى مهاجر سري هو مسار مثل المسارات الأخرى لغرض الثراء و البقاء على قيد الحياة لكن الأهم هو عمل شيء في حياة الفرد و الهجرة السرية هي مرحلة من مراحل الحياة التي تفرض على الفرد المرور بها من خلال الظروف المعاشة وهي استراتيجية تتجسد صورتها على شكل ثوار des guerriers و الذين يعرفون القانون و حدوده و اختاروا ان يكونوا مجازفين des caméléons .

فظاهرة الهجرة السرية تتحول إلى عمل بطولي ع

ند نجاح الفرد، فيصبح من رواد التجارب الناجحة و مثال حي للرجولة و البطولة لبعض الشباب، و يظهر هذا عند رجوعه إلى وطنه و عليه آثار النعمة و إفتخاره بما قام به، و سرد تجربته في شكل جذاب يغري السامعين بأنه عمل بسيط و سهل، يمكن التفكير فيه و محاولة

80. كيم صبيحة ، مرجع ذكر سابقا ، ص 144 .

81 .Wihtol de Wenden Catherine, « Motivations et attentes de migrants », **Revue PROJET**, dossier migration et frontières, Décembre 2002/4, n°= 272, p 48. http://www.cairn.info/revue-projet-2002-4.htm

82 .Têtu-Delage Marie-Thérèse, « La migration au risque de l'illégalité entre France et Algérie (1998-2004) » , **Revue REMI**, vol 24-n°= 3, 2008, p120. http://remi.revues.org/4831

تطبيقه في الهجرة السرية. و لهذا يشير لعشر إسماعيل[83] في تحديده لمفهوم الحراق بأنه يتقمص دور البطل الجديد Le nouveau héros في هذا العصر الحديث. و الذي يواجه فيها الحدود الدولية .

و أيضا عرض الإعلام للقصص البطولية، مثلما تجلى في قصة الشاب المدعو عبد القادر التيتانيك[84] التي تناولتها مختلف الصحف في مدينة وهران على مدى أسبوع و انتشارها في الأحياء المختلقة للمدينة و إتباع الجرائد للإجراء القضائي الذي إتخذته السلطات الجزائرية ضد فريق الباخرة الأجنبية.

و لشبكات الهجرة دور في تشجيع الهجرة السرية من خلال التأثيرات الإيضاحية المتمثلة في الإغراء، و هو زيارات الجالية للبلد الأصل و ترويج أموالها والإفتخار بهجرتها و نجاحها.

و ينظر إلى شبكات الهجرة كشكل من أشكال الرأسمال الإجتماعي، بقدر ما هي تعد ضربا من العلاقات الإجتماعية، التي تتيح الوصول إلى سلع أخرى لها مغزى اقتصادي، مثل التوظيف و الأجور الأكثر ارتفاعا. و أول من قدم وجهة النظر هذه هو دوجلاس ماسيه[85] مستلهما لها من نظرية الرأسمال الإجتماعي المرتبطة بأسماء بارزة، مثل جيمس كولمان، و بيير بورديه.

و إضافة إلى ما ذكر سابقا تلعب شبكات الهجرة دورا مهما في مساعدة المقبلين على الهجرة السرية أو تثمين العلاقات الأسرية عن طريق الزواج أو المصاهرة بل إتسعت إلى مجالات أخرى كنقل البضائع في أشكال مختلفة، من أجل التصرف فيها مع الإحتفاظ بجزء يتفق عليه بين المرسل و المرسل إليه و هذا ما رسخ نشاط تجارة الشنطة (البزنسة) و أيضا المساعدات المالية التي ترسلها الجالية إلى أسرهم في البلد الأصل نشطت بشكل كبير سوق العملة الغير الرسمي (التبادل النقدي).

---

83. Laacher Smain, op cit, p 11.

84. زمام عائشة ، عبد القادر تيتانيك ، **جريدة الجمهورية** ، 31 أوت 2002.

85. جواكين آرنجو، "تفسير الهجرة : المداخل المفاهيمية و النظرية" ، **المجلة الدولية للعلوم الإجتماعية** ، الهجرة الدولية عام 2000 ،مركز المطبوعات اليونسكو، القاهرة العدد 165 سبتمبر 2000 ، ص 63 .

ماري تراز تيتو[86] تشير من خلال دراستها للهجرة في المجتمع الجزائري إلى أن الذكر يعتقد انه النموذج الأكثر نجاحا هو البزناسي، هو الفاعل الذي يعمل في مجال التجارة الغير الرسمية و هو يسافر من منطقة الى اخرى خاصة في أوروبا و الدول الأخرى و هذا العمل الغير رسمي يربحهم أموالا كثيرة التي يشكلون من خلالها مكانة احسن من الفئات الاخرى فالشباب يبحثون عن المكانة التي لا تمنحها لهم مجتمعاتهم الأصلية.

الشباب يتظاهرون بأنهم يهاجرون من أجل الهروب من آفة البطالة بينما هم في الواقع يتذمرون من ضعف المردود من ممارستهم للأعمال غير الرسمية فهم يطمحون إلى ربح سريع و مريح و البزنسة كنموذج له علاقة بالهجرة و شبكاتها يعد من أهم صور النجاح في المجتمع و التي لا تحتاج الى مستوى تعليمي أو معرفة بل تحتاج الى شطارة و قفوزية.

فالحراك و التنقل كما تبينه ماري تراز تيتو[87] هو من اجل بناء حياة الفرد و تحقيق نجاحه من خلال الحصول على الوثائق الإقامة و المال و اعتراف المجتمع بالفرد القادر على تخطي كل شيء و النجاح في حياته.

إن نجاح الحراق من الصور الإيجابية في المجتمع لكن في المقابل اذا اصطدمت هذه المجازفة بالفشل فمكانة الشاب تهتز بشكل مباشر و تتأثر رجوليته حيث تصف مري تراز تيتو[88] أن الطرد هو رمز الفشل الذي يعني الموت الاجتماعي وإسماعين لعشر[89] العودة بدون أي شيء ، العودة بدون ربح ، العودة هي عبارة عن خسارة حقيقية و التي تعاش من طرف الفاعل على انها اهانة جماعية (للفرد و اسرته) و اهانة اجتماعية ذات تأثير رمزي القوي (الاحساس بالعار ، تأنيب الضمير و اعادة اعتبار مكانة الاسرة في المحيط الاجتماعي ...).

86.Têtu-Delage Marie-Thérèse, op cit, p117.
87. Ibid, p117.
88. Ibid, p 117.
89. Laacher Smain, « Partir pour le bout de la terre », **Revue Critique International**, 2003/02, n°= 19, p29.

الرجوع إلى الوطن للحراق هو خيبة أمل نتيجة عدم نجاحه في اجتياز الحواجز التي اعترضته و بالرغم من ذلك فإنه يعيد المحاولة و يصر عليها للدفاع عن شخصيته كذكر و كشاب قوي و من ناحية اخرى للمحافظة على مكانته العائلية في المجتمع.

III -إحصائيات الهجرة السرية في الجزائر :

نصر الدين حمودة[90] يشرح في تقريره أنه يوجد نوعان من الهجرة الغير شرعية الجزائرية.

الفئة الأولى : تتمثل في المهاجرين الذين التحقوا الى اوروبا (دول الإستقبال) بطريقة شرعية ، ثم تحولوا الى مقيمين غير شرعيين او الى لاجئين سياسيين.

الفئة الثانية : ويسميها الحارقين لكل المراحل و هم الحراقة les harragas ويحدد جنسهم ذكورا و إناثا، رجالا و نساءا و هم الذين يبحرون بطريقة غير شرعية على متن باخرات للإلتحاق بموانئ دول الشمال.

و يعطي احصائيات رسمية (غير مذكور المصدر)،

- سنة 2000 ايقاف 141 حراق بميناء وهران
- سنة 2001 ايقاف 161 محاولة الإبحار السري
- السداسي الأول من سنة 2002 ايقاف 143 حراق

و هذا ما يدل على ارتفاع محاولة الهجرة السرية و يعكس أيضا ارتفاع عدد المحاولات الناجحة.

90 .Hammouda Nacer Eddin, « Algérie : démographie et économie des migrations », Migrations méditerranéennes**, Rapport CARIM 2005** , sous la direction de Philippe fargues , p 69. http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/3294/AR2005CARIM.pdf?sequence=1

حسب احصائيات التي جمعها مهدي لحلو[91] من جريدة إسبانية و هي كالاتي :

جدول رقم 04 : يمثل عدد الموقوفين (الحراقة) في إسبانيا ما بين 1996 – 2000

السنوات	الموقوفون الجزائريون
1996	**815**
1997	**1050**
1998	**1002**
1999	**661**
2000	**253**

إنخفاض في الأعداد يكون بسبب المراقبة المشددة التي تقوم بها الدول الاوروبية وخاصة في مناطق العبور المشهور كممر جبل طارق و جزر الكناري Les iles canarie و اقامة نظام حراسة في البحار الاسبانية المسمى بـ SIVE و الذي أنشئ سنة 2002.

إرتفاع عدد الموقوفين يؤكد أيضا على إرتفاع نجاح الحراقة الذين استطاعوا الوصول الى اسبانيا او فرنسا او ايطاليا.

و حسب ما تم عرضه من إحصائيات حول ظاهرة الهجرة السرية في الجزائر عرض الباحث حسين عبد اللاوي[92] هذه المعلومات في الجدول التالي:

91. Yárnoz Carlos , « Bruxelles vise à créer UE-Maroc patrouilles conjointes pour contrôler la migration illégale », **Journal el pais**, 6 octobre 2002. http://elpais.com/diario/2002/10/06/internacional/1033855210_850215.html

92.Labdelaoui Hocine, « Harga ou la forme actuelle de l'émigration irrégulière des Algériens » , **CARIM** , 2009/18, p 2-3. CARIM_ASN_2009_18.pdf

جدول رقم 05: يمثل عدد المقبلين على الهجرة السرية الموقوفين من طرف حراس السواحل الجزائرية .

السنوات	العدد الموقوفين	العدد المطرودين	العدد المرجعين
2005	336	1871	4342
2006	1016	2050	3880
2007	1568	1487	2699
2008	1335	من 2007 إلى 30-2007-08	من 2007 إلى 30-2007-08
المجموع	4255	5008	10921

ملاحظة : هذا الجدول معد بجمع المعلومات المقدمة من طرف الصحف الجزائرية و مصالح حراس السواحل الجزائرية.

إذا اعتمدنا على هذه الأعداد التي تشير إلى الأشخاص الموقوفين من طرف حراس السواحل ، فنلاحظ أن ظاهرة الحرقة أخذت مكانة مهمة منذ سنة 2005 و مواصلة هذا النمو حتى سنة 2006 و 2007 و هذا مؤكد من تضاعف العدد في هذه السنوات حيث سجل ارتفاع العدد من 2005 إلى 2006 بـ 150 % و من 2006 إلى 2007 بـ 50 % و نسجل تراجع طفيف في سنة 2008.

حاولنا جمع الإحصائيات من مختلف المصادر خاصة لسنوات الأخيرة ، فحسب تقرير جمعية حقوق الإنسان الأندلسية (APDHA) ، أنه تم القبض على 1464 في سنة 2010 و قامت السلطات الإسبانية بطرد 1400 مهاجر سري جزائري في نفس السنة . و من خلال الدراسة الميدانية ، قدمت لنا مديرية الأمن ولاية تلمسان إحصائيات عن المهاجرين السريين المطرودين ، لسنة 2010 و 2011 و المبينة في الجدول التالي:

جدول رقم 06 : يمثل عدد المهاجرين السريين المطرودين من إسبانيا لسنة 2010 و 2011

مراكز الحدود	سنة 2010	سنة 2011
ميناء الغزوات (المجال البحري)	672	577
مطار مصالي الحاج (المجال الجوي)	08	14
مركز الحدود بالعقيد لطفي مغنية (المجال البري)	56	161
المجموع	**736**	**752**

IV - دراسات للهيئات مختلفة حول الهجرة السرية :

حاولنا جمع الدراسات من مختلف الهيئات الحكومية و الغير الحكومية كمراكز البحث و التقارير العلمية و اتحاد البحوث التطبيقية حول الهجرة CARIM ، من أجل تحديد كل من تيبولوجيا الحراق و الدوافع الهجرة السرية في المجتمع الجزائري ، ومن أهم الدراسات هي دراسة التي قامت بها و وزارة التضامن في سنة 2007 ومصلحة الدرك الوطني سنة 2008 ، والمسح الذي قامت به جريدة الحرية[93] في 14 نوفمبر 2008.

إستعانة الجريدة بمجموعة من الباحثين و تمت الدراسة في خمس ولايات في الوسط و خمس ولايات في الغرب و أربع في الشرق و تتكون الاستمارة لـ 14 سؤال تنقسم إلى جزئين الجزء الأول يتعلق بتحديد التشخيص سوسيوديمغرافية للشاب ، أما الجزء الثاني فيتعلق بالأسئلة التي تعالج ظاهرة الحرقة.

93.Koudil Salim, « Sandage exclusif de liberté sur l'émigration clandestine », **le journal liberté**, 3 Décembre 2008, n=° 4937.

1- تيبولوجيا الحراق :

أ- الجنس :

الهجرة السرية في بادئ الامر كانت تقتصر على الرجال ثم اصبحت تمس كلا الجنسين الذكور و الأنثى .

الأنثى اليوم تخوض المغامرة مثل الذكر و تحت ظروف قاسية و خطرة و من المعتاد ان تكون المرأة في القوارب مع الرجال لاجتياز البحر و جبل طارق كما صرحت به الجريدة الاسبانية ABC [94] أنه تم ترصد قاربPateras به 15 إمرأة وممرر من طرف شرطة الحدود الاسبانية. و يضيف لحلو[95] ان واحد من خمسة مهاجرين سريين يعد إمراة .

هذا يعني أن ظاهرة الهجرة السرية قد تطورت و انتشرت لتشمل الجنسين فهي لا تقتصر على جانب القوة الجسدية بل ان المرأة (الأنثى) تستطيع تحمل المشاق والمغامرة و المجازفة فهي أيضا لها قدرة الاحتمال و الطاقة الجسدية لذلك فتظهر أن المرأة لا تقتصر على الذهاب عن طريق الزواج الابيض بل هي أيضا تذهب لوحدها و اختارت الهجرة السرية كمشروع للهجرة.

تجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسات قد سكتت عن مشاركة نساء الجزائر في هذا النوع من الهجرة ، فنساء جنوب البحر الأبيض المتوسط، كغيرهن من النساء غير متأهبات لأن يلقين بأنفسهن في التهلكة[96] .

ب- السن :

يختلف تقدير سن المهاجر السري فالأعمار تختلف فتبدأ من اقل من ثمانية عشر سنة فهي تمس حتى القصر منهم les mineurs.

94. ABC.es, 23 juin 1999.

95. Lahlou Mehdi, « Les migration irrégulière entre le Maghreb et l'union européenne : évolution récentes », Rapport de recherche, **CARIM,** 2005/03, p 8. **CARIM**-RR05_03_**Lahlou**.pdf

96. جون لوي فيل ،مرجع ذكر سابقا ، ص 317.

فحسب التقرير لليوم الدراسي تحت عنوان " الوضعية الحالية للهجرة السرية في الجزائر " و مناقشة وضعية الشباب المطرودين من اوروبا و الحراقة ، الذي قامت به كل من مركز شرطة الحدود و المركز الوطني للشرطة الوطنية و وزارة التضامن الوطني ، سنة 2007 لعينة 126 حراق جزائري[97].

جدول رقم 07 : يمثل سن الحراقة

السن	ذكر	
	تكرار	%
أقل من 18 سنة	3	%2,38
25 – 18	48	%38,10
30 – 26	40	%31,75
35 – 31	24	%19,05
40 – 36	8	%6,35
أكثر من 40	3	%2,38
المجموع	126	%100

97. Labdelaoui Hocine, op cit , p 4.

فالحراقة أقل من 35 سنة يمثلون 28,28 % فهذا دليل ان الحراقة هو من فئة الشباب فهم الذين يجازفون و يذهبون من بلدهم الاصل الى اوروبا عن طريق اجتيازهم القوانين و الحواجز و مراقبة الشرطة.

حسب خشاني محمد[98] ان الهجرة السرية مست فئة حساسة الاطفال القصر وتواجدهم اصبح ملفت للانتباه في بعض المدن الاسبانية كمدريد و برشلونة و هؤلاء الاطفال اغلبهم اطفال يعلمون بطريقة غير شرعية و يحاولون تحقيق مشروع حياتهم من خلال مشروع الهجرة. تقدر نسبة 13,2 % أنثى و 23,3 % ذكر لديهم إختيار بلد الاستقبال إسبانيا و إيطاليا.

وحسب دراسة عراب شادية[99] أنه المقبل على الهجرة السرية le candidats au départ أغلبيتهم شباب ما بين 20 و 30 سنة.

حسب الدراسة التي قمنا بها في مذكرة الماجستير فكانت كافية لترصد السن المتوسط للهجرة السرية أنه كل من كان سنه صغيرا كل ما كانت المشاق الجسدية أهون وأسهل على الفرد الكاهل الأكثر من 40 سنة فهذا ما يعزف هذه الفئة لإختيار هذا النوع من الهجرة و القيود الاجتماعية التي تمنعه.

في تقرير لحلو[100] يحدد خصوصية المهاجر الغير شرعي le migrants irrégulier في انه يتراوح سنه من 18 سنة الى 32 سنة و أغلبيتهم ذكورا و لكن في الوقت الراهن في خمس حالات يوجد إمراة.

أما وزارة التضامن توصلت في سنة 2007 ، إلى أن 54 % من الحراقة يتراوح سنهم ما بين 18 و 28 سنة و 36 % ما بين 29 الى 40 سنة.

98. Khachani Mohamed, op cit , p 4.
99 .Arab chadia, « Le hrrague ou comment les marocains brulent les frontières », **Revue Hommes et Migrations**, n =° 1266, 2007, p 85.
100. Lahlou Mehdi, op cit, p 8-9.

ج- الحالة العائلية :

عبد اللاوي حسين [101] يشخص الحالة العائلية للحراقة المدروسين في الجدول التالي:

جدول رقم 08 : يبين الحالة العائلية للحراقة

حالة العائلية	ذكـر	
	تكرار	النسبة
أعزب	99	%78,57
متزوج	20	%15,87
مطلق	5	%3,968
أرمل	2	%1,58
المجموع	126	%100

الحراق العازب يمثل أعلى نسبة أما بالنسبة للمتزوجين و المطلقين فالمسؤولية العائلية لا تمنع من الانخراط في هذه الظاهرة فهي لا تعد حاجزا لخوض الهجرة السرية.

وزارة التضامن في سنة 2007 ، أما عن الحالة المدنية فأغلبهم عزاب يقدرون بـ 58% . أما في دراسة قامت بها مصلحة الدرك الوطني[102] سنة 2008 ،الحراقة الذين يتراوح سنهم اقل من 29 سنة يقدرون بـ 67 % و العزاب هم ايضا كثيرون ويمثلون 80 % و المتزوجون 19 % و المطلقين 01 % .

101 . Labdelaoui Hocine, op cit , p 5.

102. Commandement de la gendarmerie nationale, « la migration irrégulière », **Rapport** 2008.

د-المستوى الدراسي:

حسب الدراسة التي قام بها مركز شرطة الحدود[103] شخصت المستوى الدراسي للحراقة حسب الجدول التالي:

جدول رقم 09: يمثل المستوى الدراسي للحراقة

السن	ذكر	
	تكرار	%
أمي	2	%1,59
إبتدائي	20	%15,87
متوسط	63	%50,00
ثانوي	29	%23,02
جامعي	8	%6,35
بدون إجابة	4	%3,37
المجموع	126	%100

نلاحظ تطور المستوى الدراسي للحراق ، بإرتفاع مستواه الدراسي يؤكد تمكنه من القراءة و الكتابة و إتقانه اللغة الأجنبية (فرنسية أو إسبانية) و هم يمثلون نصف العينة و ظهور فئة الجامعيين.

كما يوضح محمد خشاني[104] في مقاله ان الحراق قديما كان يعرف باميته او تكوينه المهني البسيط جدا. اما في الوقت الراهن ، فالحراق يملك مستوى دراسي لابأس به و هو يرتفع أكثر فأكثر حتى مس الجامعيين و المتفوقين في التكوين المهني.

103. Ibid, p5.
104. Khachani Mohamed, op cit, p4.

عراب شادية [105] هي ايضا تؤكد ما سبق حسب دراستها ان هؤلاء الحراقة كانوا بعضهم حائزين على شهادة و البعض الآخر وصلوا إلى المستوى الثانوي والبعض الآخر متحصلين على شهادة البكالوريا و حتى أنها إلتقت بحراق متحصل على شهادة الماجستير في البيولوجيا ، و أغلبيتهم يعرفون الكتابة و القراءة و هذا ما يؤدي الى الاختلاف الموجود بينهم و بين المهاجرين السنوات الستينات، الذين كانت أغلبيتهم أميين.

و يضيف **لحلو**[106] يتوقف تكوينه الدراسي في المرحلة الثانوية أو قبل حصوله على شهادة البكالوريا و في بعض الحالات واصل دراسته في الجامعة و تحصل على شهادة ليسانس او شهادة معادلة في الحقوق أو الأداب أو في التسيير أو التجارة الدولية.

جدول رقم 10 : المهاجر المغربي نحو فرنسا حسب المستوى الدراسي

الجنس	**ذكر**	
المستوى الدراسي	تكرار	النسبة
جامعي	3	%9,68
تكوين مهني	1	%3,23
بكالوريا	1	%3,23
ثانوي	19	%61,3
تعليم اساسي	4	%12,9
بدون مستوى	3	%9,68
المجموع	31	%100

105. Arab chadia, op cit, p 85.
106 .Lahlou Mehdi, op cit, p 8-9.

فالجدول يبين عكس المهاجر السري في الماضي سنوات 1960- 1970 ، الذي يتمثل في المهاجر الذي ليس له مستوى دراسي أو مهني . أما اليوم ، فالمهاجر السري الذي لا يملك اي مستوى دراسي لا يمثل سوى 10 % من المجموع حسب الجدول السابق.

و يضيف **لحلو** [107] يتوقف تكوينه الدراسي في المرحلة الثانوية او قبل حصوله على شهادة البكالوريا و في بعض الحالات واصل دراسته في الجامعة و تحصل على شهادة ليسانس او شهادة معادلة في الحقوق او الاداب او في التسيير او التجارة الدولية.

وزارة التضامن في سنة 2007 ، المستوى الدراسي يقدر بـ 40 % من المرحلة الأساسية (المدرسة و المتوسط) أما عن المستوى الدراسي فيتمثل في مستوى التعليم الثانوي يقدر نسبة بـ 89 % أما الفئة التي لها مستوى التعليم الجامعي بـ 2,15 % .

و- المهنة :

حسب تصريح الباحث الجغرافي **بن ساعد**[108] فهو يشخص الحراقة بأنهم اغلبيتهم لديهم شهادة و يعملون. و حسب الدراسة التي اجراها مركز شرطة الحدود الجزائرية[109].

107.Ibid, p 10.
108 .Marmie Nicolas, interview avec Bensaad Ali, **Jeune Afrique**, n° 2510, 15-21, février 2009, p 26.
109. Labdelaoui Hocine, op cit , p 5 .

الجدول رقم 11 : يبين مهنة الحراق

الوضعية المهنية	ذكــر	
	تكرار	النسبة
بدون عمل	101	%80,16
يعمل	25	%19,84
المجموع	126	%100

إن هذه الدراسة لاتحدد نوع العمل الذي يقوم به الحراق ، أما عن عدم عمله أو بطالته ، فهو يبقى الأمر غامض، فالبطالة هي عدم العمل الرسمي القانوني فرغم هذا يستطيع أن يعمل الحراق في عمل غير رسمي (كالبزنسة) ، فيعد له دخل مادي و الدراسة لم تستطع التعمق في هذا الجانب المهم لكي نتعرف عن سبب هجرته هل هي البطالة أو دافع آخر؟

حسب دراسة التي قامت بها وزارة التضامن في سنة 2007 ، فقد قدرت نسبة 90,50 % من الحراقة هم بطالون.

أما دراسة قامت بها مصلحة الدرك الوطني[110] سنة 2008 عن البطالين فيقدر نسبتهم 79 % و حسب دراسته يظهر أن المهاجر السري هو تاجر أو فلاح صغير petit exploitant agricole أو بطال.

110. Commandement de la gendarmerie nationale, « la migration irrégulière », Rapport 2008.

جدول رقم 12 : يمثل مهنة المهاجرين السريين الافارقة في بلدهم الأصلي

المهنة	ذكـر	
	تكرار	النسبة
فلاح	6	%6,31
تاجر / حرفي	27	%28,42
عامل	20	%21,05
جامعي	14	%14,74
موظف	6	%6,31
ملتحق بالجيش	2	%2,10
راهب	2	%2,10
عمل حر او فكري	6	%6,31
بدون عمل	12	%12,63
المجموع	95	%100

فحسب دراسة لحلو مهدي[111] ، إستنتج أن *المهاجر السري ليس بطال و لا امي ولا فقير* .

فيتحول الحراق حسب ما ذكر سابقا انه فاعل لديه مستوى دراسي (تتمثل في شهادة جامعية / مهنية) و لديه دخل مادي (من عمل رسمي او غير رسمي) و ينتمي الى الطبقة المتوسطة الفقيرة فهذا الفقر حددته عراب شادية **بالفقر الإجتماعي**[112] le pauvre socialement.

111. Lahlou Mehdi ,op cit , p 10
112. Arab Chadia , op cit , p 85.

يفسر لحلو مهدي الفقر الاجتماعي بأنه ليس الفقر المادي الذي يكونون فيه عند قرار الذهاب و الهجرة بل هو الخوف منه و بمعنى آخر هو التكهن به و القلق من المستقبل و الخوف من التهميش و غياب الرؤية نحو الامام و الأمل.

فهو الفقر المنتشر الذي يتغذى من الوضعية العائلية، العائلة التي اغلبية افرادها لا يعملون و أيضا ضعف المصادر المادية للوالدين (تقاعد) ، في هذه الوضعية وظروف الوالدين و العائلة تضع كل أمالها في ذهاب أحد أبنائها لكي يغنى ويستطيع تحمل أعباء العائلة و مساعدة أفرادها كإخوته و أخواته.

و مع هذه الوضعية يضاف غياب الخدمات العمومية كضعف الرعاية الصحية ونقص المساحات الخضراء و المرافق الاجتماعية و الحرمان من الحرية ، العلاقات الصراعية بالدولة و الاسرية و يرافقها الاحساس بالخوف . كل هذه العوامل تحدد الفقر الوضعي الذي يشجع على الهجرة أما الفقر التام فيحرم الفاعل من الوسائل والإمكانيات التي تؤدي إلى الذهاب و الهجرة[113].

2- دوافع الهجرة السرية :

أ- الدافع الإقتصادي:

حسب تقرير **مهدي لحلو**[114] ان المغاربة، دافع هجرتهم و ذهابهم نحو أوروبا هي البطالة التي تشهدها المدن و خاصة بالنسبة لحاملي الشهادة و شساعة فارق مستوى العيش مقارنة مع أوروبا.

قد بين تقرير المنظمة [115] The Organisation for Economic Co-operation and Development (OECD)عن البطالة في الجزائر و التي تعتبر أن نسبتها تبقى مرتفعة في المنطقة المغاربية ، رغم تدعيم القطاع العمومي بمناصب العمل في كل من القطاع الخاص و الإستثمار. فقد تم تقليص نسبة البطالة في السنوات الخمس الأخيرة إلى النصف ، فإنتقل من 30 % في سنة 2001 إلى 15,3 % سنة 2005 و إلى 12,30 % في سنة 2006 (المبين في الجدول رقم 12). و يضيف أن نسبة البطالة التي تمس الشباب ، مرتفعة في المنطقة الحضرية و تقدر بـ 12,8 % ،

113.Lahlou Mehdi, op cit, p10.
114.Ibid, p2.
115. Algérie, Perspectives économiques en Afrique, Édition OCDE, 2008, p 129-144.
www.oecd.org/fr/dev/emoa/40568587.pdf

أما في المنطقة الريفية تقدر بـ 11,5 %و تمس أيضا النساء بنسبة 14,4 %أكثر من الرجال بنسبة 11,8 % .

Tableau N° 13 : Evolution du taux de chômage en Algérie[116].

Année	1994	1995	1996	1997	1998	1999	2000	2001	2002
Taux de Chômage %	24,3	28,1	28,2	28,6	28,0	29,2	30,0	27,30	27
Année	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011
Taux de Chômage%	23,7	17,7	15,3	12,3	13,8	11,3	10.20	10,00	-

Source : construit sur la base des données de l'ONS.

و من خلال مقال الباحثتان[117] عن إشكالية البطالة في المجتمع الجزائري فهما يتعرضان إلى الآثار المختلفة (الإقتصادية و الإجتماعية ، النفسية) التي تحدثها ظاهرة البطالة على الشباب .

- تطور ظاهرة هروب الأدمغة في وسط الشباب الحامل للشهادة ، بفعل عدم توفر مناصب للكفاءات العليا.
- إنتشار العمل الغير الرسمي ، و أيضا في المجال الغير الشرعي (المخدرات ، التجارة التهريب ...) بسبب سبات النظام الإنتاجي و عجز الدول في إمتصاص اليد العاملة .
- إنخفاظ المستوى المعيشي للأسر بسبب البطالة.

116. Zerkak Sabrina, Mekhmoukh Sakina « La question du chômage et de la promotion de l'emploi en Algérie », p 5. *www.iefpedia.com/.../La-question-du-**chômage**-et-de-la-promotion*-de-l'emploi-en Algérie

117. Ibid, p 6.

- تأزم العلاقات الإجتماعية و الأسرية و الإنسانية.
- ظهور الآفات الإجتماعية.

و حسب الديوان الوطني للإحصائيات في الجزائر أن نسبة الشباب الأقل من 29 سنة هي 67 % من مجموع السكان و تقدر نسبة البطالين بـ 75 %.

و يصف الباحثان[118] أن الجزائر تعرف تأخر إقتصادي و البطالة مست المناطق الريفية خاصة التي تتعرض الى ظروف قاسية كل يوم و القدرة الشرائية للمواطنين قد تضاءلت و ضعفت بشكل ملحوظ حتى أصبحت بعض المواد الغذائية الأساسية تعتبر من الأمور الرفاهية.

وحسب دراسة قام بها المعهد الوطني للإحصاء و الإقتصاد INSEA والموجه في الرباط حول الجالية المغربية المقيمة في أوروبا تبين أن أغلبية دوافع الذهاب نحو مختلف الدول الأوروبية كانت الدافع الإقتصادي[119].

فيعد تقريبا إثنان من ثلاث حالات كان دافع ذهابه هو تحسين المستوى المعيشي من خلال عمل بأجر أعلى (أحسن) أو البحث عن عمل.

118. Arab Chadia, Sempere Souvannavong Juan David, **Revue MIGRATIONS SOCIÉTÉ**, vol 21, n°= 125, Septembre-Octobre 2009, op cit, p4.
119. Têtu-Delage Marie-Thérèse, op cit, p 53 .

جدول رقم 14 : يبين الأسباب الرئيسية للهجرة[120]

الدافع		النسبة المئوية	
		%	المجموع
الدافع الإقتصادي	البحث عن عمل ذات اجر مرتفع	29,8%	64,6%
	البحث عن عمل	21,8%	
	تحسين المستوى المعيشي	13%	

يشخص محمد خشاني[121] الفئة التي تمسها البطالة بأنها : الفئة البطالة تتمثل اغلبيتها بشباب و التي يبلغ سنها اقل من 30 سنة. و ايضا يشير الى ارتفاع نسبة بطالة حاملي الشهادة الجامعية ، اما عن مدة البطالة فهي تتراوح ما بين سنة أو اكثر و التي تمس فئة كبيرة من الفاعلين. و غيابا لنظام منحة البطالة بسبب تسريح العمال لغلق المصانع فيعتبر عقاب للبطالين الجدد. Population active en chômage

و يعتبر أن الإقتصاد الوطني ليس في إمكانه إمتصاص هذه البطالة الكثيفة و إيجاد مراكز توظيف للشباب العاطل و الذين يطالبون بالعمل و حيث ان تراكم عدد البطالين في تزايد مستمر في كل سنة.

هذا الضغط في سوق العمل يؤدي الى نسبة كبيرة و قوية للهجرة و بطريقة سرية وهذا النوع من الهجرة يعرف رواجا و انتشارا مهما ما بين الضفتي البحر الأبيض المتوسط.

120. Source du tableau : Enquête sur les marocains résidant a l'étranger, Publications de l'INSEA , Rabat, 2000.
121. Khachani Mohamed, op cit, p 5.

و في المقابل يقول **حسن عبد لاوي** [122] ، ان الوقاية من الوضعية الإقتصادية المتأزمة تفسر اجابة الحراقة التي تتعلق بالبطالة لتبرير الهجرة السرية.

جدول رقم 15 : أسباب الهجرة السرية

الأسـبـــاب	**ذكـــر**	
	تكـــرار	**%**
الوقاية من البطالة	104	82,54%
تحسين من الظروف المعيشية	22	17,46%
المجموع	126	100%

فيعتبر ان اختيار و قرار الهجرة السرية يظهر من خلال اجابات الحراقة على أنه استراتيجية تسيير مسار مهني une stratégie de gestion de parcours professionnels

الحراقة يذهبون من أجل البحث عن عمل لا يجدونه في بلدهم الأصلي، و ذلك بسبب نقص عروض العمل المتاحة في سوق العمل و صعوبة ايجاد عمل يتوافق مع ما ينتظره او يأمله الفرد. اما عن الذين يتركون عملهم من أجل الهجرة فهم يبحثون بالتأكيد عن وقاية من التهميش المهني la précarité professionnelle و الخوف من فقدان المكانة الإجتماعية في بلد الأصل او يبحثون عن تحسين وضعيتهم سوسيومهنية و التي لا يستطيعون الوصول او الحصول عليها او تحقيقها في الجزائر[123].

و يصرح مهدي لحلو[124] أن جزءا كبيرا من الفئة البطالة و التي هي حاملة للشهادة وهي بدون عمل و حتى التي لديها عمل لكن لا يعتبر في مستوى طموحات الفرد فسيبحث عن الهجرة نحو اوروبا.

122. Labdelaoui Hocine, op cit , p 6.
123. Ibid, p 6.
124. Lahlou Mehdi , op cit , P 3.

هذه الدوافع ليست بعيدة أو بدون علاقة مع الفوارق المعتبرة للأجر و التي نلمسها اساسا مع الدول الاوروبية المستقبلة للهجرة من الدول المغرب الأوسط (المغرب العربي).

يصرح لحلو مهدي [125] ان الفارق في الأجر يعد دافعا مهما للهجرة بالنسبة للبلدان المغرب (المغرب، الجزائر، تونس) و ارتفاع هذا الفارق بدخول هذه الدول للإتحاد الأوروبي.

جدول رقم 16 : يبين الفارق في الأجر بين الجزائر و الدول الأوروبية المستقبلة للهجرة المغاربية و المغرب الأوسط[126].

دول	المانيا	بلجيكا	إسبانيا	فرنسا	إيطاليا	هولندا
الجزائر	13,9	13,6	8,4	12,8	11	13,9

إضافة إلى ما سبق ، يوجد الفوارق في توزيع الثروة ما بين مختلف الفئات الإجتماعية و أيضا فارق التطور ما بين مختلف المناطق داخل بلد الأصل. فالمناطق الريفية تعد في وضعية اقتصادية هشة و التي تصبح مصدر هام للهجرة السرية وهذا واضح ان الوضعية المهمشة و من خلال الحوادث او الصدمات التي تحدثها تواصل في تغذية الرغبة في الهجرة لفترة طويلة و التي تتحول إلى دفعة هجرية la pulsion migratoire .

في نفس المسار يشير الباحثان[127] ان الشباب المغاربي يعاني من البطالة و الرشوة التي أصبحت الطريقة المتداولة للحصول على بعض الوظائف ، و قد إنتشرت لعدم المساواة الإقتصادية و الإجتماعية و لازالت تتعمق في المجتمع تاركة الأزمة الإجتماعية تقيم في المغرب العربي بطريقة متطورة (شيئا فشيئا).

125.Ibid, P 3

126. Source : Tableau fait par l'auteur sur la base des données 2002, Publiées par le bilan du Monde, 2004.

127 . Arab chadia, Sempere Souvannavong Juan David, op cit , p 4.

محمد خشاني[128] من خلال مقاله ان الفقر هو حالة العوز التي تضع الإنسان في وضعية جد صعبة، و التي ترادف حالة القلق و المعاناة و الخوف، و ترجع الإنسان ضعيفا و هشا و تقيده للعيش في ظروف أقل من الإنسانية. Infrahumaines

ب- الدافع الإجتماعي :

يعرف الباحثان[129] أن الجوع ليس هو جوع البطن أنه الجوع الثقافي ، الجوع الفكري الذي يملأ الشباب المغاربي. فيعتبر التغذية من خلال الأفكار و الطموحات المستقبلية هو أيضا مهم جدا مثل أكل الخبز. فالجزائر عرفت في الفترة الأخيرة أحداث الشارع بسبب مأساة المعيشة أو سوء المعيشة للشباب .le mal de vie

و أشار الباحث إلى مناطق متعددة ، كدائرة درقانة (ضواحي العاصمة)، و عين البرج (ولاية تسمسيلت) و بليمور (ولاية برج بوعريريج)، فالشباب قد إقتحموا الشوارع منددين بمعيشة و حياة أفضل une vie digne .

و الجغرافي علي بن ساعد[130] فهو يربط هجرة الشباب بموضوع أزمة الشباب وتأزم حالتهم malaise des jeunes و مأساة المعيشة، فالحراقة هم شباب مدفوعون الى حرق الحدود بسبب خيبة أمل و ضرر داخلي عميق .

و يشخص الباحثان[131] هذا الضرر للمعيشة و الحياة المؤدي الى ثورة الشعب وتنديد لمطالب مختلفة فالمشاكل و النقائص تمس الفرد في كل المجالات : العمل ، السكن الترفيه ، الإقتصاد ، الحرية الإجتماعية و حتى الحرية السياسية، الضغط الإجتماعي ، مشروع الحياة ، débouché professionnels. الهجرة تصبح إذن هاجسا و حلا أخيرا و وحيدا من أجل النجاح و الخروج من هذه الظروف.

128. Khachani Mohamed, op cit , p 10.
129 .Arab Chadia, Sempere Souvannavong Juan David, op cit, p5.
130. Bensaad Ali , Dans **Migration et Société** , vol 21, n=° 125, Sept-Oct 2009.
131 . Arab chadia, sempere souvannavong juan David, op cit, p 6.

المجتمعات تتحول إلى حراقة و هم الذين يعانون و يتألمون ، أولا من عدم إيجاد مكانة في المجتمع ، بدون تحديد السن و المستوى الإجتماعي و هم رجال أكثريتهم شباب . حسب ميدان الدراسة الذي قمنا به في أليكانت (إسبانيا) ، وجدنا رجلا يتراوح سنه 56 سنة ، و أطفال ، نساء (أكثر فأكثر محاولات لهذه المغامرة). تشخص فالباحثة[132] المجتمع الجزائري على أنه منذ بضع سنوات يعيش على المستوى السياسي و الإقتصادي غير مسبوق و هي تصطدم بشكل قوي بهذه الظاهرة و هذا يترجم بسوء الحياة أو ألم الحياة ، مأساة الحياة لشعبها و سكانها ، وخاصة شبابها ، خاصة التهميش ، نقص الطموحات المستقبلية ، ثقل الضغط الإجتماعي و العائلي.

في أبريل 2006[133] ، تمكنت عراب شادية من مقابلة أحد مؤسسين الجمعية بالرباط L'AFVIC [134] و الذي يؤكد التناقض الذي يتواجد في مناطق الهجرة القوية " المنطقة الغنية إقتصاديا لكن فقيرة إجتماعيا " و يضيف " أن المنطقة ذات ثروة هائلة وقدرات غنية richesse potentielle تصبح و تتحول إلى منطقة لأزمة تامة وبؤس شامل و بؤس فردي و إجتماعي ...".

مأساة الحياة هنا يحمل كل معناه، فهو ليس الفقر الإقتصادي الذي يدفع الشباب للذهاب و الهجرة بل الفقر الإجتماعي و الفكري. La pauvreté sociale et intellectuelle التهميش ، غياب الحرية الفردية نقص أماكن و مساحات للحرية للتبادل و للحديث و المناقشة و للتعارف ، نقص الأماكن الإجتماعية التنشيئية، الأماكن الإجتماعية.

كل هذه النقائص المختلفة لهذه العوامل تكون محددة للشاب و لسعادته و لراحته ولتقدمه على المستوى الشخصي و تدفعه يوما ما للثورة و التمرد و الى الذهاب من خلال عملية الهجرة.

132 .Virginie Lydie, op cit, p 38.
133. Arab chadia, Sempere Souvannavong Juan David, op cit, p 8.
134. L'association des familles victimes de l'immigration clandestine.

أمام هذه الدوافع ، قد توصلت دراسة جريدة الحرية[135] ، أن مجتمع الدراسة صرح عن الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة تتمثل في السبب الرئيسي هو الفرار من البلد وبناء مستقبلهم بنسبة 81,5 % أما 14,9 % ، فصرحوا أن اللامبالات و الملفت للإنتباه بأن الرغبة في الهجرة السرية او الحرقة اذا سمحت الظروف كانت بـ 50 % حسب تصريح المبحوثين. و نستطيع قياس مدى قوة هذه الظاهرة في المجتمع الجزائري و مدى انتشار الحرقة فقد صرح بتأكيد 81 % أنه في محيطهم اشخاص مستعدون على خوض المغامرة و لديهم القدرة على دفع أغلى ما عندهم لتحقيق ذلك.

أما عن دراسة وزارة التضامن[136] في سنة 2007 ، قد تم تحديد اسباب الهجرة السرية و التي تتمحور في ستة اسباب التالية :

- الاحساس بالتهميش
- البطالة
- الفقر
- سوء المعيشة و الحياة و الفرد
- الرغبة في تحسين الوضعية
- الحاجة في تغيير العالم و طريقة العيش

أما في دراسة قامت بها مصلحة الدرك الوطني[137] سنة 2008 ، ترجع أسباب الهجرة السرية " الحرقة " إلى سبب رئيسي هو البحث عن العمل 63 % من الحراقة يصرحون ان رغبتهم في الهجرة هي من اجل الحصول على عمل و ان مشروع الهجرة السرية يتمثل في التجربة الأولى لـ 93 % من الحراقة و التي يقررها بعد رفض طلب تأشيرة السفر بـ 38 % و 62 % من حراقة لم يطلبوا تأشيرة السفر بتاتا.

135.Koudil Salim, « Prés de 50% affirment être de futurs harragas », **Le journal liberté**, 3 décembre 2008, n=° 4937.
136 .Labdelaoui Hocine, op cit, p 6.
137. Ibid, p 6.

تقدم الباحثة فرجيني ليدي[138] بحكم دراستها للهجرة السرية في المجتمع الجزائري ، فهي تجمع ما بين بعض الدوافع و أهمها المطالب الشرعية التي يبحث عنها الفرد في مجتمعه ، فهي تشير إلى الحرية ، الكفاءة الذاتية. فهي تستنتج أن في معظم الدول المغاربية ، يعد الإستقلالية الذاتية من خلال المسكن الخاص مثلا و الرفاهية من الأحلام و طموحات الأفراد الأكثر خيالية و إثارة أمام حلم الذهاب أو قطع البحر. و لهذا في غياب آمال و طموحات مستقبلية فالشباب لا يراقبون و لا يشاهدون سوى البحر و الذي تبعد عنه بعض الساعات فأوروبا هي قريبة ، لهذه الهجرة السرية تصبح من المشاريع الأكثر تحقيقا بالنسبة لهم من أجل تحقيق تلك الأحلام و الطموحات.

3-إستراتيجيات الحراقة :

أ- جمع المعلومات :

إن الشباب يحاولون جمع المعلومات خاصة بمشروع الحرقة و ايضا لوضعية الهجرة في اوروبا (قوانينها، الاجراءات الادارية ...) فقبل ركوب القوارب في البحر، الحراقة يتواجدون يوميا في نوادي الأنترنيت cybers يستعلمون عن الدول و قوانينهم الهجرية و تتبع الطقس الأحوال الجوية لترصد احوال الجوية البحرية وإنتهاز فرصة الإبحار في ظروف جوية ملائمة . و ايضا جمع المعلومات عن الوسائل و تقنيات المتطورة كمحرك و البوصلة التي عوضتها GPS .

ب- الوسائل المادية :

لكي يتحقق هذا المشروع ف 72,4 % من الشباب هم مستعدون لإنفاق 10000 دج الى 100000 دج المبلغ اللازم لكل الوسائل المادية و 5,5 % مستعدون الى اكثر من هذا المبلغ الذي يقدر بـ 300000 دج و أما عن فرصة الحصول على تأشيرة السفر 43 اجابوا عن سؤال ما هو المبلغ الذي توظفه من اجل الحصول عليها ؟ فيقدر المبلغ بـ 11 الى 20 مليون سنتيم[139].

138. Virginie Lydie, op cit , p 36.
139. Koudil Salim, op cit.

و يرجع الباحث أن بعض الفاعلين يهاجرون لوحدهم ، و ذلك أن الهجرة نحو أوروبا أصبحت أكثر فأكثر تتميز بغلاء الأسعار ، بدافع المراقبة المرتفعة للحدود. فيذكر الباحث في مقاله أن تكلفة العبور في القارب عبر البحر من المغرب إلى إسبانيا تقدر بـ 200 دولارا للقصر و ما بين 500 إلى 800 دولارا للمغربي و ما بين 800 إلى 1200 دولارا للأفارقة في سنة 2003[140].

فيرتبط السعر المدفوع بالرقابة المشددة على الحدود ، فكلما إرتفع هذا السعر ، فهو دليل على صعوبة إجتياز الحدود المراقبة من طرف شرطة الحدود و المنضمات المحاربة للهجرة الغير شرعية.

في العموم ، المهاجرين يدفعون مبلغ مالي مقابل توصيل الممررين لهم للجزء الأكثر صعوبة في السفر و التقليل من مخاطره ، مثل العبور في البحر ، و عبور الصحراء و الحدود النيجرية و ليبيا و حتى الجزائر .

أما عن وسيلة النقل المستعملة فيصرحون ان قوارب و مراكب هي افضل وسيلة للعبور البحر و اجتياز المسافة و نسبتهم تقدر بـ 86,2 % و يتم إختيار بلد الهجرة حسب سياسة التي يتخذها (الطرد، الإرجاع) و ايضا الإجراءات القانونية لتسوية وضعيتهم و ايضا فرصة الحصول على عمل.

فإختيار كان إسبانيا و إيطاليا أما إنجلترا فأتت بعدهما ، في المقابل اختيار فرنسا كان هو الأخير.و يصرح المقبلون على الهجرة السرية ان كلا من اسبانيا و انجلترا لا يتم فيها عملية طرد الحراقة بنسبة 37,4 %و 35,5 %و مقارنة بفرنسا وايطاليا[141].

و لقد تم توقيع اتفاقية مع الجزائر في سبتمبر 2007 على ارجاع المهاجرين الغير شرعيين من فرنسا و قد زادت هذه القوانين لمحاربة هذا النوع من الهجرة الغير شرعية.

140. Hein de Haas, « Le mythe de l'invasion », Migration irrégulière d'Afrique de l'Ouest au Maghreb et en Union européenne, **Travail de recherche de l'IMI**, octobre 2007,p 25. http://www.imi.ox.ac.uk/publications/pdfs/le-mythe-de-linvasion

141. Koudil Salim, op cit.

ج- مناطق الأنطلاق :

إن نقاط الإنطلاق للحراقة تكون من ولاية عنابة بنسبة 25,7 % و هي المدينة الأكثر إختيارا و هي سبقت مدينة وهران كثيرا و هذا ليس بجديد بحيث اصبحت عنابة منذ جانفي 2007 المكان المفضل للحراقة للإنطلاق و تحقيق مشروعهم ، هذا لن يتغير و هذا ما يؤكد القبض على الحراقة في القوارب و إرتفاع عدد إعتراض على قوارب الحراقة يوميا في شواطئ عنابة من طرف شرطة الحدود البحرية.

الجدول[142] التالي يبين ارتفاع عدد الحراقة الذين يستعملون ممر جبل طارق وجزر الكناري.

جدول رقم 17 : يبين عدد الموقوفين الحراقة الذين يستعملون الوجهة البحرية للوصول إلى إسبانيا

السنوات	مناطق العبور البحرية	
	ممر جبل طارق	جزر الكناري
1993	4952	/
1994	4182	/
1995	5287	/
1996	7741	/
1997	7348	/
1998	7031	/
1999	7178	875
2000	16885	2387

142 .Lahlou Mehdi, op cit, CARIM ,2005/03, p6.

يصرح خشاني محمد[143] أن في المغرب المقبلين على الهجرة السرية الحراقة يستعملون مختلف المسارات للوصول الى التراب الدول الاوروبية و في اسبانيا يقدر عدد المهاجرين السريين الداخلين عير الموانئ و المطارات 85 % مقابل 15% عابرين من ممر جبل طارق.

يصرح وزير الداخلية الاسباني [144] Rojoy أن ممر جبل طارق لا يمثل الممر الوحيد الذي يعبره المهاجرون السريون و يقدر بـ 8000 الى 10000 مقبل على الهجرة السرية الذين يعبرون منه.

لكن يعد الممر الأكثر شهرة بسبب الحوادث المأساوية للقوارب و استعمال الاعلام الاسباني لهذه القصص les fait divers و هم يسمونها بـ les espaldas mojadas.

ان مناطق العبور للهجرة السرية تختلف من مرحلة الى مرحلة و تتوقف على شدة مراقبة الحدود للدولة الاوروبية و الاتفاقيات التي تبرمها مع دول العبور شمال افريقيا (المغرب و الجزائر، تونس) للحد من ظاهرة الهجرة السرية خاصة للأفارقة الذين يعبرون عن طريق هذه الدول.

فيشير الباحثان[145]، ان اهم ممر عرفته الهجرة السرية هو منطقة جبل طارق (لقربه من اوروبا)، فمنذ سنة 1992 و عقد اتفاقية اسبانيا مع المغرب على الحد من الهجرة السرية فرغم هذا يبقى توافد الحراقة للحدود الاسبانية عبر ممر جبل طارق. و ايضا بسبب عدم تطبيق سياسة الطرد و حجز المهاجرين السريين فعلى الحراق سوى الوصول الى التراب الاسباني (شواطئ بنانسول) les cotes de la péninsule وفرصة الحصول على عمل فهو الشرط الوحيد الذي يؤدي الى تسوية وضعيته.

143. Khachani Mohamed , op cit , p 3.
144. Rajoy : « Trop d'immigration et le crime entraînant la marginalisation », **El pais**, 12 mai 2002. http://elpais.com/diario/2002/05/12/espana/1021154401_850215.html
145 .Arab Chadia, Sempere Souvannavong Juan David, op cit, p9.

سنة 2002 تم انشاء نظام المراقبة الخارجية SIVE (système intègre de surveillance extérieure) في منطقة ممر جبل طارق و من هنا بدات مناطق عبور الحراقة تتعدد و يتنقلون عبر المناطق الغير مراقبة من طرف شرطة الحدود الى المناطق شواطئ الاندلسية .les cotes d'Andalousie و إنتشر نظام المراقبة الاسبانية SIVE الى مختلف المناطق غرنادا Grenade ملاقا Malaga في سنة 2004 .في نفس السنة تنتقل منطقة العبور المهاجرين السريين الى جزر الكناري les iles Canaries و هذا لعدم قدرتهم الوصول الى ستا Ceuta و مليليا Melilla والقبض عليهم و ارجاعهم الى بلدهم الاصل.

أما بالنسبة للجزائر فأدت هذه المراقبة المشددة إلى إعادة فتح منطقة عبور التي كان يستعملونها الاسبان في مرحلة الجزائر الفرنسية (الاستعمار) في القرن 19 منطقة العبور ما بين غرب الجزائر و شرق جنوب اسبانيا La route entre l'ouest de l'Algérie et sud-est de l'Espagne[146]. منذ سنة 2004 الشباب الجزائري " الحراقة " يركبون القوارب نحو جنوب شرق اسبانيا التي تبعد عن الشواطئ وهران بـ 160 كلم و نحو جزر بليار بـ 280 كلم من شواطئ العاصمة. و نحو سردينيا التي تبعد بـ 230 عن الشواطئ منطقة عنابة .

فمنذ فترة (ما قبل 2009) الحراقة يقصدون المناطق الغير مراقبة او المحروسة خاصة الشواطئ الاندلس و المناطق القريبة من مورسيا و اليكانت وجزر بليار.

و هذا التردد على المناطق العبور (الشواطئ الإسبانية) أدى الى ارتفاع ملحوظ في عدد المهاجرين السريين سنة 2009 و نحو وسط البحر الأبيض المتوسط القادمين من تونس و ليبيا و حتى الى اقصى شرق البحر الأبيض المتوسط فللوصول الى اوروبا تكون اهم مناطق العبور اما من جهة اسبانيا أو ايطاليا و هذا ما يصعب مهمة الوصول الى اوروبا عبر الممرات الخطيرة للهجرة التي تنخفض شدة مراقبة شرطة الحدود فيها. فأصبحت هذه الممرات عبور الهجرة السرية من أهم مراحل هذه الظاهرة.

146. Ibid, p 10.

4- شبكة الممررين :

تدهور الأوضاع الإقتصادية أدى إلى ضعف الأسرة من حيث السيطرة على أبنائها و هذا بدوره أدى إلى وقوع الشباب فريسة في أيدي شبكات الممررين الذين يستغلون بطالة هؤلاء فتحولوا كبضاعة زهيدة تفعل بها ما تشاء و بإغراءهم بوعود كاذبة.

حالات التهريب في مجال المهاجرين غير الشرعيين هي ظاهرة آخذة في التزايد ، حيث يقوم الشباب الآن بمغامرات شيطانية و طائشة في سبيل دخول أوروبا كما يتجلى ذلك في محاولاتهم الهروب ، مختبئين على متون السفن و في مغامرات تعرض حياتهم للخطر.

كما يحدث مؤخرا حيث يقوم الوكلاء المجردون من الضمائر بإستغلال الشباب اليائس بوعود للمرور من إفريقيا الغربية إلى إيطاليا و إسبانيا و فرنسا و يتعرض معظمهم إلى الإحتجاز في منتصف الطريق في إحدى الدول ، بينما يتعرض أولئك الذين يواصلون طريقهم للإعتقال و الترحيل عند الوصول أو بعد ذلك مباشرة[147].

أ- الشبكات الصغيرة :

و هي عبارة عن مجموعة من الأفراد يشتركون في مشروع الحرقة بطريقة تلقائية و يعبرون عنها بالصدفة (الشرط الوحيد هو اشتراكهم في نفس فكرة و هي رغبتهم في الهجرة) و كما يسميها الباحث الدوائر الإجتماعية .cercles sociaux

و لكي يتم بناء مشروع الحرقة يجب اتخاذ مسير أو قائد الذي يتكلف بكل الأمور (شراء الوسائل كالقارب و المحرك ، جمع المعلومات ، اختيار مكان الإنطلاق ، وتنسيق مع كل الأفراد). فيشخصه الباحث بتسمية الفايق أو القافز[148].

تتشكل هذه الجماعات المصغرة خاصة في المناطق الساحلية قرب الشواطئ وقرب الموانئ فهم يتعارفون فيما بينهم و لهم علاقة قرابة او صداقة أو جيران وخاصة لهم اتصال مع فاعلين الإجتماعيين في المكان socio-spatial و المهمين

147 .أديرانتي أديبوجو ، "قضايا الهجرة الدولية و إتجاهاتها الحديثة في إفريقيا جنوب الصحراء"، **المجلة الدولية للعلوم الإجتماعية** ، الهجرة الدولية عام 2000 ، مرجع ذكر سابقا ، ص 196 .

148. Mabrouk Mehdi, « Emigration clandestine en Tunisie, organisations et filières », **Revue NAQD**, n=° 27 /26,2009, p 104.

في نجاح عملية الحرقة ، كالعاملين في الميناء ، عضو طاقم الإبحار... الخ. ويشير انه في بعض الأحيان تلاقي اصدقاء في مقهى مثلا يفجر بناء مشروع الهجرة بالصدفة.

يشير الباحث **Hein de Haas** [149]أن المعلومات الموجود في البحوث الخاصة بالهجرة و المهاجرين ، أن التجارة الإجرامية هي نادرة في المسار الهجري ، و أن أغلبية المهاجرين يستعملون وسائلهم الخاصة.

المشروع الفردي يحددها بالحرقة الفردية التي تتم من خلال التسلل عبر بواخر السلع في الموانئ. فهي حالة الدراسة التي تم انجازها في اطار مذكرة تخرج الماجستير ، ظاهرة الحرقة و الشباب[150].

ب- الشبكات المتوسطة:

و هي عبارة عن مجموعة من الأفراد المتشكلة من الفاعلين و الذي يقوم كل فرد منهم بالمهام المحددة و الذي بدوره شكل نوعا من الحرفية في السنوات الأخيرة حتى انهم يعتبرونها وظيفة كاملة de vrais métiers و تتشكل هذه الشبكة المتوسطة بمهن مختلفة [151]:

- **المسؤول عن التوظيف** : فهو الذي يختار المقبلين على الهجرة السرية ويجمعهم في المناطق الساحلية و تنتقل المعلومات شفهيا بين الأصدقاء والجيران أو في الأماكن للتنشئة اليومية كالمقهى و الشارع و أخرى التي تلعب دورا مهما جدا.
- **السائقين** : فمهمتهم تتمثل في نقل الوسائل (كالباخرة و المحرك و البنزين ...) و حتى المقبلين على الحرقة.
- **الإيواء** : هم الأفراد الذين يأوون المقبلين على الهجرة السرية في اماكن نائية كالمساكن المخصصة في المواسم الفلاحة كالحصاد.

149. Hein de Haas, op cit, p 24.

150 .كيم صبيحة ، مرجع ذكر سابقا ، ص 103.

151.Mabrouk Mehdi, op cit, **Revue NAQD**, n =° 27 /26 , 2009, p 111-110.

و في اغلب الأحيان يكون السائق في نفس الوقت هو الآوي و الحارس لإستفادة من الأجر المخصص لمختلف المهام.

- **قائد الباخرة** : يشخصه الباحث[152] بـ " الرايس" و قائد المركبة الذي تتمثل مهامه في المجال التقني للباخرة و مسؤول عن الرحلة،و يقود بنفسه الباخرة. فالرايس هو في الأصل حراق قديم و له خبرة في المجال البحري كصياد أو عامل في باخرة صيد. و حسبه أن هذه الظاهرة تستقطب العديد من الأيدي العاملة البحرية التي تعاني من ازمة حقيقية فهؤلاء يجدون أنفسهم أعضاء في شبكات الممررين لتوفر المكسب السريع و المربح.

أما عن الأشخاص الذين يمررون بالطريقة السرية المهاجرين في القوارب (pateras, pirogues) فهم غالبا ما يكونون صيادين قدماء و الذي أصبح عملهم غير مربح ، فيعتبر أن بفعل إتفاقية تصريح الصيد ، للبواخر الأوروبية قرب السواحل السنيغالية و المغربية ، قد أدى إلى تضرر الصيادين في المنطقة. و لهذا إلتجئ الصيادين إلى العمل كممررين للمهاجرين السريين لإيصالهم للضفة الدول الأوروبية. و حتى بيعهم لقواربهم[153].

- **الممررون** : و هم مسيرون حقيقيون للهجرة السرية ، و يتميزون بالسرية حيث ليس لهم اي اتصال بالمقبلين على الهجرة السرية فعلاقتهم تكون مع اعضاء الشبكة فقط، و قوتهم تتميز بالعلاقات التي يتم استغلالها مع السلطات العليا كالجمارك و حراس الحدود و السلطات الإدارية و التي تساعدهم على حماية مصالحهم.

152. Ibid, p 112.
153. Hein de Haas, op cit, p 24.

و يعرف الباحث **Hein de Haas** [154]، الممررين لا ينتمون إلى المنضمات الدولية للإجرام أو البنيات الهرمية للمافيا ، هم أشخاص الذين يعملون لوحدهم أو في شبكات مصغرة ، فالممرر غالبا ما يكون متنقل قديم أو حتى مهاجر سري قديم والذي يتعامل مع الشرطة المحلية و موظفين في شرطة الحدود بالرشوة.

ج-الشبكات الحدودية :

يصف الباحث مبروك[155] مهدي هذه الشبكات بعلاقتها بالحدود و هي متواجد في الجنوب التونسي و بالتحديد في الحدود التونسية الليبية ، فهذه المنطقة تشكل مجتمع حدودي منذ قرن ، فتشكل حراك هجري الذي دعم و شجع مختلف أنواع التجارة الغير رسمية و التي بدورها ساعدت على تشكيل الشبكات الحدودية المختصة في الهجرة السرية ، و تمتد هذه الشبكات حتى الى القارات المجاورة ، آسيا و أوروبا والفاعلين تختلف جنسياتهم تصل الى 20 دولة.

و يتعرض الباحث لفكرة اللجوء إلى الجنحة من طرف المهاجرين و الممررين ولكن ليس بنفس صورة العمل الإجرامي ، كشبكة التجارة في البشر أو نقل البضائع الممنوعة ، و لهذا الجنحة ليست أحد دوافع الهجرة السرية ، رغم أنها هي أحد

أسباب وجود السياسات الهجرية التي تحارب الهجرة السرية، و بالعكس يرى الباحث أن زيادة عدد الممررين هو إجابة للسياسة غلق و الحد من تنقل الأفراد والقمع المستمر إتجاه المهاجرين[156] .

154. Ibid , p 24.
155.Mehdi mabrouk, op cit, **NAQD**, n=° 27 /26, 2009, p 114.
156. Hein de Haas, op cit , p 25.

V - محاربة السلطات الجزائرية للهجرة السرية :

تصف الباحثة قيرودون فرجيني[157] ان الممررين يحملون صورة الشرير ، في الخطابات السياسية و تصريحات الجمعيات و المنضمات الإنسانية و حتى المسرحيات و الإعلام ، و بفعل الحوادث المأساوية كموت المهاجرين السريين في عرض البحر ، فهذه الأحداث قد أكدت على إتخاذ الدول الأوروبية قوانين صارمة "لمحاربة الهجرة السرية" و تدرج في بنوذ هذه القوانين معاقبة التجارة بالبشر والممررين و حتى المهاجرين السريين .

و قد تمت معاهدة Protocole Palerme لإبرام القوانين ضد الهجرة الغير شرعية فعلى كل دولة اتخاذ الإجراءات الصارمة حسب ما اتخذته من قوانين إجرامية ضد كل من يقوم او يشارك في هذه الهجرة الغير شرعية من حراق أو ممرر.

محاربة الهجرة السرية كانت مفروضة على الدول شمال إفريقيا ، لتحولها إلى بلدان عبور بالنسبة للهجرة الغير شرعية الإفريقية ، و الجزائر كدولة عبور أرغمت على جز القوانين الصارمة (كالحبس و الغرامات المالية) للتخويف والحد من ظاهرة الهجرة السرية و هذا ما ارادت التأكيد عليه دراسة جريدة الحرية le Quotidien liberté [158]أن القاء القبض على الحراقة قبل او بعد الإبحار يكون بالزج بهم في السجن و تقديمهم الى العدالة و التي تقرر بالعقوبة و التي تتمثل في الحبس في الوهلة الأولى هذا يعتبر مؤثر مباشر في الحد من مغامرة المقبلين على الهجرة السرية " الحراقة ".

و لكن حسب هذه الدراسة لم تؤثر هذه القوانين و لم يكن لها مفعول الصدمة أو العزوف عن المغامرة في البحر ، و الطريقة القانونية ليست فعالة أو مؤثرة وليست عاملا لتحطيم هذه الرغبة un facteur démotivant ، فإن أغلبية المبحوثين 65,8% صرحوا بمعرفتهم للإجراءات القانونية عند تعرضهم للفشل ، و اكثر من

157.Guiraudon Virginie, « Une lutte contre les « passeurs » qui se retourne contre les victimes », in immigration : fantasmes et réalités, sous la direction de Rodier claire, Terray Emmanuel, la Découverte, Paris, octobre 2008, p 140.

158.Benyoub Djilali, « Des dispositions pénales et des peines de prison », **Le journal liberté**, 3 décembre 2008, n=° 4937.

هذا أن 80,4 % قد اكدوا أن الإجراءات الجنائية لا تؤثر على قرار ذهابهم و هذا ما يدعم فكرة تكرار التجربة مرات عديدة من طرف الحراقة.

و تقدر نسبة 34,2 % المبحوثين الذين لهم دراية بهذه القوانين الجديدة مقابل 65,8% الذين ليس لهم علم و دراية تامة بهذه النصوص القانونية.

لقد تم وضع قانون لتجريم الدخول و الخروج من الجزائر و المتعلق بالبند 46 من القانون 08-11 الموافق بـ 25 جوان 2008. و الذي يقر بـ " كل شخص ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، يسهل أو يحاول تسهيل دخول أو اقامة أو حراك أو خروج بطريقة غير شرعية لأجنبي على التراب الجزائري يعاقب بالسجن لسنتين إلى 5 خمس سنوات و بغرامة مالية تقدر بـ 60000 ألف دج الى 200000 الف دج [159].

الدولة عازمة على تجريم و معاقبة الممررين و شبكاتهم و التي تستغل بؤس وخيبة أمل المهاجرين الغير شرعيين. فذهب التشريع الجزائري إلى أبعد من ذلك و هو تجريم هؤلاء الذين يقومون بالمساعدة. " كل شخص يسهل الهجرة السرية يتعرض إلى عقوبة بالسجن بـ سنتين الى خمس سنوات و بغرامة مالية تقدر بـ 30000 ألف دج إلى 100000 ألف دج و هذه العقوبات تشتد في حالة حمل أسلحة. فتتحول العقوبة من الحبس من خمس سنوات إلى 10 عشر سنوات وبغرامة مالية 100000 دج الى 200000 دج.

و في حالة أكثر خطورة و هي الإجرام لشبكات المنظمة (في حالة كونها دولية) للممررين و التي تمس انسانية المهاجرين و تعرض حياتهم للخطر ، فالعدالة الجزائرية تتخذ الإجراءات القانونية القصوى بـ الحبس من 10 عشر سنوات الى 20 سنة و بغرامة مالية من 750000 الى مليون دينار جزائري. و يعد المهاجرين في هذه الوضعية ،ضحايا للتجارة البشر و يتم ارجاعهم الى دولهم ، فهم لا يعاقبون قانونيا.

159. Mebroukine Ali, « L'attitude des autorités algérienne devant le phénomène de la migration irrégulière », **CARIM,** 2009/08, p 04.
cadmus.eui.eu/bitstream/.../CARIM_ASN_2009_08%20Revised.pdf?...

في تقرير قد تم من طرف باحثين[160] لتحديد إطار القانوني للجزائر حسب بروتوكول Protocole de Palerme ، لمحاربة الهجرة الغير الشرعية من خلال القانون رقم 09-01 لـ 25 فيفري 2009 المعدل للقانون الجنائي. (أنظر الملاحق ص 373- 376).

فنلاحظ أن الإجراءات صارمة بالنسبة للشبكات و المهاجرين السريين ، لكن في الواقع ، حسب دراستنا الميدانية في مديرية الأمن لولاية تلمسان و تعرضنا للجانب القانوني للهجرة السرية و طابعها الإجرامي ، أنه لا تتم معاقبة المهاجرين الغير شرعيين المطرودين من الدول الأوروبية حسب الإتفاقيات المعمول بها ، بل عمل الشرطة هو التحقق من هوية المهاجرين المطرودين و عدم صدور أحكام ضدهم فقط ، و بعد التحقق يتم إطلاق صراحهم .

أما بالنسبة للمهاجرين الذين تم القبض عليهم في البحر أو عبر الحدود ، فحسب المعلومات المصرح بها من طرف المجالس القضائية الجنائية فإن تم إصدار حكم بغرامة مالية تقدر بـ خمسة مليون سنتيم بالنسبة لـ 94 حراق تم إلقاء عليهم القبض من طرف شرطة الحدود لدائرة عين الترك (ولاية وهران) ، و لم يتم التصريح عن الممررين الذين فروا و أخذوا معهم العشرات من الملايين[161]. فالحكم الصادر من طرف القضاة يختلف من منطقة إلى أخرى ولأنهم يأخذون بعين الإعتبار الوضعية الإجتماعية للحراق و لا يعتبرونه مجرم بمعنى الكلمة و لهذا الأحكام الصادرة ضدهم لا تصل إلى الحبس النافذ أو المؤقت. أما بالنسبة للممررين فيعتبرهم القانون أنهم يشاركون في التجارة بالبشر، فحسب المقال أنه تم إصدار حكم بالحبس من طرف المحكمة الجنائية لمدينة عنابة[162] النافذ لمدة ثلاث سنوات، لرجلين مشاركين في عملية تشكيل عصابة شبكة الممررين و هذا تحت شكاوى عائلات المقبلين على الهجرة السرية و العديد منهم كانوا مفقودين.

160. DI Bartolomeo Anna, Thibaut Jaulin et Delphine Perrin, Algérie, Le cadre démographique et économique de la migration, le cadre juridique, le cadre sociopolitique, **CARIM-** Profil migratoire, Décembre 2010.
http://www.carim.org/public/migrationprofiles/MP_Algeria_FR.pdf

161. Boutlélis Rachid, « Hausse sensible de tentatives d'émigration clandestine : les harragas préfèrent le ramadhan ». http://elharraga.wordpress.com/2012/08/16/hausse-sensible-de-tentatives-demigration-clandestine-les-harraga-preferent-le-ramadhan/

162. Gaidi Mohamed Fawzi, « Depuis le début de l'année, plus de 300 harraga ont tenté le voyage de la mort », **El Watan**, le 01 septembre 2012.http://iflisen2008.over-blog.com/article-plus-de-300-harraga-ont-tente-le-voyage-de-la-mort-109649202.html

تعتبر الباحثة قيروندون فرجيني[163] ، أن فرنسا و الدول الأوروبية تستعمل هذه القوانين ليس غرضها هو محاربة الممررين و تحت شعار القمع و الحد من عصابات شبكة التجارة بالبشر بل القوانين تستعمل للقبض و طرد المهاجرين الغير شرعيين أكثر من محاربة الشبكات و المستغلين في التجارة في الجنس و حتى أنها تعاقب كل شخص يساعد و يتضامن مع المهاجرين الغير الشرعيين ، بحجة التواطؤ في " مساعدة المباشرة و الغير مباشرة في دخول و إقامة الغير شرعية ". و هذا ما أشارت احصائية لمصالح الإسبانية[164] ، تقدر عدد 1520 جزائري قد تم طردهم الى بلدهم الأصلي في السداسي الثاني لسنة 2008. و جمعية لحقوق الإنسان الأندلسية[165] قد أفادت أنه تم طرد 1400 مهجر سري من إسبانيا نحو الجزائر في سنة 2010.

فرغم القوانين و الإجراءات الصارمة من طرف بلدان الإنطلاق و الإستقبال ، فيبقى عدد المهاجرين السريين له أهمية حيث قدر حوالي 2800 جزائري حراق في كل سنة حسب مصادر مصلحة الجمارك و مصلحة الشرطة الحدودية. أما عن الذين نجحوا و لم يتم القبض عليهم فتتجاهل معظم المنضمات حقيقة الأعداد المهاجرين السريين و عن الذين نجحوا و لم يتم القبض عليهم ، فلهذا يبقى العديد من الشباب يطمحون في العبور بنجاح أمام الثغرات التي يجدونها في هذه المراقبة الصارمة.

الهجرة الغير شرعية للجزائريين[166] نحو أوروبا قد نالت اهتمام خاص من طرف السلطات منذ عدة سنوات و امتد هذا الإهتمام الى المؤسسات الأمنية حيث تهتم كل من وزارة العلاقات الخارجية و الداخلية و وزارة التضامن الوطني، و حتى الرئيس الأول للقوات الجيش و وصلت الى اهتمام رئيس الدولة. و حتى المنضمات للمجتمع المدني قد اهتمت بما يسمى " بملف الحراقة ".

163.Guiraudon virginie, op cit, p 142.
164.Labdelaoui Hocine, « La dimension sociopolitique de la politique algérienne de lutte contre l'immigration irrégulière », Université d'Alger, **CARIM**, 2008/67, p 7.
http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/10112/CARIM_AS%26N_2008_67.pdf?sequence=1
165. Gaidi Mohamed Fawzi, **El Watan**, le 01 septembre 2012, op cit.
166. Labdelaoui Hocine, op cit , p 10.

و لمحاربة ظاهرة الهجرة السرية ، يشير لبدلاوي حسين[167] أن الدولة قامت بمعالجة مشاكل الإجتماعية و المهنية للشباب ، فوزارة التضامن الإجتماعي تكفلت بفئتين من الحراقة ، الأولى و هم الحراقة الذين فشلوا في محاولة مغادرة الوطن بطريقة غير شرعية و الفئة الثانية المطرودين و المعادون من دول الإتحاد الأوروبي. فتم إتصال بـ 550 شاب جزائري مطرود سنة 2007 من طرف الوزارة ، فتم ادماج 75 % في العمل و 15,08 % في طريق الإدماج أما 8,27 % قد رفضوا أي مساعدة.

VI -الجمعيات الجزائرية أمام ظاهرة الهجرة السرية :

أمام انتشار ظاهرة الحرقة كان للجمعيات موقفين[168].

الأولى : الإهتمام بظاهرة الهجرة الغير شرعية و التكفل بالمشاكل الشباب كلهم.

الثانية : انجاز نشاطات في اتجاه الهجرة الغير شرعية (حملات توعية) وتحسيس الشباب الذين يظهر فيهم احتمال الهجرة كالجامعيين مثلا.

و توجد جمعيتان التي اهتمت بهذه الظاهرة :

- جمعية أولياء الحراقة التي تتواجد في عنابة
- جمعية الحراقة المفقودين في البحر بولاية وهران

تهدف الجمعيات لحماية حقوق الحراقة الذين تم القبض عليهم في التراب الوطني أو إرجاعهم من الدول الأوروبية و أيضا تغيير الصورة السلبية إتجاه ظاهرة الحرقة على أنها إنتحار أو مخاطرة بالحياة من طرف أشخاص متعصبين دينيا kamikazes.

167. Ibid, p 11.
168 .Labdelaoui Hocine, **CARIM** 2008/67, op cit, p 12.

أما جمعية الحراقة المفقودين في البحر بولاية وهران، فهي تهتم بالبحث و التأكد من موت هؤلاء الشباب أو القبض عليهم من طرف السلطات الدول المجاورة كالمغرب. و حسب الجدول التالي ، فإن عدد المفقودين في تزايد مستمر.

جدول رقم 18 : يبين عدد المهاجرين السريين المفقودين و الأموات ما بين سنة 2006 إلى 2007-09-12

السنوات	عدد المفقودين	عدد الموتى	المجموع
2006	44	73	117
2007	55	61	116
2008	-	98	98
المجموع	99	232	331

الباحث[169] يستنتج من خلال هذه الأعداد ارتفاع متواصل خلال هذه السنوات وأيضا يدل على أهمية التدفق الهجري السري للحراقة منذ سنة 2005.

بفعل عدم حوزة المهاجرين لوثائقهم الشخصية ، يصعب تحديد جنسياتهم عند موتهم في إجتيازهم عن طريق القوارب في البحر ، و أيضا يصعب على القوات السواحل أن تعثر عليهم ، عند فقدان الإتجاه الصحيح أو في حالة العطل. لهذا لن تتمكن أي من الهيئات الرسمية و الغير رسمية من معرفة الأعداد الحقيقية لعدد الموتى أو حتى المفقودين من المهاجرين السريين الجزائريين أو حتى من الدول المجاورة أو الإفريقية.

169. Labdelaoui Hocine , **CARIM** 2009/18 , op cit , p3.

فحسب جريدة le quotidien d'Oran[170] يقدر عدد المفقودين هذه السنة (2011)بـ 2000 مفقود و ذلك بمحاولة اجتياز البحر الأبيض المتوسط وإفتقاد مساعدة من طرف البلدان الأوروبية و هذا ما إستخلصته السناتورة الهولندية Neke Strick فهي تقوم بتحريات عن سبب موت اللاجئين و المهاجرين السريين في البحر الأبيض المتوسط في شهر أبريل و ماي و تصرح بنقص مساعدات الإنقاذ.

و إنها تركز على حادث نشرتها الجريدة البريطانية في شهر ماي و التي أسفرت عن موت 61 مهاجر سري من 72 الذين كانوا يتواجدون في قارب وسط البحر والذين أرادوا اللحاق بجزيرة الإيطالية Lampedusa فهي تحاول معرفة حقائق هذه الحادثة و فهم وقائع الحقيقية ، هل المشكل يتوقف على عجز المهاجرين السريين لطلب النجدة أو الحقيقة أنه إختيار عدم التدخل و المساعدة و الإنقاض عن قصد ؟

فهي مبعوثة من طرف المجلس الأوروبي le conseil de l'Europe و لهذا قد إنتقلت إلى روما للإلتقاء بـ السلطات الإيطالية و أيضا بالناجين من هذا الحادث. وهي تصرح أنه تم إحصاء 2000 مفقود منذ بداية هذه السنة. و ترجع أن عدم إتخاذ الإجراءات اللازمة من طرف الإتحاد الأوروبي لمساعدة كل من إيطاليا وملطا Italie et malte لإستقبال اللاجئين و أيضا لمواجهة هذه الأزمة.

و قد تم عرض يوم 17 جويلية 2012 حصة الحدث خاصة بالقناة الجزائرية الشروق عن الحراقة المفقودين في تونس (39 حراق من منطقة عنابة) و تم إستدعاء ممثل عائلات الحراقة الجزائريين المفقودين السيد بوسحابة علي و تدخل السيد بوجمعة خشير و هو ممثل الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان ، فمن خلال طرح الموضوع و النقاش عن هذه الظاهرة و عن عجز الإجراءات القانونية الدولية في البحث عن هؤلاء الحراقة ، خاصة إذا كانوا غير حاملين لهويتهم وإستعمالهم أسماء مزيفة و هذا ما يصعب مهمة العثور على هؤلاء الشباب.

170. 2000 Migrants disparus en méditerranée cette année, **Le Quotidien d'Oran**, 08 Septembre 2011, N=° 5099, p32.

و يشير هذا التقرير[171] أن إتخاذ الدولة لقوانين صارمة تحدد شروط دخول و اقامة المهاجرين و الأجانب ، فالجزائر هي في طريق سياسة جديدة لمحاربة الهجرة الغير شرعية و ذلك بزيادة تشديد المراقبة من خلال انشاء لمراكز استقبال المهاجرين السريين و مستقبلا إدخال و فرض عقوبة في القانون الجبائي ضد الهجرة الغير شرعية في البحر. فالسلطات العمومية تتجه نحو موقف صارم ضد الهجرة السرية وخاصة ضد الحراقة من خلال القوانين و في نفس الوقت تحترم حقوق الإنسان.

IIIV - معالجة الإعلام و الفن الجزائري لظاهرة الهجرة السرية :

من خلال قراءة الباحثة[172] المختلفة للمعلومات الموجودة في الصحف الجزائرية والأجنبية و التي تهتم بهذه الظاهرة و الرواج التي عرفته في السنوات الأخيرة. وقد تعرف القارئ على الحرقة من خلال مختلف المقالات و الحوادث التي تم سردها عن طريق الصحفيين.

و أيضا تشير الكاتبة على اهمية ظاهرة الحرقة في الصحافة الجزائرية ، فأصبحت حسب تعبيرها موضوع الساعة في السنوات الأخيرة كمثال ذكرت المسح الإجتماعي الذي قامت به جريدة بتاريخ 03 ديسمبر 2008 و الذي اشرنا اليه في السابق. فهي ترى انه لا فرق ما بين الذي يرغب في الذهاب و الذين يذهبون فعلا.

فكل يوم تنتج الحرقة مأساة ، طفل يذهب ، و الآخر يرجع مطرود و الآخر يعاقب لإجتيازه التراب بطريقة غير شرعية ، و قارب مفقود في عرض البحر.

171. Labdelaoui Hocine, , **CARIM** 2008/67, op cit, p 14.
172.Virginie Lydie, op cit, p 35.

بغرار معالجة موضوع الهجرة السرية و الحراق من خلال المقالات الصحفية ، فقد إهتم الكتاب و المخرجين بموضوع الهجرة في المجتمع الجزائري و حتى المغاربي ، فالسنيما الجزائرية عالجت هذا الموضوع من خلال الأفلام منذ السنوات السبعينات و أول فيلم ظهر في هذا المجال للمخرج غالم علي " المكتوب" ، فيعتبر الباحث شارف محمد[173] أن الإهتمام بالهجرة أصبح يمس المجال الفني والسنمائي حتى أنه يسمى بـ " سينما الهجرة " و يصرح أن هذه الأفلام ليست تجارية بل تأخذ الصورة

ناشط و تقدمي و أيضا يرتبط بالمخرج و وضعيته كمهاجر و معالجة المواضيع التي لها علاقة بشروط حياة المهاجر و العمل و حتى إندماجه في المجتمع الإقامة. ويعرض الباحث قائمة مهمة من الأفلام الخاصة بالهجرة و التي تمت في كل من المغرب و الجزائر و تونس.

173.Charef Mohammed, *La circulation migratoire marocaine, un pont entre deux rives*, Édition Sud Contact, 1999, p 115.

LISTE DES FILMS D'IMMIGRATION [174]

Maktoub ? (Ali Ghalem, 1970, Algerie)	L'enfant des étoiles (Mohamed Beneyat, 1985)
Le doigt dans L'engrenage (Ahmed Rachedi, 1974, Algerie)	Le départ du pére(Farida Belghoul, 1985)
Le masque d'une éclaircie (Mohamed Benayat, 1974)	Le rescapé (Oukacha Touta, 1985)
L'autre France (Ali Ghalem, 1975, Algerie)	Un amour à Paris (Merzak Allouache, 1986)
Les ambassadeurs (Naceur ktarie, 1975, Tunisie)	Miss Mona (Mehdi Charef, 1987)
Barricades sauvages (Mohamed Beneyat, 1975)	Camomille (Mehdi Charef, 1988)
Voyage en capital (Ali Akka G, Anne-Marie Autissier, 1977)	Cheb (Rachid Bouchareb, 1990)
Ali au pays des mirages (Ahmed Rachid, 1979, Algerie)	Le cri des hommes (Oukacha Touta, 1990)
Les nouveaux romantiques (Mohamed Beneyat, 1979)	Un vampire au paradis (Abdelkrim Bahloul, 1991)
Larmes de sang (Ali Akka G, Anne-Marie Autissier, 1980)	Les années déchirées (Rachid Bouchareb, 1992)
Prends dix mille balles et casse-toi (M Zemmouri, 1980)	Au pays des juliets (Mehdi Charef, 1992)
C'est madame la France que tu préfère ?(Farida Belghoul, 1981)	Hexagone (Malik Chibane, 1993)
Les sacrifices (Oukacha Touta, 1982)	Poussière de vie (Rachid Bouchareb, 1994)
Le thé a la manche (Abdelkrim Bahloul, 1984)	Pigalle (karim Dridi, 1994)
Le thé au harem d'Archimède (Mehdi Charef,1985)	Baye Baye (karim Dridi, 1995)
Bâton rouge (Rachid Bouchareb, 1985)	Douce France (Malik Chibane, 1996)

174. Ibid, p 117.

و الأكثر حدثا ، الفيلم الجزائري تحت عنوان " الحراقة " الذهاب مهما كان الثمن للمخرج مرزاق علواش [175] في فيفري 2010 ، و يروي هذا الفيلم مشروع حرقة مجموعة شباب بفضل الممرر حسان، من ولاية مستغانم و هي منطقة ساحلية، وهو حلم هؤلاء الشباب للوصول إلى إسبانيا و إلى الجنة الأوروبية. و يدرج المخرج شخصية حراقة ترافق من تحب في المشروع و القارب إلى ضفة الثانية.

175.Harragas a entre-autre remporté le Prix Spécial du Jury et le Prix des Droits de l'Homme au Festival du film de Dubaï, ainsi que le Palmier d'or et le Prix de la meilleure BO au Festival de Valences, en Espagne.

و قد أستعمل موضوع الحرقة أيضا في المجال المسرح من طرف الهواة ، درجة مسرح[176] ، و المسرحية سميت بـ" الحرقة " و عرضت في مسرح علولة عبد القادر بوهران يوم 14 جانفي 2011 و تروي قصة تسع شباب و شابات و الذين يركبون قارب من أجل الذهاب بالطريقة الهجرة السرية إلى أوروبا. لكن هذه المسرحية تأخذ الطابع الهزلي و التعبير الكاريكاتوري للواقع المعاش للشباب ، رغم مأساوية الوضعية الإجتماعية التي يتواجدون فيها الفاعلين في كل من أسرهم ويتناولون دوافع الحرقة حسب المشاهد و الفئات التى تخوض هذه الظاهرة ويستعملون الغناء الراب كتعبير مهم للشباب، و عند حضورنا لهذا العرض المسرحي تفاجأنا بالجمهور الذي يتميز بمختلف الفئات العمرية و التجاوب التلقائي مع ما يعرض من صور التي تعكس الواقع بطريقة مباشرة، لهو دليل على أهمية ظاهرة الحرقة في المجتمع الجزائري.

Vendredi 14 janvier à 17h

«HARRAGA»

Auteur : Collectif
Mise en scène : Yabdri Mohamed
Résumé : 9 Algériens montent dans une barque pour partir en Europe clandestinement. Puis, une vague féroce et 9 épaves d'histoires flottent sur l'eau. L'irréel apparaît, des nez rouges tombent du ciel. L'absurde arrive avec les courants de la mer, déchiqueté et essoré au bord d'une plage inconnue. 9 histoires se racontent en flash, en mouvement, en musique, en scènes hilarantes et ironiques.

176.Mohamed Yabdri, HARRAGAS, DARAJA THEATRE, **Mise en ligne le** 12 janv. 2011 http://www.youtube.com/watch?v=iLSeo6HEjFw

DARAJA THEATRE PRESENTE
HARRAGAS
مسرح الدرّاجة تقدم
حراقة
إخراج
محمد بيدري
و
طاوس خازم
مصطفى أمين بوزيد دحو
نجوى درويش
فاطمة زمعلاش
نبيل بوعبدلي
بلال بن عبدالله
كوثر نفوس
يحي بن عبدالله
عماد الدين بكوش بن زيان
يوسف قواسمي
تربصات
طاوس كلير خازم
كيت إدواردز
موسيقى
عدناني مصطفى
صور
عصام لمرباوي
ELS
SIBAWAIH
Centre Culturel Français Oran
BRITISH COUNCIL
ASSOCIATION SDH
neo
COMMUNICATION
CENTRE CULTUREL MISSERGHINE

الإعلام أيضا أستعمل لتغيير فكرة الهجرة عند الشباب الجزائري من خلال الحصة التلفزيونية، **" الحراقة ما بين الواقع و الحلم "**[177] التي عرضت في 12 ديسمبر 2010 في القناة الوطنية ENTV، إعداد و تقديم سويق كمال.

هذه الحصة تبين صورة مغايرة و معاكسة عن الهجرة التي تحملها الجالية الجزائرية عند قدومها للوطن، و أيضا إستعانة بتصريحات المهاجرين الغير حاملين للوثائق في فلانسيا (إسبانيا) المختلفة و هي تفيد بتحذير و توعية الشباب بعدم التفكير في الذهاب إلى أوروبا و خوض الحرقة بسبب الأزمة الإقتصادية التي تتخبط فيها إسبانيا و يصرحون بالوضعية الصعبة التي يعيشونها بسبب البطالة وغلاء المعيشة.

فتعتبر هذه الحصة التلفزيونية، أحد وسائل محاربة الهجرة السرية من طرف الدولة من خلال وصف الواقع الذي يعيشه المهاجر الغير الشرعي في بلد الإستقبال، وتحطيم آمال الشباب في ربط النجاح في الحياة بالهجرة إلى أوروبا، إذ ستؤول بالفشل حتما أمام العراقيل و الظروف الصعبة التي ستواجهه. لكن يتبادر لنا من خلال هذه الطريقة، هل هي كافية لإقناع الشباب في العزوف عن الهجرة السرية، برغم من خوض فاعلة جديدة و هي المرأة في الهجرة السرية كحراقة ؟

177. Souig kamel, Harraga Entre Rêves et Réalité Algérie-Espagne, 1er Partie, La télévision Algérienne, 2010.
http://www.youtube.com/watch?v=4FSjr2l_Pyc

- **خـلاصـة**

إن واقع الهجرة السرية في المجتمع الجزائري يفرض نفسه، لأن الحراقة وجدوا من يساعدهم على إستمرارية من خلال شـبـكات الممررين التي تترصد هـذه الهجـرة و تستثمر فيه، و لم تعبأ بالقوانين و الإجراءات المتشددة في بلد الأصل والإستقبال، بل تحولت إلى ثقافة راسخة في أذهان الوسط الشباني وأصبحت حلم يسعى لتحقيقه كل جرائري و جزائرية ، إذا سمحت له الظروف وبهذا إنخراطه في الهجرة السرية.

الفصل الثالث

الهجرة النسوية الجزائرية
و إنخراطها في التيار الهجرة السرية

- **تمـهـيــد**

تتشكل النساء المهاجرات اللواتي ينحدرن من دول البحر الأبيض المتوسط الى أوروبا وفقا لنسب متباينة من جميع دول المنطقة كما إتبعن طرقا شبه متماثلة للهجرة و تشترك قصصهن نظرا لكونهن ينتمين الى دول عربية تغلب عليها الثقافة الإسلامية و تختلف خبراتهن وفقا لوضعهن القانوني لمهاجرات اتين ليلتحقن بشركائهن في اطار برامج لم الشمل الأسري او مهاجرات للدراسة او مهاجرات اقتصاديات مستقلات أو مهاجرات بلا اوراق رسمية و تمثل المهاجرات اللواتي ينحدرن من المغرب العربي الى اوروبا اكبر و اقدم نسبة و تعد فرنسا دولة مقصد مفضلة الى جانب اسبانيا و ايطاليا حيث يشكل المغاربة الجالية الأولى بها[178].

سنحاول في هذا الفصل ، كشف أهمية تواجد المرأة في الهجرة الجزائرية والتطورات الحالية بإنضمامها للهجرة السرية ، فرغم إغفال المجال العلمي عن دراستها كفاعلة حقيقية ، نظرا لهيمنة الرجل على الحراك الهجري ، خاصة المعروفة بهجرة اليد العاملة الجزائرية.

178.جون لوي فيل ، *الهجرة النسائية بين دول البحر المتوسط و الإتحاد* الأوروبي ، يوروميد للهجرة 2 ، 2009 ، ص 360 .
http://www.enpi-info.eu/library/sites/default/files/StudyonWomenredGIZ_EUROMED_II_AR_L.pdf

I - بروز المرأة في تيار الهجرة الجزائرية :

حسب الأرقام التي وضعها تقرير أوروميد 2[179] الهجرة النسائية بين دول البحر المتوسط و الإتحاد الأوروبي ، قد إرتفعت نسبة النساء المهاجرات في أوروبا بشكل ملحوظ خلال الخمس عقود الماضية .وإذا كانت معدلات الهجرات النسائية قد ظلت مستقرة بين الأعوام 1960 و 1980 ، بنسبة 48,5 % ، فإننا نلاحظ بين 1990وحتى 2000 أن ذلك المعدل قد بلغ 51,7 % و 52,4 % على الترتيب. توضح هذه البيانات أن النساء لم يعدن على هامش عملية الهجرة وأنهن يمثلن دائما جزءا أصيلاً منها لاسيما في أوروبا التي تتصدر دول العالم في استقبال المهاجرات.

على الرغم من الفروق التي تميز دول البحر الأبيض المتوسط. فإن الوجهات المختلفة لتدفقات الهجرة تنطوي على بعض التشابهات ، فالصلات القديمة بدول الإستعمار و استخدام لغة مشتركة و كذلك معرفة و تقدير ما يتعلق بثقافة دول الإستقبال تؤثر على تدفق الهجرات القادمة من الجنوب ان وجود شبكات قوية في دول المقصد و تشريع دول الإستقبال قد يلعبا دورا في تسهيل أو إعاقة هجرة المرأة. اذا سلمنا بان حركات الهجرات يتم تغذيتها و تعزيزها بفعل عوامل اقتصادية. مثل الفقر و عدم الأمن الإقتصادي و الإجتماعي فانه يمكننا ان نتعرف في حالة الهجرة النسائية على العوامل الإجتماعية و على العادات الثقافية التي تنشئ قوة كبيرة للهجرة.

وقد أكدت دراسات مختلفة أن الهجرة النسائية في منطقة المتوسط تمثل ظاهرة كانت ولا تزال موجودة .إلا أن الاتساع الذي حققته هذه الهجرة في أيامنا الحالية ونوع التعدادات التي تمسها ، يفرضان إجراء دراسة معمقة في هذا الصدد . وتاريخ الهجرة النسائية متعدد ، حيث إنه قد شهد تدفقا لعدد كبير من المهاجرات بعد الحرب العالمية الثانية .وقد كان نساء أوروبا الجنوبية أول الواصلات من دول أوروبا الجنوبية (إيطاليا واليونان وأسبانيا والبرتغال) بحثا عن عمل وحياة أفضل.

179 .المرجع السابق ، ص 50.

في منتصف السبعينات، فقد كانت النساء اللواتي ينحدرن من دول البحر الأبيض المتوسط (وخاصة المغربيات) هن اللاتي هاجرن في إطار لم الشمل الأسرى .وشهدت أواخر الثمانينيات تدفقا لنساء ينحدرن من دول الشرق بعد انهيار الأنظمة الشيوعية

وهكذا يمكننا أن نلاحظ التقدم الكبير الذي أحرزته الهجرة النسائية من دول جنوب البحر المتوسط إلى أوروبا وذلك على الرغم من كون الضوابط الاجتماعية الثقافية تميل إلى تقيد حركة المرأة أو تسمح لها بالتحرك في مساحة متحكم فيها . وتتراوح نسبة النساء المهاجرات من دول المتوسط بين 25% و 45 %حسب دول المنشأ والاستقبال.

و يركز الباحث جون لوي فيل[180] ،على أن البيئة المرأة المهاجرة ومستواها التعليمي ووضعها الإجتماعي و إسهامها الإقتصادي و كذلك درجة دخولها الضعيفة في دوائر الإنتاج في دولتها التي نشأت بها كل ذلك يمكن أن يلعب دورا رئيسيا في قرار الهجرة ، و أن تسهم التحولات الهيكلية الإقتصادية لدول البحر الأبيض المتوسط و درجة تنميتها و التطور الذي تم في مجال حقوق المرأة في ذلك القرار أيضا.

II - بدايـة الهجرة النسوية الجزائرية :

يقدر عدد الجزائريين في فرنسا 900.000 ألف تمثل منهم 550.000 ألف رجل و 71.000 إمرأة (يعد سنها أكثر من 16 سنة) أي امرأة واحدة تقابل سبع رجال مهاجرين فالجالية الجزائرية تعد أول جالية و أكبرها في فرنسا. هذه الجالية التي تتكون خاصة من رجال بالغين قد تطورت بشكل سريع حيث تظهر المرحلة الثانية للهجرة و ذلك بتواجد شروط تطور الحراك الهجري للعائلات حيث بدأت السمات الأولى في سنة 1938 فإن الهجرة العائلية تزايدت خاصة بعد سنة 1952 حيث حركة الاستقلال و ما نجم من خلالها من تغيرات و تحولات مأساوية قد ساهمت لتبرير هجرة الفاعلين المنتمين للمجتمع الريفي حيث تقدر العائلات المهاجرة بـ 100.000

180 .المرجع السابق ، ص 54 .

ألف عائلة تتكون من 27.000 ألف طفل اقل من 16 سنة (و هو ما يمثل 30 % من مجموع الجالية الجزائرية المتواجدة بفرنسا)[181].

ففي سنوات الخمسينات ظهرت هجرة المرأة و الأسر ، و هذه الهجرة توقف بشكل مباشر للأشكال و الوظائف الأولى للهجرة القديمة، أن ذهاب المرأة و الأسرة يعني أو يفسر تجدرها في فرنسا.

ذهاب المرأة كان يمثل لجماعة الانتماء كقطيعة للتضامن القروي و يعد كخدعة مع بداية حرب التحرير الجزائرية فذهابها كان يعد شيئا مخلا (عيب) ولهذا أصبح الوضع الإجتماعي للمرأة هشا خاصة في الأسرة المركبة و بالنسبة للأخريات زواجهن مهدد بالتفكك و هذا لارتباط بعض المهاجرين مع أوروبيات مما يؤدي أيضا إلى قطيعة مع أسرته و قريته.

أصبحت المرأة من جراء هذه الوضعية مهمشة و منبوذة فتواجه لوحدها الفقر و المأساة، و أخريات تربي أطفالها لوحدها في غياب الأب، فكانت مسئولة عن الأعمال الداخلية و الخارجية للبيت.

و أيضا فترة الحرب 1954_1959[182] كانت تتميز بترحيل عنيف للشعوب في ملاجئ و الذي ساهم في تحطيم علاقات التضامن الإجتماعية فأدى إلى تفكيك الأسر المركبة و في هذا الإطار الذي بدأ انطلاق الزوجات الأوائل للالتحاق بالأزواج في فرنسا.

و حسب إحصائيات للمعهد الوطني تعلن أن حوالي 5000 عامل في منطقة شمال فرنسا Nord-Pas-de-Calais تكون نسبة العاملات تقدر بـ 2 % في سنة 1946 [183].

181 .Sayad Abdelmalek, *La double absence, des illusions de l'émigré aux souffrances de l'immigré*, Éditions du Seuil, 1999, p 96.

182. Meddi Adlène, Dahmani-Lovichi Fatiha (Sociologue) , « Migration des femmes, une mémoire oubliée » , **El Watan**, 14 février 2006, n=° 5250, p 10.

183 .Ibid, p 10.

و تظيف Merckling Odile [184] أن عدد الجزائريات المتواجدات سنة 1954 يقدر نسبته بـ 6,5 % و تليها سنة 1968 تقدر بـ 26,7 % .

و حسب هذه الإحصائيات يعتبر **خشاني محمد**[185] ، أن هذه الفترة هي المرحلة الأولى للهجرة النسوية المغاربية و التي تشمل كل من المغرب و تونس والجزائر ، تتمثل في السنوات الستينات (60) و بداية السنوات السبعينات (70) والتي خصت الفئة الذكورية بالتحديد و يشير انه في هذا التيار الهجري الاقتصادي (الهجرة العمالية) ، النساء المغاربيات كن بالكاد حاضرات.

III- مراحل الهجرة النسوية الجزائرية:

1- هجرة التجمع العائلي :

من اجل فهم الوضعية الحالية للهجرة النسوية ، يجب الأخذ بعين الإعتبار التحولات الذي عرفها هذا التيار الهجري ما بين سنة 1970 و 1974 من خلال الأزمة النفطية و السياسة الهجرية المتشددة للدول المتعلقة بالتدفق الهجري التقليدي مثل فرنسا ، و قد شهدت عملية مساعدة المهاجرين على الرجوع من خلال المساعدات المالية ، لم تنل نجاحا بل حدث العكس بتشجيع قانون التجمع العائلي وهذا ما أدى الى قدوم النساء و الأطفال بشكل مسيطر في فترة ما بين 1970 الى 1990[186].

و مما سبق يتبين أن تدفق العنصر النسوي في ارتفاع متواصل و أيضا أن القوانين الفرنسية قد ساهمت في زيادة أعدادهن و خاصة بعد الاستقلال والمعروف بقانون التجمع العائلي.

184 .Merckling Odile, *Emploi, migration et genre des années 1950 au années 1990*, l'Harmattan, Paris, 2003, p 26.

185. Khachani Mohamed, « La femme maghrébine immigrée dans l'espace économique », p 2 . http://www.iussp.org/Brazil2001/s20/S27_P08_Kachani.pdf

186.Miranda Adelina, « Les multiples situations migratoires féminines dans la méditerranée », **Revue NAQD**, n=° 28, 2010, p 22.

Tableau n° 19 **: Motifs principaux de migration selon le sexe et le pays d'origine**[187]

Pays d'origine	Femmes			
	Travail	Regroupement familial	Refugié	Etudes
Algérie	04%	90%	01%	01%

حسب هذا الجدول نلاحظ أن الهجرة النسوية تتشكل من خلال التجمع العائلي أساسا فقبل سنة 1974 كان سبب الذهاب أو الهجرة هو العامل الاقتصادي لكن بعد توقيف الهجرة العمالية من سنة 1974، فالتجمع العائلي أخذ مكانة مهمة في الهجرة الجزائرية.

و يأتي التجمع العائلي المتفق عليه في المعاهدات الثنائية لهجرة اليد العاملة فقد سمح بإنضمام " العائلة " (المرأة و الأطفال) لأنه يمنح " محيطا آمنا " **un cercle protecteur** و الذي يسهل تأقلم السوسيوثقافي للمهاجر و يضمن القدرة على الوفاء الإقتصادي[188].

يقدر عدد الجزائريات المقيمات تحت قانون التجمع العائلي في فرنسا ما بين 1975 و 1982[189] ، بعشر مرات عن عدد الرجال، فأنثوية الهجرة قد تمت من الناحية الكمية و النوعية، فجزء كبير من الشابات المهاجرات إلى فرنسا لا تحمل نفس الخاصية التي تتميز بها المرأة المهاجرة سلفا و التي كانت ماكثة بالبيت.

187 .Source: Enquête mobilité géographique et insertion sociale, réalisée on 1992.

188. Adri, « L'insertion socioprofessionnelle des femmes d'origine étrangère , Savoir et Perspectives », Juin 1994, p 81.

189 .Khandriche Mohamed, *Le nouvel espace migratoire franco-Algérien, des données et des hommes*, EDISUD, France, 1999, p 54.

الدراسة التي قام بها بوكليا حسن رفيق[190] حول أنثوية الهجرة من الأصل الجزائري ووضع بيان موضح لأهمية النقلة التي عرفتها الهجرة النسوية الجزائرية في المرحلة ما بين سنة 1971 و سنة 1975 و التي تقدر بـ 95 % ، فيصفه " **كقفزة** " لمعدل أنثوية دخول إلى فرنسا خلال هذه الفترة . و يذكر أن في سنة 1973 الحكومة الجزائرية قررت ايقاف الهجرة نحو فرنسا بسبب الهجمات العنصرية التي بدأت سنة 1971 و التي راح ضحيتها العشرات من الضحايا ، المهاجرين الجزائريين. أما بالنسبة للحكومة الفرنسية ، تقرر في سنة 1974 توقيف لكل هجرة جديدة .

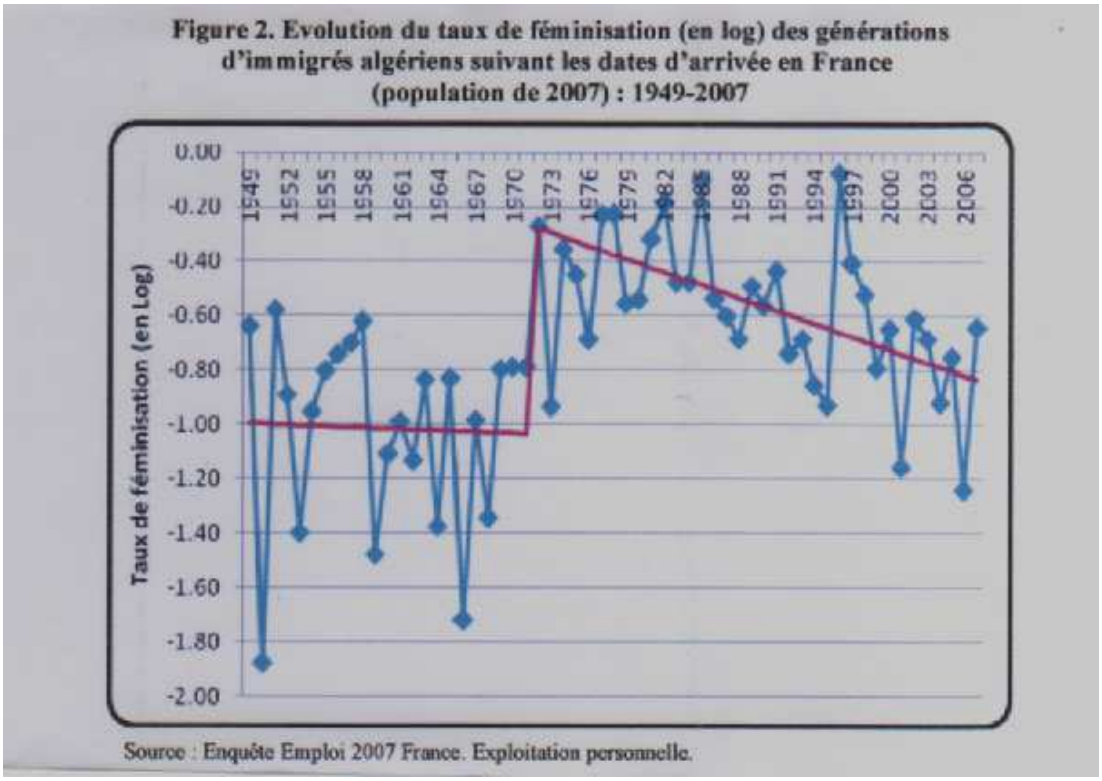

190. Bouklia Hassane Rafik , « La féminisation de l'immigration d'origine Algérienne : un état de lieux », **CARIM**, 2011/20, p 11-12.
http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/15617/CARIM_ASN_2011_20.pdf?sequence=1

و يضيف الباحث إلى الدافع العائلي لهذه الهجرة النسوية ، بحث المرأة على إستقلالية أمام المعايير و القيم الصارمة و فرصة المساهمة في المجال الإقتصادي بخروجها للعمل. و رغم هذا يشير الباحث أنه لا نستطيع تحديد الدوافع الحقيقية للهجرة في هذه الحالة خاصة أنها مقيدة بالسياسات و القوانين الصارمة والإجراءات الإدارية التي تتحكم في هذا التدفق.

إن التجمع العائلي حسب وصف الباحث بوكليا حسن رفيق[191] أنه الحراك الأساسي للهجرة الجزائرية نحو فرنسا لكنه لا يتعلق بهجرة المرأة فقط ، بل حسب النتيجة التي توصل إليها فيثبت أن في السنوات الأخيرة حتى سنة 2006 ، أن ذهاب الذكور من خلال المرافق لعائلاتهم الفرنسية هو أكثر إرتفاعا من التجمع العائلي بالنسبة للمرأة . و هذه الديناميكية تعارض الفكرة المتواجدة عن ربط دائم لهجرة التجمع العائلي كمحرك و دافع لتنقل المرأة.

جدول رقم 20 : تشخيص التجمع العائلي و نسبة الأنثوية الهجرة ذات الأصل الجزائري في فرنسا سنوات 1996 ، 2001 ، 2006.

التشخيص		1996	2001	2006
المجموع الكلي للتجمع العائلي	***التجمع مع عائلة مهاجرة***	%24,5	%23,8	%23,5
	التجمع مع عائلة فرنسية	%45,1	%55,9	%69,6
نسبة الأنثوية في التجمع العائلي	***التجمع مع عائلة مهاجرة***	%83,7	%79,1	%61,1
	التجمع مع عائلة فرنسية	%49,0	%43,3	%46,3

191. Ibid, p 16.

يعتبر **محمد خشاني**[192] التجمع العائلي هو المرحلة الثانية للهجرة النسوية وهو وصول المرأة المغاربية لدول الإستقبال في إطار التجمع العائلي و نادرا ما تهاجر لوحدها و هذا التيار بدأ في السنوات السبعينات و يشهد إنضماما محتشما للمرأة في سوق العمل.

و في هذا التيار الهجري صنف الباحث المرأة إلى فئتين:

الفئة الأولى: هي المرأة من الأصل الريفي، و التي تواصل نظام العيش يشابه البلد الأصل، اي نفس التقسيم الجنسي للعمل و نفس توزيع الأدوار و المهام التي تتضمن التسيير العائلي للمجتمع الأصلي. (الإهتمام بالبيت و الأطفال).

الفئة الثانية: هي التي تخص النساء الأقل خبرة مهنية و تحت ضغط الحاجة او تأثير النمودج المتواجد للمجتمع المستقبل (المرأة الأوروبية العاملة) بدأت المرأة تعمل بعد فترة من اقامتها.

أما **مسدالي فاطمة**[193] ترى أن المرأة من خلال انضمامها لإطار مشروع جاهز و هو التجمع العائلي ، لم يمنحها دور رائد بل هي خاضعة للوسيط (الزوج ، أحد افراد العائلة) و تظيف ان المهاجرات كن صغيرات السن (اقل من 20 سنة) و تنحذر من الأوساط القروية و تغلب عليها الأمية ، و كن يتنازعن عن ثقل الهوية الموروثة و التأقلم مع المحيط الجديد. و أصبحن يشكلن مصدر عيش لعدد هام من الأسر بالمهجر و بالبلد الأصل من خلال الأعمال الغير مرئية و التى لا تحتاج الى تأهيل مهني.

192 .Khachani Mohamed, op cit, p3-4.

193 .مسدالي فاطمة ، "المرأة المغربية المهاجرة و مسألة الإندماج" ، مركز دمشق للدراسات النظرية و الحقوق المدنية - http://www.mokarabat.com/s4745.htm.2008\9\11

إن الهجرة حسب Merckling Odette[194] تعيد تنظيم العلاقات العائلية وتشخيص فردي جديد و لهذا العديد من الجزائريات القادمات الى فرنسا في اطار التجمع العائلي ، يصبحن يعملن كمساعدات في تربية الأطفال و الأخريات يتخذن مشروع تجاري في مجال النساء. فإنشاء عمل غير رسمي يمنحهن الحصول على نوع من الإستقلالية الإقتصادية مع احترام و اتباع المسار التقليدي.

تشير الخياط ريتا[195] في أغلبية الحالات كانت هجرة المرأة هي التحاقها برجل العائلة و لم يكن لها دخل في قرار اختيار دولة المهجر بل كانت هجرتها بالصدفة، و نستطيع اعتبار هجراتها هي انتهاز فرصة منحت لها من طرف الرجل، و كانت المرأة في مجمل الحالات زوجة المهاجر لكي تضمن للزوج المحافظة و حماية الأصل الإجتماعي ، و قناعته ان عند زواجه من بنت البلد الأصلي يقي نفسه من احتمال التفكك الثقافي في المجتمع المهجري و إستغلت النساء هذا القانون الهجري لغرض الذهاب.

الفئة الإجتماعية الأولى التي قد خضعت لقانون التجمع العائلي و هن الزوجات[196] les épouses فتعتبر الباحثة أن أول عمل تقوم به المرأة المهاجرة والتي حددت فيها مهمتها و الذي يلائم مكانة الزوجة ، فالدفعة الأولى للهجرة النسوية كانت تتمثل في إلتحاق المرأة لزوجها. و تصف المتزوجات بالفاعلات الأكثر محافظة على خصائص المجتمع الأبوي ، العربي ، الإسلامي. و في رأيها ان نجاح هذا النظام لا يتم إلا بفضل هذه الفاعلة التي تحرس على حماية السلسلة الإجتماعية و القيم الذكورية و التي تنقلها في اطار دورها كزوجة و ام طوال حياتها.

194. Merckling Odette , op cit , p 27.
195. El khayat Rita, *Les bonnes de paris Essai sur l'émigration des femmes maghrebines*, Edition Riveneve, 2008, p56-57.
196. Ibid, p63-64.

2- الهجرة النسوية الفردية :

محمد خشاني[197] يصف الهجرة النسوية الفردية بالمرحلة الثالثة التي تتميز بدفعة جديدة للتيار الهجري المغاربي و الذي تطور في النصف الثاني لسنوات الثمانينات. فالمرأة تهاجر اكثر فأكثر بصفتها فاعلة اقتصادية فردية و ليست تحت رعاية المهاجرين الذكور.

صياد عبد المالك[198] يعرف الهجرة الجزائرية بأنها لا تتمثل فقط في الهجرة العمالية الذكورية الراشدة بل التحول المورفولوجي الذي شهدته الجالية يبين أنه يعوض اللاتوازن البنيوي في تفاوت عدد الراشدين بالنسبة للأطفال و تفاوت عدد الرجال بالنسبة للإناث و تفاوت عدد الرجال وحدهم بالنسبة للرجال المرافقين لعائلاتهم. و هي تحمل في داخلها المصادر المهمة الأساسية للإجابة عن حاجة الأعباء اللازمة لعملها و هي تمد في نفس الوقت الإمكانيات الأساسية لإعادة إنتاجها.

إن الهجرة النسويــة عرفت تطـورا بالنسبة للهجـرة العمالية التي أساسـها هـجـرة الزوج و الأطفال (صغار السن) المحدد في دخول اليد العاملة لبلدان الاستقبال لكن الهجرة في شكل التجمع العائلي لا تنظر على أنها هجرة عمالية.

في المقابل يظهر لنا نمو و تطور عدد النساء المهاجرات في فئة العمال الدائمين فهذا يترجم بارتفاع عدد النساء المهاجرات (عدد الدخول) وفي شكل هجرة النسوية الفردية و هذا النوع من الهجرة قد كان مختبئ تحت شكل تيار هجرة التجمع العائلي[199].

197. Khachani Mohamed op cit , p 4.
198 .Sayad Abdelmalek, op cit, p 96.
199. *Les femmes immigrées, Facteurs d'exclusion et d'insertion au sein d'une société multiethnique*, la situation en France, Edition UGT, 2000, p 50.

من خلال دراسة الباحثة قيومو فرانسواز[200] للهجرة النسوية الإفريقية ، قد لاحظت مرحلتين للهجرة في الحقبتين الأخيرتين ، *الأولى* : تحدد ما بين 1980-1990 ، و هي تتعلق خاصة بالكاميرونات و الغانيات ، فالأوائل قد إستطعن الحصول على تأشيرة السفر للدخول إلى أوروبا ، و هذا بدون الإستعانة بالوسائط أو إلى المنظمات الممررين les organisations de passeurs ، و عند وصولها إلى فرنسا ، قد إستطاعت تسوية وضعيتها الإدارية ، فهي تعتبرها من أهم المراحل الهجرة النسوية الفردية التي عرفتها المنطقة إتجاه أوروبا.

الهجرة الأنثوية الفردية فهي تتحدد في المرأة العازبة و في بعض الأحيان متزوجة مع اطفالها او بدونهم ، المرأة ترغب في تحسين ظروف حياتها فهي تصل الى دول الإستقبال بحثا عن عمل. و يتشكلن حسب مسدالي فاطمة [201] كفاعلات لمبادرة الهجرة بأنفسهن و يصطلح المهاجرات الإقتصاديات لأنهن عاملات و كان العامل الشخصي وراء هجرتهن فمعظمهن عازبات و مطلقات و أرامل، اللواتي يتراوح سنهن ما بين 20 الى 40 سنة و هن يشتركن في نفس الأهداف و هو الهروب من مشاكل البطالة و البحث عن العمل. تتميز المهاجرات عن سابقاتهن انهن ذات دخل مستقل من خلال عملهن في بلد الإستقبال ،كخادمات في البيوت والمقاهي و الملاهي الليلية و المؤسسات الصحية ، و إصطدمت الجامعيات بعملهن في هذا القطاع بما لا يتناسب مع مستواهن التعليمي فدخولهن بتأشيرة السياحية أو إستكمال الدراسة و طرق أخرى، بقاؤهن اضطرهن الى قبول تلك الاعمال الهامشية.

و تعتبر بوتخيلي خديجة[202] أن العالمية الإقتصادية أحد أسباب زيادة التدفق التيار الهجري في العالم و ايضا اختلاف التشكيلة السكانية المغاربية المهاجرة في أوروبا ، ففي الحقبة الأخيرة تم ازدياد عدد النساء المهاجرات الباحثات عن العمل بشكل قوي. و تعتبر غياب البنية الإقتصادية و السياسية و الإجتماعية التي تعطي للمـرأة فرصـا متساوية في سوق العمل و ساهـمت هذه الوضعية فى إنتشار فقر

200.Guillemaut Françoise, « Sexe, juju et migrations, regard anthropologique sur les processus migratoires de femmes africaines en France » , **Recherches Sociologiques et Anthropologiques** , n°= 39-1, 2008, p11-26.

201.مسدالي فاطمة ، مرجع ذكر سابقا .

202. Boutkhili khadidja, « L'impact de la mondialisation sur le marché du travail , émigration des femmes dans les pays du Maghreb », **Observatoire National du Développement Humains** , 2003 , p10-11. (Mis en ligne 2011-05-19) http://hdl.handle.net/123456789/31477

المرأة la féminisation de la pauvreté و الذي بدوره شجع انثوية الهجرة الفردية فأصبحت المرأة تغادر منزلها بحثا عن حلول اقتصادية.

و هذا ما يؤكد ارتفاع عدد النساء المقيمات بالخارج بـ 57 مليون في العالم في سنة 1990 و هذا يمثل نسبة 48 % من عدد المهاجرين الإجمالي. فالهجرة الإقتصادية النسوية في اتجاه الدول الأوروبية قد أصبحت من الظواهر المرئية un phénomène visible.

و تعد الرغبة في الاستقلالية الذاتية[203] ، فالفليبنيات اللاتي يهاجرن إلى خارج هن حاصلات على شهادات أكثر من الفلبنيين ، يذهبن للبحث عن عمل وأيضا للحصول على اكبر مساحة من الحرية و في هذا الإطار الصينيات هن أيضا يذهبن من بلادهن نحو الولايات المتحدة و ذلك للجوء الاجتماعي.

اليوم استراتيجيات الهجرة للاستقلالية تجري في إطار المضايقة القوية للمرأة التي تعيش في البلد الأصل حيث الوضعية السياسية و الاجتماعية والإقتصادية تتسم بالصعبة و الاستراتيجيات تتصادم مرارا مع اختيار الهجرة ، كمقياس الإختيار يتحدد من خلال السياسة الهجرية لبلد الاستقبال و الإختيار يتحدد أيضا من خلال القدرات و موارد المهاجرة (المادية و العلمية) .

و حسب ما ذكر سابقا يتبين من خلال الجدول ان الهجرة النسوية الجزائرية هي الأقل عددا مقارنة بين الدول المغاربية المجاورة و هذا دليل على أن الإنطلاقة كانت متأخرة حتى سنة 1997 و 1998.

203.Les *femmes immigrées, Facteurs d'exclusion et d'insertion au sein d'une société multiethnique*, op cit, p 52.

جدول رقم 21 : منح شهادة الإقامة للنساء المغربيات ما بين 1994 و 1999

الدول	1992	1993	1994	1995	1996	1997	1998	1999
الجزائر	540	484	517	612	681	916	1043	1211
المغرب	8180	8844	12010	14641	17660	23722	27960	34349
تونس	3733	3117	3783	4346	5193	6866	7829	8827
المجموع	12453	12445	16310	19599	23534	31504	36832	44387

المصدر : الإحصائيات وزارة الداخلية سنة 2000.

الهجرة النسوية في إطار التجمع العائلي كانت أسبابها الأساسية ثقافية ، أما الهجرة النسوية الفردية فيشير الباحث خشاني[204] ان أسبابها إقتصادية حيث الأزمة التي مست الإقتصاد المغاربي في بداية سنوات السبعينات و التي نتج عنها اختلال حاد منذ أوائل سنوات الثمانينات.

ان انتشار البطالة تعد الدافع الرئيسي للهجرة النسوية في المرحلة الثالثة للتيار الهجري النسوي ، لكن بناء مشروع الهجرة غالبا ما يبدأ تحت تأثير دوافع اخرى مثل دوافع الجذب و الدفع هي:

- تمثلات النجاح الإجتماعي ، التي يحملها المهاجرون خلال عودتهم الى الوطن خلال العطلة السنوية.
- تطور الإتصال و تأثير الإعلام من خلال القنوات التلفزيونية.
- القرب الجغرافي.
- طلب العمل الخاص في دول الإستقبال و تجيب عن الحاجة التي يتطلبها الإقتصاد الثانوي، و خاصية هذه الأعمال المهمشة اجتماعيا و الغير مرغوب فيها من طرف سكان الدول الأوروبية.

204. Khachani Mohamed , op cit , p5.

هذه التغييرات قد ساهمت في خلق ثقافة الهجرة بالمجتمع و هذه الثقافة تتجدر حتى عند الفتيات الشابات و ذلك حسب نتائج الدراسة لعمل الأطفال بالمغرب و التي كشفت عن طموحات الأطفال نحو المستقبل فأجابت الفتيات بالرغبة في الهجرة خارج الوطن مستقبلا و التي تقدر نسبتها بـ 13,2 %[205].

و تعتمد بعض البلدان على الهجرة النسوية حيث يجلبون اليد العاملة النسوية أكثر من الرجالية ، مثل 65 من النساء سرلنكيات هاجرن للعمل في البلاد الأخرى في سنة 1990 و 78 من النساء اندونيسيات في سنة 1988[206].

فتصبح بسبب الأوضاع التي تعيشها المرأة المغاربية هي دافع لهجرتها ، فهي تختار مغادرة بلادها لقناعتها بحظوظ رؤية إبنتها تتمدرس و فرصة تغيير مكانتها و دورها من خلال الهجرة. و ازدياد الفتاة في بلد المهجر (أوروبا ، امريكا) يمنحها حقوق أكثر مقارنة مع المجتمع الأصلي للوالدين. و تتشكل العلاقة التي تربط كل من المهاجرة و دولة الإستقبال و المجتمع الأصلي الذي يخلق نوع من الإمتزاج لشروط و ظروف المرأة و الذي يخلق أيضا نوعا من التأثير الأولى على الثانية و الأخريات من خلال تبادل الخبرات و السلوكات و بعض الحقوق التي تحصلت عليها من البلد المستقبل و تحكي مختلف التجارب و الإستراتيجيات وحتى تتبادل المساعدات في ظروف الهجرة أو مشروع الهجرة مثل نوع من الحزب النسوي في طريق التأسيس و التنظيم . و يحكى للبنات قصص جميلة و مثيرة عن اوروبا التي صدقتها و التي دفعتها بدورها الى الذهاب نحو اوروبا[207].

205. Khachani Mohamed et les autres , « Le travail des Enfants au Maroc » , Association d'aide à l'enfant et à la famille, Casablanca, 1995.(non publier)

206. *Les femmes immigrées, Facteurs d'exclusion et d'insertion au sein d'une société multiethnique* , op cit, p 52.

207 .El khayat Rita, op cit, p 194.

رغم تدفق التيار النسوي في الحراك الهجري الفردي ، فهذا لا يعني سهولة حصولها على شهادة الإقامة و تواجدها بصفة دائمة في بلد الإستقبال ، فمن خلال الباحثة Merckling Odile [208] و عرضها لسياسة الهجرية الفرنسية و صعوبة الإقامة بالنسبة للمرأة القادمة لوحدها و حتى أن وضعيتهن المهنية لا تسمح بتسوية وضعيتهن الإدارية ، فتعتبر الكثيرات منهن و في مختلف الظروف كطالبات ولاجئات و عدم إتاحة فرصة الإقامة الدائمة في بلد الإستقبال. فهي تذكر حالة النساء الجزائريات اللاتي طلبن حق اللجوء إلى فرنسا في السنوات التسعينات ، والتي تم رفض طلباتهن رغم توصيات المنظمة العالمية لحقوق الإنسان.

3- الهجرة النسوية الدولية :

إن إنتشار المرأة كفاعلة للتيار الهجري الجزائري هو نتيجة لإزدواجية التقدم :

- الأول : تطور مكانة المرأة في الجزائر ، التي كانت مبنية حول المجال الخدماتي و التنظيم الجنسي للمجتمع ، نحو فاعلة إجتماعية.
- الثاني : تطور هجرة المرأة من زوجة مرافقة للرجل إلى مكانة فاعلة للحراك و التنقل الهجري لوحدها.

يشرح لبدلاوي حوسين[209] أن المرأة قد تطورت مكانتها ، من ماكثة بالبيت وزوجة و أم إلى مكانة فاعلة في الحياة الإجتماعية و الإقتصادية و السياسية . فظاهرة تمدرس المرأة و وصولها إلى أعلى المستويات العلمية ساعد بشكل كبير على تغيير مكانتها في المجتمع ، و سمح لها بالإلتحاق لمناصب مهنية مختلفة و أيضا بالإنخراط في المجال السياسي كعضوة منتخبة في مجلس الأمة و المجلس الشعبي.

208. Merckling Odile, *Femmes de l'immigration dans le travail précaire*, l'Harmattan, 2011, p 50.

209. Labdelaoui Hocine, « Genre et migration en Algérie », **CARIM**, 2011/12, p 5. http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/15597/CARIM_ASN_2011_12.pdf?sequence=1

إن تطور مكانة المرأة الجزائرية أدى إلى خلق شروط توسع رقعة الهجرة الدولية، و مجال تحقيق مشروع الهجرة.

و يضيف الباحث مبروكين علي[210] عن الدور الهام الذي قام به قانون الأسرة المعدل لسنة 2005[211] و مشاركته في الرفع من نسبة الهجرة النسوية.

فيجد أن عدم لجوء المرأة لتصريح قبول الذهاب من الوطن من طرف الأب أو الزوج ، قد فتح مجال إنتقال المرأة في إطار المهني و الزيارات العائلية وإصطحاب أطفالها في العطل ، تحضير شهادة الدكتوراه في الخارج .

منذ سنة 2005 ، نسبة المرأة المسافرة لوحدها في مهمة تابع وظيفتها قد ارتفع بـ 92 % و بنسبة 80 % بالنسبة للنساء المقيمات بالخارج (خلال بضع أسابيع ، أو عدة أشهر) ، و نسبة 72 % بالنسبة للنساء المتزوجات اللاتي ليس لديهن أطفال ، أما المتزوجات اللواتي لديها أطفال فهي تمثل نسبة 35 % و سبب إنخفاظ هذه النسبة هو الرفض المجبر من طرف الزوج أكثر من مسؤولية التربية الأولاد.

و حسب دراسة قام بها الباحث[212] في برنامج FSP حول الحراك و التنقل الهجري للطلبة و المثقفين و العلميين في الدول الأورو البحر المتوسط Euro-méditerranéen[213] و حسب تحليل خطابهن توصل الباحث أنه من أجل بناء مشروع الهجرة يتوقف على ثلاث عوامل:

1- الوضعية الهشة للمرأة في الجزائر

2- بنية واضحة للحراك في المخيال و الفكر

3- إقامة إستراتيجية الحراك مثل الزواج أو الدراسة

210 .Mebroukine Ali , op cit , p 6.

211 .Ordonnance n°= 05-02 du 27 février 2005 complétant et modifiant la loi n°84-11 du 9 juin 1984 portant code da la famille.

212. Mebroukine Ali , op cit, p 6.

213 .Dans le cadre de ce projet associant les universités de paris 8, Alger , Tunis et Meknès.

يستخلص أن رغبة المرأة في الهجرة تأتي بسبب الظروف السوسيوثقافية .

أما عن دراسة عبد اللاوي حوسين ، أن الهجرة الفردية للمرأة[214] دافعها هو البحث عن شروط الحياة أفضل تتم في إطار إندماجها المتطور في الحراك الدولي ، والذي يأخذ عدة أشكال :

- إنخراط الطالبات في الشبكات للحراك العلمي
- إنخراط الفاعلات في الجمعيات و في شبكات المنضمات الأورو البحر الأبيض المتوسط .
- إقتحام النساء في الحراك التجاري الدولي و المسمى بـ " الترابندو " (تجارة الشنطة) ، و هو ممارسة المرأة للتجارة بطريقة غير رسمية بنقل السلع بين الدول و هذا يعتبر ذهابها و إيابها من دولة الأصل إلى دول الأوروبية .

يجب الإشارة أن العلاقة التي تربط الوضعية الأمنية التي واجهتها الجزائر في السنوات التسعينات و إنخراط المرأة في حراك الدولي و الذي أدى إلى نشوء شروط تطور الهجرة النسوية (المرأة الجامعية ، الصحفية ، الفنانة ، الطبيبة ...) و ذلك بسبب المجازر و العنف و الإعتداءات المختلفة التي تعرضت إليها المرأة ، امام هذه الوضعية ، الكثير من النسوة كان مفروضا عليها الهروب من مكان إقامتهم نحو الهجرة و الإقامة في الخارج.

جدول رقم 22 : يبين نسبة تواجد المهاجرات في 9 دول أوروبية

من المجموع الكلي

البلد	مجموع المهاجرين	مجموع المهاجرات	نسبة المهاجرات
الجزائر	**805.809**	**355.880**	**% 44,2**
المغرب	**2.088.942**	**886.425**	**% 42,4**
تونس	**362.071**	**141.107**	**% 39**

214 .Labdelaoui Hocine, op cit , p 7.

هذه الإحصائيات جمعت من إتحاد البحوث التطبيقية (CARIM) حول الهجرة الدولية سنة 2008-2009.

يشير الباحث [215] أن الإختلاف الظاهر ما بين كل من هجرة الذكر و الأنثى ، وهذا راجع إلى النظام الأبوي في الدول العربية و المغاربية يمنع المشاركة الكاملة للنساء في الحياة العامة و يتحكم في تحركاتهن ، خاصة الغير متزوجات ، و يجب خرق عدد من الممنوعات حتى تتمكن من السفر لوحددها ، فرغم هذا الهجرة النسوية في هذه البلدان بارزة و هي في تطور ملحوظ ، خاصة نسبة الهجرة النسوية الجزائرية حسب الجدول رقم 04 و الذي يوحي بقدمها مقارنة بالدول الأخرى.

نلاحظ أن أغلبية الإحصائيات الموجودة في مختلف المصادر ، لا تحدد نوعية الهجرة النسوية ، إن كانت تدخل في مجال التجمع العائلي أو الهجرة الفردية ، وهذا ما يمنع من التعمق أكثر في تشخيص دوافع الهجرة الفردية النسوية الجزائرية.

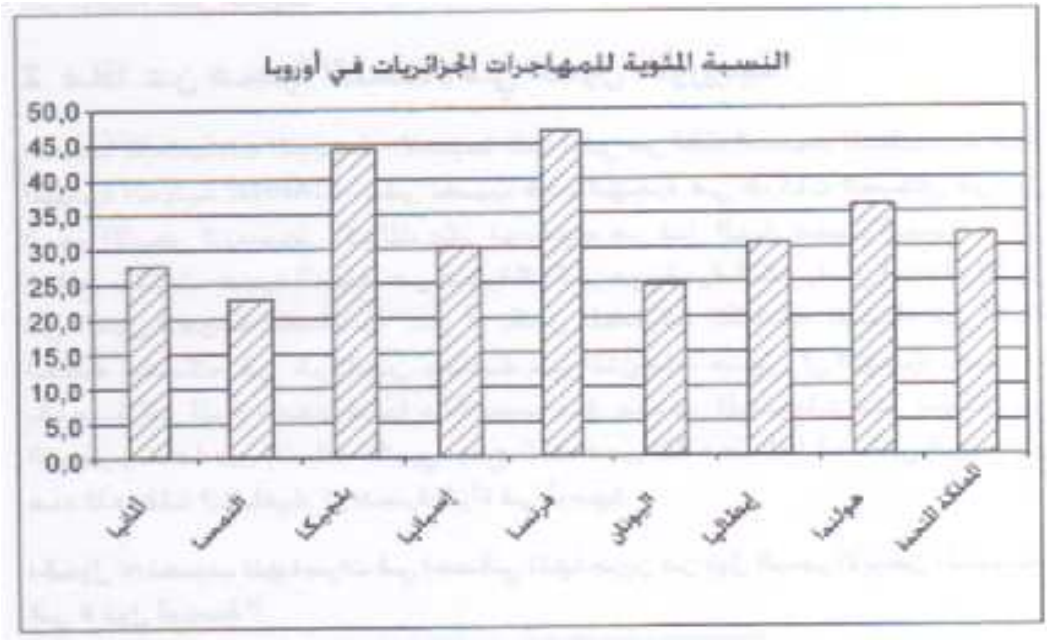

بيان رقم 04 : يمثل النسبة المئوية للمهاجرات الجزائريات في أوروبا سنة 2008-2009

215.جون لوي فيل ، مرجع ذكر سابقا ، ص 152 .

تتجه هجرة الجزائريات نحو فرنسا و بلجيكا و هما أكثر نسبتا مقارنة بالدول الأوروبية الأخرى ، نرجعه لعامل اللغة و أيضا لتواجد الشبكات الهجرية الأكثر إنتشارا، مما يسهل إنتقال الجزائريات إلى هذه الدول ، و هذا لا يقلل من أهمية الهجرة الجزائرية في كل من هولندا و إسبانيا و إيطاليا و هي تتراوح بـ 30 %.

IV - تيبولوجيا المهاجرة الجزائرية :

1- السن :

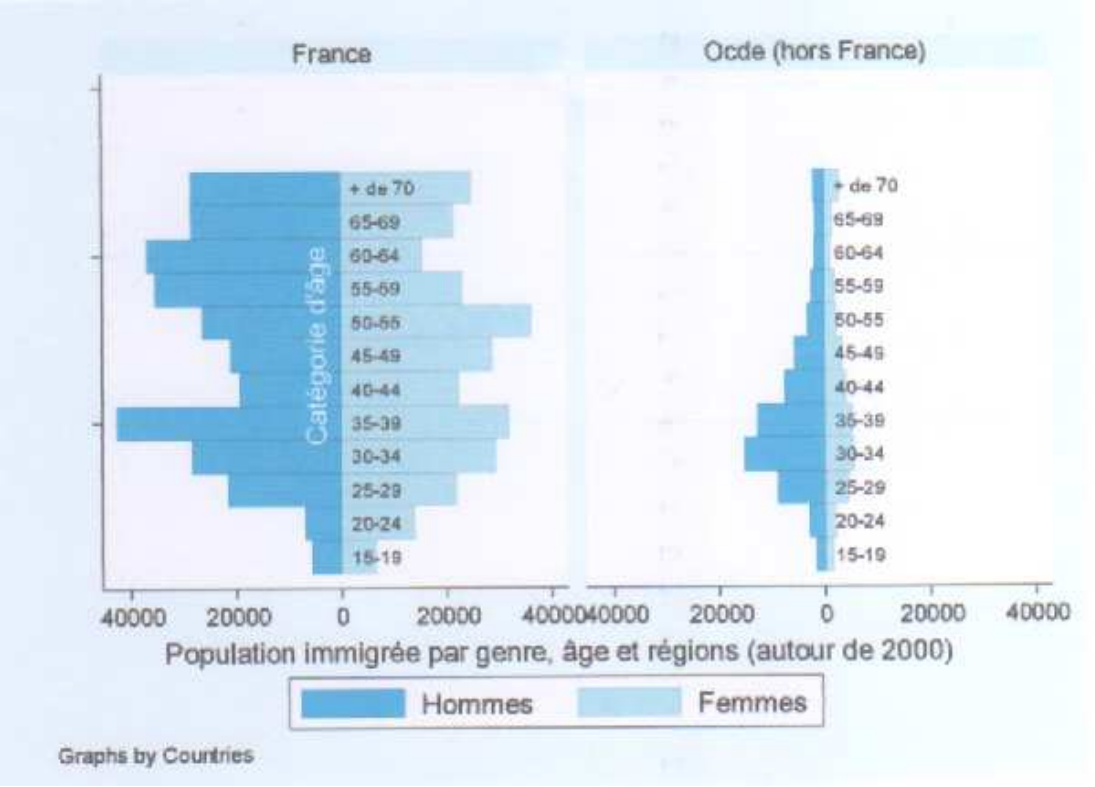

بيان رقم 05 : يمثل توزيع الجنس و السن و إقامة المهاجرين من الأصل الجزائري في فرنسا و باقي الدول الأوروبية سنة 2000[216]

216.Bouklia Hassane Rafik, op cit , p 4.

و يشير الباحث من خلال هذا البيان أن الهجرة تتم إلا في سن معينة ، و خاصة إذا لم يولد في بلد الإقامة ، و هذه البنية السنية التي تحدث قطيعة للفئة العمرية من 35-39 سنة و التي تعبر عن أهمية أنثوية الهجرة بالنسبة للفئات الأخرى ، أما الفئة العمرية الأكثر شبابية و التي ترمز بالحداثة و المتواجدة في فرنسا ، والمتوازنة في أجزائها من 25 سنة إلى 29 سنة ، و تشهد هذه البنية إلى إنقلاب في المعهود من خلال الأجيال القادمين الجدد و التي تتمثل فئتهم العمرية ما بين 15 إلى 25 سنة .

و تتميز حسب الباحث هذه البنية الجنسية و العمرية للمهاجرين الجزائريين المقيمين بفرنسا و المختلفة عن المهاجرين المقيمين في باقي الدول الأوروبية ، فالمهاجرين الجدد هم أصغر سنا و ينحدرون من التيار الهجري الحالي مقارنة بالتيار الهجري في أوائل القرن العشرين و هي الهجرة نحو فرنسا. فسن المتوسط للمهاجر المقيم في الدول الأوروبية (ما عدا فرنسا) هو 42,1 سنة بالنسبة للأنثى.

تعد أعمار النساء المهاجرات في أوروبا معيارا هاما ، و تم تقسيم تعداد المهاجرات إلى ثلاث أجيال[217] :

- **الجيل الأول** : جيل المهاجرات اللاتي لا يزاولن أعمالا و المتقاعدات اللاتي تتراوح أعمارهن من 65 عاما فأعلى.
- **الجيل الثاني** : يشمل المهاجرات التي يتراوح أعمارهن بين 30 سنة حتى 64 سنة.
- **الجيل الثالث** : جيل الأطفال من 0-18 سنة.

لإبراز سن المهاجرات الجزائريات ، في مختلف الأعمار و في مختلف الأجيال وأهمية التدفق الهجري النسوي من خلال ثلاث بلدان الأوروبية ، فرنسا و إسبانيا و إيطاليا.

217 .جون لوي فيل ، مرجع ذكر سابقا ، ص 163.

حسب تقرير بيانات اتحاد البحوث التطبيقية حول الهجرة الدولية CARIM لسنة 2006-2007[218] أن سن الجيل الأول من المهاجرات الجزائريات اللاتي وصلن إلى فرنسا يتميزن بسن أكبر مقارنتا بالدول الأخرى كالمغرب و المبين في الجدول رقم ، و هذا ما يعكس أقدمية الحراك الهجري النسوي و بداية توسع الهجرة المغربية حتى الجيل الثالث و الذي شهد توسعا كبيرا.

جدول رقم 23 : الفئة العمرية للمهاجرات الجزائريات و المغربيات في فرنسا.

الجيل	الجزائر	المغرب
19-0	%9,60	%28,04
39-20	%24,97	%28,45
64-40	%48,72	%38,69
65 سنة فأعلى	%16,69	%4,80

يشير التقرير[219] إنه يوجد إتجاه هجري مماثل بين مهاجرات الجزائر و مهاجرات المغرب و جاء الإنفتاح على الهجرة من الجزائر إلى إسبانيا حديثا جدا و ذلك بسبب عوائق اللغة و العلاقات السياسية الممتدة نسبيا بين البلدين خلال 1970 و1980.

218 .Rapport Migrations Méditerranéennes, **CARIM,** 2006-2007.
http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/8169/CARIM-AR_2006_2007.pdf?sequence=3

219 .جون لوي فيل ، مرجع ذكر سابقا ، ص 168.

جدول رقم 24 : الفئة العمرية للمهاجرات الجزائريات و المغربيات في إسبانيا.

الجيل	الجزائر	المغرب
19-0	%32,5	%33,4
39-20	%47,3	%47,5
64-40	%16,2	%17,1
65 سنة فأعلى	%4	%2

يظهر تجانس من خلال الجدول ، الذي يشير إلى الطبيعة الخاصة للهجرة النسوية إلى إيطاليا ، فتتمثل هذه الهجرة في خاصية الشبابية للنساء ، أكثر من 80% للفئة العمرية 0-39 سنة ، سواء من أسر أحادية الأبوين أو من نساء وحيدات . و تعد الفئة العمرية 40-60 سنة قليلة فهي تقدر بـ 13 إلى 16 من التعداد العام و أما من هن أكثر من 65 سنة ، فهن لا يمثلن سوى نسبة ضئيلة[220].

و يستنتج الباحث أن هذا التوزيع حسب الجنس ، يدل على حداثة الهجرة الأنثوية إلى إيطاليا.

جدول رقم 25 : الفئة العمرية للمهاجرات الجزائريات و المغربيات في إيطاليا[221].

الجيل	الجزائر	المغرب
19-0	%26,3	%37,8
39-20	%54,3	%45,7
64-40	%16,00	%14,5
65 سنة فأعلى	%3,4	%2

220 .مرجع السابق ، ص 167.

221. Rapport Migrations Méditerranéennes, **CARIM** 2006-2007, op cit.

هناك ثلاث فئات من الهجرة النسائية في الدول المستقبلة يمكن تمييزها كالآتي:

- فرنسا لديها تعداد من مهاجرات كبيرات في السن ، يغلب عليهن الجيل الأول.
- إيطاليا و إسبانيا ، دول مستقبلية حديثة ، تتلقيان هجرة نسائية شابة جدا : النسبة من 0-19 عاما كبيرة ، بشكل خاص و كذلك نسبة النساء اللاتي في بداية طريق العمل 20-39 سنة ألأمر الذي يدل على وجود طاقة تغيير.

2- المستوى الدراسي:

المستوى الدراسي للمهاجرات الجزائريات حسب الإحصائيات المختلفة ، تقدر قيمة المستوى المرتفع بـ 41,1 % من المهاجرين و هي من جنس الأنثى ، و الذي تقدر فيه نسبة أنثوية الهجرة الجزائرية بـ أكثر من 48 % من مجموع المهاجرين الجزائريين الذي لا يحملون مستوى تعليمي أو مستوى تعليمي منخفض جدا والمبين في الجدول التالي[222] :

222.Bouklia Hassan Rafik, op cit, p 4.

جدول رقم 26 : يبين معدل أنثوية السكان ذات الأصل الجزائري المقيمين في البلدان الأوروبية الأكثر من 15 سنة حسب بلد الإقامة و حسب الجنس و المستوى الدراسي سنة 2000.

الدول	بدون مستوى و ابتدائي		مستوى ثانوي		مستوى عالي		المجموع	
	النساء	معدل الأنثوية	النساء	معدل الأنثوية	النساء	معدل الأنثوية	النساء	معدل الأنثوية
فرنسا	201364	%49,9	49230	%42,8	25554	%44,3	276147	%47,9
إسبانيا	4600	%26,8	1240	%28,8	1100	%35,9	6940	%28, 3
ايطاليا	2061	%30,3	1133	%35	563	%41	3757	%32,9
بلجيكا	3341	%47	1067	%44,7	787	%38	5195	%44,9
بريطانيا	691	%24,9	639	%26,9	1167	%31,6	2497	%28,2
كندا	1135	%49,5	1985	%45	4105	%38,3	7225	%41,4
أمريكا	729	%49 ,1	1290	%37,9	1842	%32,9	3861	%36 ,8
دول الأوروبية الأخرى	1244	%35,8	1565	%31,9	1305	%30,3	4114	%32,4
المجموع	**215165**	**%48,4**	**58149**	**%41,5**	**36423**	**%41,1**	**309736**	**%46**

يشير الباحث حسب تقريره ، أن التيار الهجري النسوي يشهد في الخمسة عشرة الأخيرة ، إرتفاع في المهاجرات المؤهلات ، و هو نمو ملحوظ في أنثووية الهجرة ، ذات مستوى تعليمي مرتفع (High Skills)[223] و التي قدرت نسبتها بـ 1,8 % ما بين 1990 -2000 سنة إلى 2,7 % ما بين 2000 إلى 2006 ، و هي النسبة الأكثر بروزا لهذا النمو للهجرة الأنثوية مقارنة بالمستويات التعليمية الأخرى.

و يفسر الباحث بوكليا حسن رفيق[224] ، إرتفاع معدل أنثوية المؤهل المرتفع للمهاجرات بعاملين :

العامل الأول : التطور العام لمستوى المرأة و الذي أثر بشكل مباشر و إيجابي في معدل مستوى المؤهل المرتفع عند المرأة و لهذا معدل أنثوية تلك المؤهلات يرتفع موازاة مع كل مستويات التعليمية للأنثى.

العامل الثاني : و من جهة أخرى ، تطور معدل أنثوية المؤهل العالي يمكن أن يكون مصدره تطور إختيار لمستوى التعليمي للمرأة المهاجرة ، حسب معدل العام للأنثوية المستقر.

3- مجال عمل المهاجرة في بلدان الإستقبال :

إن إضافة طابع التأنيث على التعدادات النسائية النشطة من المغرب العربي لم يكن إلا منذ الأعوام 1990[225] بعد الدخول و التكيف المتزايد للمهاجرات في النظام الإنتاجي لدول الإستقبال و كذلك دخول فتيات شابات متعلمات في سوق العمل ويتمتعن بالتأهيل اللازم لشغل مناصب عليا .

223. De hautes compétences.

224. Bouklia Hassan Rafik, op cit, p 6.

225 .جون لوي فيل ، مرجع ذكر سابقا ، ص 175-176.

و أيضا بفضل سهولة إنخراط المرأة المهاجرة لسوق العمل تدريجيا و تطور القوانين الفرنسية ، فمنذ سنة 1984 ، التي بدأت فيها تمنح شهادة إقامة لمدة عشر سنوات ، و التي تعطي الحق للعمل بدون تحديد المدة و أصبحت المرأة غير مجبرة لتقديم تصريح قبول العمل. و بفضل قانون RESEDA لسنة 1998 و التي تمنح شهادة الإقامة بالنسبة لفئة الحياة الخاصة و العائلية ، و لهذا أصبحت النساء و حتى التي رافقت زوجها ، قد قررت بسرعة العمل ، بسبب ضعف الدخل الأسري وهشاشة الوضعية المهنية للزوج[226].

يرافقه تطور وضع المرأة في دول المنشأ و التحضر و التعليم و تقدم مشاركتها في عالم العمل. فأصبح النشاط المهني للنساء المهاجرات من دول الأبيض المتوسط هو القاعدة و أصبح الإستثناء هو ترك ذلك النشاط المهني و البقاء في المنزل ويشمل ذلك النساء المتزوجات و اللاتي لديهن أطفال و أيضا لغير المتزوجات والأرامل و المطلقات فالنشاط المهني يعد أمرا ثابتا. و يشير الباحث على إختلاف المهاجرات في دول الهجرة القديمة و الجديدة تحدد حسب دخول و إندماج في عالم الشغل ، و يعتبره الدافع للهجرة (الظاهر أو الخفي) و نتيجة عنها. و يؤكد أن النساء المهاجرات يواجهن نمطا و عالما جديدا للعمل يحاولن التعامل معه من خلال قدراتهن الثقافية و التعليمية.

و نريد تشخيص مساهمة المهاجرة الجزائرية في مجال العمل في فرنسا من خلال الفئات العمرية و الذي يتضح في الجدول التالي :

226 .Merckling Odile, *Femmes de l'immigration dans le travail précaire*, 2011, op cit, p 46.

جدول رقم 27 : يبين معدلات نشاط نساء و الجزئريات و باقي المغرب العربي في فرنسا حسب السن في عام 1990

الفئة العمرية	الجزائريات	مجموع المغرب العربي	مجموع فرنسا
19-15 سنة	%7,5	%7,3	%9
24-20 سنة	%51	%49	%59,8
29-25 سنة	%57,2	%49,2	%80
30 -34 سنة	%50,3	%38,6	%76,2
39-35 سنة	%36,3	%32,7	%75,5
44-40 سنة	%29,3	%29,6	%75,6
49-45 سنة	%26,3	%27,3	%71,6

حسب هذا الجدول و التقرير أن الجزائريات هن الأكثر إندماجا ، خاصة في الفئة العمرية ما بين 24 إلى 39 سنة ، لقد أصبح النشاط المهني بعدا هاما في حياة النساء من الجيل الجديد ، لم يعد عمل المرأة أمرا ممنوعا بل أصبح من ضروريات الحياة الحديثة ، و لاسيما أن الغرض من تعليم و تأهيل الفتيات لم يعد مصاهرة أسرة جيدة عن طريق الزواج بل أن يصبحن مستقلات إقتصاديا عن الوالدين و عن الزوج.

و يعتبر الباحث أن دول الهجرة الجديدة مثل إيطاليا و إسبانيا تعد معدلات مشاركة المهاجرات في القوى العاملة عالية بشكل كبير ، حيث أن النساء المهاجرات في متوسط العمر أصغر سنا و لديهن خبرة عمل إكتسبتها في بلادهن و يتميزن بتفاوت مستويات التعليمية و بإستقلالية ذاتية و يستنتج بأن الشابات و العازبات والأرامل و المطلقات لا يهاجرن إلا من أجل العمل تحت تأثير الطلب المتزايد لسوق العمالة الأجنبية في قطاعات النشاط الرسمي و الغير رسمي و الذي خلق ديناميكية هجرة تشمل أعضاء إجتماعيين جدد منهم المهاجرات.

قد أدى تعليم الفتيات و نجاحهن الدراسي و طول مدة الهجرة إلى الإتجاه نحو أنواع من الأنشطة الجديدة مثل الخدمات التجارية و الإدارة و التدريس و إدارة المشاريع أو الخدمات المجتمعية و الأنشطة الثقافية . في فرنسا، تضاعف عدد المهاجرات صاحبات المشاريع بين عامين 1982 و 1990 من 6532 إلى 14109 وهي تخص بشكل أساسي بخدمات المطاعم و الفنادق و تصفيف الشعر و محلات الملابس و تجارة التجزئة و لاسيما في القطاع الغير رسمي.

فالقطاع الغير الرسمي ، يعد مجال مفروض على المرأة خاصة الغير حاملة للوثائق و أيضا في بعض الحالات ، مثل الطالبة اللاجوء ليس لها الحق في العمل في فترة دراسة ملفها و البعض منهن ليس لديهن أدنى مصدر للعيش فتتجه إلى العمل الغير الرسمي ، فهو المصدر المادي الوحيد .

و لهذا أردنا من خلال بحثنا هذا التركيز على أهم قطاعين المتواجدة فيه المهاجرة الجزائرية و هو القطاع الخدماتي المنزلي و القطاع التجاري الدولي.

أ- القطاع الخدماتي المنزلي :

إن القطاع الخدماتي يندمج في صنف المهن المسماة " بالمهن النسوية "[227] و التي ترتبط دائما بالأدوار الممنوحة للمرأة في المجال البيتي ، فالعمل المأجور أو الغير مأجور للنساء يسجل في إستمرارية العمل داخل المنزل و الخبرات التي تستعملها المرأة قد تم نقلها عن طريق التنشئة الإجتماعية في إطار الشبكة النسوية.

إن الباحثة[228] تأكد على اعادة ظهور نفس ادوار الإجتماعية للمرأة في التيار الهجري و انتقال نفس البنيات الى منطقة اخرى ، فالمرأة لها دوران:

الدور الأول : هي الزوجة او البنت للزوج او الأب المهاجر ، كما هو مبين سابقا.

227.Ibid, p 61.
228. El khayat Rita , op cit , p 73.

الدور الثاني : هي المرأة الخادمة Femme de ménage ، عندما وصلت لوحدها في الحركة الهجرية المسماة " الهجرة النسوية الفردية " ، و نادرا ما تكون هجرتها في اطار الدعارة و ذلك إلا في حالة عدم ايجادها للعمل او عدم قدرتها على العمل أو فقدانها لمكانتها في الهرم العائلي ، و اغلبيتهن يجدن انفسهن في قطيعة مع التوازن الإجتماعي و لهذا مرغمات على الدعارة.

و تظيف الباحثة[229] ان مكانة المرأة التي كانت تزاول الأعمال[230] لم يكن لديها نفس احترام المرأة المتزوجة الماكثة بالبيت و هذا الإحتقار كان سببه هو عدم وجود الزوج أو فقره أو عجزه الجسدي و الذي دفعها للخروج من اجل العمل. وتؤكد على ان هذه الفئة من النساء العاملات في المجال التقليدي هن سوى المهاجرات لوحدها العاملات اللواتي خرجن من بيوتهن ثم خرجن من وطنهن.

و تستنتج أن فترة بداية هجرة النساء الخادمات كانت في السنوات الثمانينات فيعتبرن فاعلات التغيير في المجتمع المغاربي و ليس المرأة الحاملة للشهادة الجامعية أو البرجوازية المثقفة لأنهن يتمسكن بالوطن و الأرض و أيضا للإمكانيات المتوفرة لهذه الطبقة الإجتماعية و يتمتعن بحياة سهلة و مليئة بالرفاهية.

يشير بوكليخة حسن رفيق[231] إلى إختلاف في مجالات العمل بالنسبة لجنس المهاجرين ، فتقليديا مجال الخدمات المباشر للخواص و العملاء للخدمات الطبية أو للخدمات الوظيفة العمومية يعتبر مجال مهم خاص للعمل الأنثوي ، و هي أيضا يعتبرها ديناميكية مهمة لأنثوية الهجرة بسبب فرص العمل المدعم بالخاصية الديموغرافية في بلدان الإستقبال أين مساهمة المرأة هي الأكبر في المجالات الخدمات الخاصة.

229. Ibid, p 78-79.

230. تحصر تلك الأعمال في الطيابات (الطباخات) ، دلالات (البائعات في البيوت) ، الغسالات (الأموات) ، القابلات (الولادات في البيوت) ، النقفات (المسؤولة في تنظيم الأعراس و الإحتفالات) ، الطيابة (الحمام).

231. Bouklia-Hassane rafik, op cit , p 16.

في سنة 2008 [232]، 75% من العاملات المهاجرات ذات الأصل الجزائري في فرنسا يتمركزن في 15 صنف من العمل من 487 للأصناف المهنية الموسعة. أما بالنسبة للأعمال التي يتجه إليها المهاجرين هي أكثر تنوعا و التي تشمل 150 صنف مهني ، فيعتبر الباحث أن المجال المهني التي تعمل به المرأة يوحي بالخاصية الجندرية لنشاط المهاجرة.

و يحدد مجال عمل المهاجرة في خمسة مهن :

- منظفة.
- مساعدة مربية ، حارسة أطفال ، عائلة مستقبلة.
- مساعدة بيت ، مساعدة منظفة ، عاملة عائلية.
- عاملة بالمنزل ، و بالتنظيف عند خواص.
- موظفة للخدمة في المستشفيات (قطاع خاص أو عمومي).

و هذه المهن تتضمن 50 % من النساء المهاجرات العاملات من الأصل الجزائري و هي مخصصة للنساء و هي تتعلق باللواتي يحملن مؤهلات منخفضة و تقدر بـمعدل ثمانية سنوات من الدراسة ، و هو أقل من من معدل التأهيل لكل الفئات المهنية المختلفة في فرنسا و هو إحدى عشر ة سنة من الدراسة.

و يضيف الباحث جون لوي فيل[233] من خلال تقريره أن تشجيع العمل في قطاع الخدمات من قبل السياسة الهجرية الأوروبية و كذلك حملات التسوية ، فالدول تشارك في تطور الهجرة النسائية ، فيذكر أن في سنة 2005 بإسبانيا ، تم تسوية خمسي ، 700.000 مهاجرة و اللاتي كان معظمهن يعملن في قطاع المنزلي.

و أيضا يوجد إختلاف توجه المهاجرات الأوروبيات عن المهاجرات من الدول الأخرى لقطاعات النشاط المهني و هذا لميلهن نحو العمل المكتبي الذي يحتاج إلى مؤهل عالي ، و التخلي عن مهن البيع و الخدمات الأساسية و المساعدات الصحية و المبين في الجدول التالي :

232. Bouklia- Hassan rafik, op cit , p 17.

233 .جون لوي فيل ، مرجع ذكر سابقا ، ص 182.

جدول رقم 28 : يبين مقارنة النشاط المهني للنساء الأصليات و اللواتي ينحدرن من الدول الأخرى سنة 2005.

أنواع المهاجرات وقطاعات الأنشطة	النساء المهاجرات الأصليات من الإتحاد الأوروبي إجمالي 57%	النساء المهاجرات من الدول الأخرى إجمالي 65%
مهن المبيعات و الخدمات الأساسية	%16	%25
مساعدات للأشخاص مقدمات للرعاية	%14	%18
موظفات المكاتب	%13	%9
مهنيات ملتحقات بمهن أخرى	%8	%6
العاملات بقطاع التعليم	%6	%6
عارضات بائعات ومروجات بضائع	%6	%5

و أمام أهمية هذا القطاع الخدماتي التي تندمج فيه المرأة المهاجرة ، تواجه ظروف مأساوية التي تعيشها النساء العاملات في المنازل و الظروف التعسفية و العنف من قبل من يقومون بتوظيفهم ، و قامت لجنة الأمم المتحدة[234] في تقريرها حول حقوق الإنسانية للمهاجرين بوضع توصيات ، و هي الحد من التبعية و الخضوع التي تمنع النساء المهاجرات من تقديم شكوى إلى السلطات (خاصة إذا كانت غير حاملة للوثائق) ، و توفير حماية لعاملات المنازل و قوانين حول العمل.

234 .Le rapport intitulé « Balayée sous le tapis: abus contre les travailleurs domestiques partout dans le monde» synthétise les recherches conduites par HRW depuis 2001 sur les abus commis contre les femmes et les enfants domestiques.

ب-القطاع التجاري الدولي :

إنها حركة ذهاب و إياب تقوم بها النساء الشابات و الذين يزاولون نشاطا مربحا من خلال التنقل الدولي. و إنهن مهاجرات من المغرب العربي اللاتي كن يمارسن التجارة في البداية عند عودتهن إلى بلدهن الأصل في فترة العطل ، حتى أصبحن حسب ميشال بيرالدي[235] " ناشطات مستوردات "، و يصف توجه الجزائريات إلى تركيا.

يعد إختيار النساء للتنقل ذهابا و إيابا لا يهدف إلى تلبية الحاجات الإقتصادية ، فالنساء اللاتي يشاركن في ذلك ينتمين إلى أوساط إجتماعية و إقتصادية مختلفة ، كما تشكل ممارسة التجارة الدولية المتنقلة كمشروع أسري للرقي الإجتماعي . إن هذا الحراك يمنح لهؤلاء النساء إستقلالية أكبر و وسيلة لإعادة مكانتهن و العلاقات الواسعة التي تسمح بجني فائدة كبيرة من هذا التنقل.

و من خلال الباحثتان فيرونيك مانري ، كامي شمول[236] اللاتي تعرضن في دراسة للهجرة النسوية المغاربية ، فتعد الحركية أو الحركة (mobilité) التي يمكن أن تعني في الوقت نفسه تطور التموقع الفضائي للأفراد و تغيير وضعياتهم في السلم الإجتماعي. و أن الحراك التجاري يخلق تحولات عميقة في وضعية المرأة ، مما يخلق إعادة تعريف للوضعية الإجتماعية لهؤلاء و هؤلاء في الفضاءات العامة والخاصة ، و كذا في الحيز الإنتاجي (إعادة تصور العلاقات النوعية ، مسار الترقية الإجتماعية).

و تشخص هذه الدراسة وضعية الجزائريات و دوافع ممارسة هذا النشاط التجاري المتنقل و المعروف بالبزنسة أو تجارة الشنطة في الوسط الإجتماعي ، فمسار هؤلاء النساء الجزئريات الممارسات للتجارة غير شرعية يتميز بمسار للترقية والإدماج الإجتماعي المتقطع ، و وضعية مهمشة خارج المعايير الإجتماعية ، وغياب الحماية العائلية و القانونية ، و صعوبات اقتصادية و في الغالب تكاليف

235 .Peraldi Michel, *Routes Algériennes*, in Anteby Lisa, Berthomière William, Sheffer Gabrie, Éds 2000 ans de Diasporas, Presses Universitaires de Rennes, 2005.

236.فيرونيك مانري ، كامي شمول ، "تجارة المرأة وجوه جديدة للحركية المغاربية في الفضاء الأورومتوسطي"، ترجمة منتهى قبسي ، **مجلة النقد** ، العدد 28 ، 2010 ، ص 41.

عائلية ثقيلة تتحمل عبئها وحدها. فهن ما يمكن تسميته " خارج التصنيف "[237] ، مهمشات خارج الأطر التي يعترف بها المجتمع. فيعلوهن العار و الذل و الإهانة. و يصبح الإنخراط في النشاط الإقتصادي حلا لتدهور أحوالهم المالية و أيضا الحصول على مرتبة اجتماعية ذات قيمة.

ج- قطاع المهن ذات المهارات العليا:

حسب تقرير[238] أن المهاجرات اللواتي يمتلكن مستوى عال من المهارات أقلية بين المهاجرات ، حتى لو كانت أعدادهن في إرتفاع في المدة الأخيرة ، فأعداد العاملات في الشركات و المؤسسات الدولية و في المهن الحرة ، و الكوادر العليا من النساء و أستاذة الجامعات و سيدات الأعمال مازال محدودا. و يرجع هذا التقرير سبب محدودية إنخراط المهاجرات في هذا المجال من النشاط المهني إلى عدم إعتراف بالشهادات بين دول المنشأ و المقصد و حواجز التمييز العنصري التي لا تسمح لهن بالوصول إلى المناصب التي تتناسب مع مؤهلاتهن.

ففي عام 2000[239] ، ارتفع معدل هجرة الكفاءات النسائية مقارنة بإجمالي الهجرة ، بـ 9,7 % مقارنة بالرجال 8,7 % و يعتبر أن التأهيل قد منح للفئة النسائية في كل من الشرق الأوسط و شمال إفريقيا وسائل لكسر القيود المجتمعية و البطريركية ، و دفعة قوية للثقة بالنفس و المزيد من الإستقلالية.

و لنقص المعلومات الخاصة بالمهاجرات الجزائريات ذوات المهارات العليا ، حاولنا تشخيصها في إطار المهاجرات المغربيات أو كما يستعملها بعض التقارير فهي تندمج في النساء المهاجرات من الدول الأخرى خارج منطقة الإتحاد الأوروبي.

237. المرجع السابق، ص 52.
238. جون لوي فيل ، مرجع ذكر سابقا ، ص 189-190.
239.المرجع السابق ، ص 191.

و نلاحظ التركيز على فكرة تعرض المهاجرات اللاتي يتمتعن بمؤهل عالي إلى الإتجاه نحو المهارات المتدنية ، و خاصة اللاتي تجدن أنفسهن في وضعية غير شرعية فهي معرضة بشكل أكبر إلى الإستغلال و يواجهن صعوبات في تغيير نوعية عملهن .

جدول رقم 29 : توزيع النساء الأصليات و المهاجرات من الإتحاد الأوروبي وخارجه ذوات المهارات العليا و حسب المهن اللاتي يشغلنها.

فئة النساء من مستوى التخصص 1	النساء الأصليات	النساء المهاجرات الأصليات من الإتحاد الأوروبي	النساء المهاجرات من الدول الأخرى
العمل في مهن ذات مهارات عالية	%52	%54	%41,5
العمل في مهن ذات مهارات متوسطة	%38	%33	%32
العمل في مهن ذات مهارات محدودة	%10	%13	%27

المصدر : الإتحاد الأوروبي الدراسات الإستقصائية للقوى العاملة 2005

و يشرح الباحث[240] أنه رغم إختلاف في التدفق الهجري المسمى بالهجرة القديمة والتي كانت تتمثل في تواجد النساء بقطاع الخدمات بسبب إفتقارهن للمؤهل اللازم و تكلم اللغة ، فلم يتيح فرصة دخولهن في نشاطات جديدة ذات أجور أحسن . أما في الهجرة للجديدة (مثل ألمانيا و إسبانيا) ، يبدوا تعداد المهاجرات أكثر إلماما بالقراءة و الكتابة حاصلات على المستوى الثانوي و الأصغر سنا ، رغم هذا لم يغير في إتجاه النشاط المهني ، بل نجد أن نسبة كبيرة من المهاجرات اللاتي يعملن في الخدمات (الأعمال المنزلية) ، عموما الوظائف التي لا تحتاج إلى مؤهل عالي، في حين أن ثلثي المهاجرات لديهن مستوى ثانوي.

240 .المرجع السابق ، ص 195.

V -غياب المرأة عن السياسة الهجرة الجزائرية :

إن وضع الدولة الجزائرية في السياسية الهجرية ، كان يعتمد على تجاوز صعوبة التوافق بين تسيير التدفق الهجري و رفض إتفاقيات الهجرة العمالية (منذ سنة 1973) ، و العلاقات بين الجالية الجزائرية ، فتبقى السياسة الهجرية في إتخاذ القرارات الطارئة بالنسبة لإشكالية مراقبة الحراك الهجري و إقامة المهاجرين في دول الإستقبال. و لهذا يصف الباحث عبد اللاوي حوسين [241] في عمله عن عدم إهتمام سياسة الدولة بالهجرة النسوية الفردية و التحولات الذي يشهده الحراك الهجري الجزائري ، فهي تركز على الهجرة في شكلها العام فقط. فتصبح المرأة كعضو في الأسرة المهاجرة و ليست كفئة مهاجرة محضة. و كنتيجة حتمية ، السياسة الهجرية للدولة الجزائرية ليست ملائمة لهذا التغيير الملحوظ في الحراك النسوي الفردي.

و يذهب الباحث [242] إلى أبعد من ذلك في تحليله لهذه الظاهرة ، مشيرا إلى غياب المرأة كفاعلة ، المرأة المتطورة ، المرأة المستقلة ذاتيا autonomes ، حتى في الخطابات السياسية للدولة المتعلقة بالهجرة ، فمكانة المرأة تنحصر في الأخت والمواطنة و البنت و نادرا ما نراها لها مكانة و تواجد كفاعلة حقيقية لهجرتها بل مازالت ، هي الأم و زوجة المهاجر.

241. Labdelaoui Hocine, op cit, p 8.
242. Ibid, p 9.

و في مجال آخر ، يعتبر لبدلاوي حوسين [243] ، أن قانون الأسرة المعدل ، لا يتلاءم مع الحراك الهجري الأنثوي ، لأنه يتميز بالخاصية البنيوية الأبوية في الأسرة ، والتي لا تطبق في بلدان الإستقبال فيما يخص الزواج و البنوة la filiation .

وإشكالية عدم حصول أطفال المهاجرة المولودين بالخارج الجنسية الجزائرية ، هذا رغم عقد إتفاقية جزائرية – فرنسية سنة 1988[244] بالنسبة لأطفال أزواج من البلدين و التي تضمن للنساء الجزائريات المهاجرات حق الحضانة و الزيارة ، فهذا لم يمنع تجاهل وضعية المهاجرات في النصوص القانونية عند إبرام هذه الإتفاقية.

أما عن مراقبة خروج المرأة من التراب الوطني تتم من خلال القانون الجنائي لمحاربة الهجرة السرية[245] و الوقاية منها ، فلم يتعرض القانون إلى جنس الأنثى .

IV - عوائق بروز الهجرة النسوية الفردية :

1- ثقافة المجتمع الأصلي :

تعتبر خياط كاتيا[246] أن البنية الأنثروبولوجية و ثقافية للمجتمعات المغاربية لم تسمح لتصور ذهاب المرأة المحضورة الى الدول الإستقبال قبيل سنوات السبعينات و التي كان ينحصر دورها الإجتماعي للعائلة و الخدمة المنزلية فقط. وتضيف الكاتبة أن عدم انتقال المرأة يعود الى رفض الرجل في انتقال المرأة بسبب خوفه من العدوى التي تتعرض لها في الدول المتقدمة و التي مجتمعات كافرة.

243. Ibid, p 9.
244. Décret n°= 88-144 du 26 juillet 1988, portant ratification de la convention entre le gouvernement de la république algérienne démocratique et populaire et le gouvernement de la république française, relative aux enfants de couples mixtes séparés franco-algériens, 21 juin 1988.
245. Loi n°01-2009 du 29 safar 1430 (25 février 2009) modifiant et complétant l'ordonnance n° 66-156 du 8 juin 1966 portant code pénal.
246. El khayat Rita, op cit , p57-64.

بدراسة Lacoste-Dujardin Camille[247] ظاهرة الهجرة النسوية ، ان تنقل المرأة كسلوك اجتماعي يدخل تحت اطار الثقافة الذكورية للمجتمعات المغاربية والتي تغلب عليها صفة المراقبة و ايضا ينعكس سلبا على صورة المهاجرة الفردية ، اما عن هجرة النسوية العائلية (التجمع العائلي) فهي ايجابية ومرغوب فيها لتواجد تلك المراقبة من خلال الزوج و الإبن و باقي أفراد العائلة. وتأكد على هجرة المرأة هو موضوع مرفوض بسبب الخطورة التي تنتج عن هذه الهجرة وعلى transplantation إزدراع معنى التجدر الجغرافي و الثقافي، والذي يمس شرف العائلات.

و في المقابل تحلل هجرة الطالبة المغاربية في فرنسا على ان المهاجرات اغلبيتهن ينحدرن من وسط اجتماعي الأكثر تقبلا و تأقلما على خرق هذا الممنوع و يعني ان هذا الوسط الإجتماعي حضري، و ميسور و الموسوم بالتقدمي.

2- عدم مرئية الهجرة النسوية في المجال العلمي :

تحاول الباحثة موجود نسيمة[248] ان تبحث في عدم مرئية او ظهور و بروز الهجرة النسوية الفردية عبر مختلف الأعمال النظرية للهجرة و من ابرزها اعمال عبد المالك صياد للهجرة الجزائرية عبر ثلاث اعمار للهجرة، لم يذكر بتاتا وجود هجرة المرأة في العمر الأول و الذي ركز فيه على هجرة الذكر و المتمثلة في "المهاجر العامل" فترة ما قبل 1974.

في العمر الثاني هنا تظهر الهجرة العائلية من خلال سياسة التجمع العائلي فهنا تظهر كل من المرأة و الأطفال، فيعتبر صياد هذا الأمر بديهي و عادي فهي تستغرب عدم البحث و التساؤل عن غيابها و ربط الهجرة النسوية فقط بالإطار العائلي كوسيلة لتبسيط و ادخال المرأة في التيار الهجري عموما، فزوجة أو إبنة مهاجر (عامل) تكون نتيجة حتمية لشكل وحيد للمهاجرة و هذا ما منع لمدة طويلة

247. Lacoste-Dujardin Camille, *Yasmina et les autres de Nanterre et d'ailleurs*, La Découverte, Paris, 1992, p 62.

248.Moujoud Nassima, « Genre et migration de femmes seules, entre androcentrisme et prisme de la culture d'origine », **Revue NAQD**, n=° 28, 2010, p 56-57.

دراسة صور و اشكال اخرى للهجرة النسوية كالهجرة النسوية الفردية و ايضا عمل المرأة المهاجرة في فرنسا.

و هي تشير ان اغلب الإهتمام و الإجراء (الإداري ، العلمي) للهجرة النسوية قد بدأ في أوائل النصف الثاني من السنوات الثمانينات.

من خلال أعمال صياد عبد المالك ، الأعمار الثلاث للهجرة الجزائرية ، فيعتبر الباحث انضمام المرأة للتيار الهجري و بروزها منذ السنوات 1960-1970 وهو يمثل العمر الثالث للهجرة الجزائرية حسبه.

و يذكر الباحث[249] أن في سنة 1970 نسبة الجزائريات في فرنسا يمثلن 14% من الإجمال الأجنبيات و لكن سوى 3 % منهن عاملات.

يجب الإشارة ان وصول المرأة كان متأخرا عن الرجل و ايضا انها واجهة صعوبات لتسوية وضعيتها في الهجرة و ذلك في اطار المرأة العاملة مقارنة بالنساء المهاجرات ذات الجنسيات المختلفة و المقيمة منذ سنوات الماضية.

و إضافة إلى ما ذكر سابقا التشدد في منح شهادة الإقامة بعد سنة 1974 ، وإندماج هجرة المرأة المغاربية في اطار التجمع العائلي لم يسمح لهن عموما في حق العمل و الذي ابقاهن في التبعية الإدارية و المالية لأزواجهن ، و غرار هذه الفئة ، الكثيرات من النساء قد دخلن الى الدول الأوروبية خارج هذا الإجراء فيصبحن في وضعية شبه سرية حتى تتم تسوية وضعيتهن الإدارية مما يحرمهن من العمل في المجال الرسمي لمختلف القطاعات.

249. Sayad Abdelmalek, op cit, p 269.

و تنتقد Guillemaut Françoise[250] فكرة تفسير هجرة المرأة بإتباعها لزوجها كتحليل وحيد للتيار الهجري النسوي من طرف كل من الباحثين Morokvasic-Gaspard . و قد ادى سوء الإعتبار و الإهتمام بالهجرة النسوية الفردانية بسبب الأفكار المسبقة.

الباحثة[251] تذكر استخدام بعض الدراسات لعامل " الثقافة الأصلية" culture d'origine من اجل تبرير غياب المرأة الوحيدة و حتمية سيطرة العادات والتقاليد والمعايير مجتمعات الإنطلاق، و لهذا ينكرون احتمال الهجرة المغاربية أو الهجرة الإسلاموية musulmanes الهجرة الفردية للمرأة المغاربية و الإسلامية.

و إستعمال اطار المجتمعات الإسلامية الذي يحدد تنقل المرأة من خلال نصوص و احاديث دينية و التي تفرض رفض انتقال المرأة لوحدها و ارغامها على الإنتقال مع احد من الأفراد (الأب، الزوج، الأخ...) فهذا التحليل ينبثق من الثقافة الدينية ، الثقافة المغاربية ، الثقافة المجتمع الأصلي لدول الإنطلاق لفئة المهاجرة.

و تظيف في سياق ما ذكر سابقا ان الباحثة Gaspard [252] أن المهاجرات هن غير مرئيات ، ذات تمثلات شيطانية ، و مستغلة كآداة Invisibles , diabolisées instrumentalisées, و ذلك بسبب ثلاث عوامل:

250. Guillemaut Françoise , « Stratégies des femmes en migration : pratiques et pensées minoritaires repenser les marges au centre », **Thèse de Doctorat** , Sociologie et Sciences Sociales, Université de Toulouse II, 2007, p273. http://www.fflch.usp.br/ds/pos-graduacao/sites/trajetorias/txts/7h09%206%20decembre%20these%20derniere%20version%20.pdf

251. Moujoud nassima, 2010, op cit, p 62-64.

252 .Gaspard Françoise « Invisible, diabolisé, instrumentalisées, figure des migrantes et de leurs filles », in Maruani Margaret, les nouvelles frontières de l'inégalité, Hommes et Femmes sur le marché du travail , la Découverte, Paris, 1998, p 183-186.

الأولى: السيطرة الذكورية من خلال السوسيولوجيا و التاريخ.

الثانية: عدم تقبل و الإعتراف بالمرأة التي تسافر لوحدها "دائما"

الثالثة: عدم الإعتراف الطويل للمرأة في عالم سوق العمل الأجير.

موجود نسيمة[253] هي تشير ان اغلب الإهتمام و الإجراء (الإداري، العلمي) للهجرة النسوية قد بدأ في اوائل النصف الثاني من السنوات الثمانينات.

من خلال مقالها تأكد على التركيز الغير طبيعي في مختلف الدراسات على المهاجرات المغاربيات و ربط الأصل العرقي بالدين بخلاف الفئات الأخرى من المهاجرات في فرنسا (الإسبانيات، البرتوغاليات، التركيات، اللاجئات من جنوب آسيا)

و هذا ما يشكل حسب الباحثة إزدواجية البصمة ، العائلية (الغير فردية)، الإثنية (مغاربية) و عدم مرئية المعتمدة على المغاربيات و النساء العاملات اللواتي ذهبن بمفردهن.

فبداية ظهور ظاهرة الهجرة النسوية[254] ، كان خلال أهمية الإطار الإحصائي المتوفر و الذي يصرح عن هذا الحراك النسوي ، و من جهة أخرى في الإطار العلمي ، الذي يتسم بالتباطؤ و تأخر ادماج الدراسات هذه المعلومة المهمة فالهجرة النسوية هي مؤخرا معترف بها و تدريجيا معترف بها كموضوع للدراسة في حد ذاتها.

253 .Moujoud nassima, 2010, op cit, p 60.

254. Sakho Papa, Binetou Dial Fatou, « Migration clandestine féminine, étude de cas de Dakar et sa banlieue », **CARIM**, 2010/56, p 7.
http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/14629/CARIM_ASN_2010_56.pdf?sequence=1

حسب هذا المقال فالإشارة الى المهاجرات السنيقاليات من خلال الدراسات كان يرتكز حول المجال العائلي و أيضا الإشكالية المرتبطة بالهوية الثقافية. كانت لفترة طويلة موضوع دراسة المهيمن حتى السنوات الثمانينات ، أما الآن فالدراسات تظهر صعوبة التأقلم و اندماج المهاجرة في دول الإقامة و كانت تحصر المرأة في الدور التقليدي و في الهجرة الجامدة (سلبية) migration passive.

و من هنا بدأت الدراسات تعالج موضوع الهجرة خارج اطار الهجرة المرافقة (التجمع العائلي) و هي تسجل مرجعية الهجرة و الحراك الدولي ، فالهجرة النسوية هي أكثر فأكثر تحلل مع علاقتها بالنجاح السوسيو الإقتصادي والفردانية و إعادة تعريف مفهوم العلاقات الإجتماعية ، كالمساواة ما بين المرأة و الرجل.

IIV- الهجرة النسوية الغير شرعية :

في بداية ظهور هذه الهجرة السرية ، كان يصاحبها من قبل البلاد المستقبلة إجراءات و سياسات مشددة للتقليل منها. بل و في بعض الأحيان ، كانت تلجأ هذه الدول إلى غلق الحدود إزاء هذه الهجرة السرية بقصد منعها والهروب من أضرارها. و شيئا فشيئا تحت ضغط الطلب و زيادته على الأيدي العاملة الأجنبية خاصة من النساء للعمل في بعض الميادين شبه غير الشرعية وغير المقننة إقتصاديا ، بدأت هذه الدول تفتح أبوابها لهذه الهجرة و كان ذلك بمثابة ثغرة استطاعت أن تنمو فيها الهجرة السرية الخاصة بالنساء ، لاسيما و أن عمل النساء في هذه الحالة كان غير منظم تنظيما دقيقا ، و تغيب عنه ضوابط العمل و التشريعات اللازمة في هذا الميدان[255].

إن سياسة تحديد الهجرة الوافدة في السنوات السبعينات 1970 قد انتجت ظاهرتين أساسيتين ، الأولى : الإقامة العائلية ، الثانية : نشوء الهجرة السرية.

255.Tim Riordan Raaflaub, « Division des affaires politiques et sociales, la traite des personnes »,le 21 novembre 2006. http://www.parl.gc.ca/information/library/PRBpubs/prb0425-f.htm

إشكالية الهجرة قد أدرجت في الخطابات السياسية و استعملت كسلاح سياسي ، خاصة تحت اطار الأزمة الإقتصادية و إرتفاع البطالة ، و انشاء الإتحاد الأوروبي الذي ساهم في احداث توافق في السياسات الهجرية للدول و بإشتراك في محاولة مراقبة حدودها الخارجية بطريقة تتسم بالشدة[256].

في العموم ، الهجرة السرية[257] تظهر كشكل جديد للحراك الإنساني الحديث و الصعوبات التي يواجهها المهاجرين السريين ، للمرور بالصحراء و خاصة قدرة الإحتمال الذي يتطلبه هذا النوع من الحراك، و الذي يضع صعوبة التفكير في قدرة المرأة للخوض في هذا المسار أو الطريق و الوصول الى الحلم الأوروبي.

و تحدد الباحثة قيومي فرانسواز[258]، أن المرحلة الثانية للهجرة النسوية الإفريقية بدأت في نهاية السنوات 1990 ، فسياسة تأشيرة السفر (visa) ومراقبة الحدود تتحول تدريجيا إلى القسوة و التشديد الدخول إلى الدول الإتحاد الأوروبي. فالمقبلات على الذهاب ، في هذه المرة مثل جميع المهاجرات غير أوروبيات. فهي تبحث عن الوسطاء من أجل تجاوز الحواجز للدخول في الفضاء شنقن l'espace schengen، فهي تستعين بالشبكات الهجرية كالممررين. إن القادمات الجدد أغلبيتهن نيجيريات ، هؤلاء النسوة ، تعتبر أوروبا ، جنة فوق الأرض Eldorado وذهابهن يمثل أمل في حياة مادية أفضل لها و لعائلتها.

و تشير الباحثة إضافة للفكرة الأولى، الكثيرات منهن، الذهاب يتعلق أيضا بنظام الفردانية d'individuation.

256. Guillemaut Françoise, « Stratégies des femmes en migration : pratiques et pensées minoritaires repenser les marges au centre », 2007, op cit, p 258.

257 . Mimche H., Yambéné H. , Zoa Zoa Y. , « La féminisation des migrations clandestines en Afrique noire », **Acte du Colloque Mobilités au Féminin**, Tanger, 15-19 novembre 2005, p8.

258. Guillemaut Françoise, «Sexe, juju et migrations. Regard anthropologique sur les processus migratoires de femmes africaines en France», 2008, op cit, 12.

تعتبر الباحثة[259] أن الهجرات النسوية ، اليوم ليست فقط داخل إفريقيا intra-africaines،فمنذ السنوات الثمانينات (1990) توجهن النساء أيضا إلى أوروبا. هذه الوجهة أصبح أكثر فأكثر صعبة الوصول بسبب السياسات الجامحة للهجرة والسياسات الدولية لمحاربة التجارة بالإنسان. و هذه هي الصعوبات التي تتميز بها الفترة الثانية من الهجرة النسوية الفردية.

و في تفسير موجز عن ظاهرة الهجرة السرية النسوية ، فيشير التقرير[260] أن معظم النساء اللاتي يهاجرن بصورة غير قانونية او يصبحن في وضع غير قانوني قد حاولن في غالب الأحيان الإفلات من البطالة او العمل من الباطل و الحبس داخل المجتمع الذي يعشن فيه في اوطانهن الأصلية. ان معظم هؤلاء النساء قد هاجرن باختيارهن كما تشير تلك الدراسة التي قامت بها جيمو فرانسواز[261]. بما انهن لسن جزءا من الطبقات الإجتماعية و حتى و لو كن من بين المؤهلات او ذوات الكفاءات فانهن يفضلن الرحيل و يريد الكثير منهن ان يثبتن على اكتساب الموارد و انهن لسن مجرد مستهلكات مما يعطيهن نوعا من الإعتبار بل و لونا من الوان السلطة. و يؤكد الآخرون انه ليس لديهن وسيلة اخرى للإفلات من المشروعات الأسرية بالزواج المرتب و هناك طائفة ثالثة تقوم بالهرب من البلاد وتسعى للمغامرة في اي دولة اخرة رغبة في السفر و ليس شقا لطريق المستقبل وعلى كل فان هؤلاء الفتيات يعجزن عن رضائهن بالتواجد في اوروبا مقارنة بظروف الحياة التي فارقنها في اوطانهن الأصلية.

259 . Ibid, p 13.

260.جون لوي فيل ، مرجع ذكر سابقا ، ص 341.

261. Guillemaut Françoise, « Périple dans différents pays d'Afrique subsaharienne jusqu'au Maroc », **Actes du Colloque Mobilités au Féminin**, Tanger, 15-19 novembre 2005.

أما الدراسة عن الهجرة السرية الإفريقية نحو أوروبا التي قام بها الباحث با الشيخ عمر [262] أن قرار و اختيار الذهاب للمقبلين على الهجرة السرية هي متأثرة بالصور المنتشرة من طرف المهاجرين في بلدهم الأصل. المهاجرين الذين يرجعون الى السينقال يظهرون كنموذج الناجح ، فهم يسيرون على متن سيارات الفخمة ، يملكون اكبر المنازل في المناطق الريفية ، و يظهرون كل الإمكانيات والوسائل التي تم الحصول عليها في اوروبا. في المقابل تظهر هذه الصورة في نظر الشباب الباقين في البلد ، فالآخرين الذين ذهبوا قد نجحوا بسرعة. هذه الرموز للثروة تؤدي الى اكثر فأكثر من الشباب الى الرغبة في الذهاب من أجل الحصول على المال و تقليد المهاجرين.

VIII- أنثوية الهجرة السرية كظاهرة جديدة في المجتمع الجزائري:

ظاهرة الهجرة في المجتمع الجزائري تتميز بخلفية تاريخية، حيث تعرضت إلى العديد من التحولات كما انها كانت مصدرا لتقدم متواصل نظرا لامتدادها الجهوي و الإجتماعي أي انتشارها في معظم مناطق الوطن و اجتماعيا مست كل الفئات على اختلاف أنواعها جنسيا ، ثقافيا ، طبقيا.

أردنا تسليط الضوء على فئة الشباب و اصطدامها بظاهرة الهجرة السرية، ذلك لأننا نشهد حركة مهمة للتدفق الهجري التي أصبحت واقعا مفروضا على المجتمع الجزائري.

إن الرغبة في الهجرة تعد أول ومضة بالنسبة لهذه الظاهرة التي يتقاسمها أغلبية الشباب الجزائري و الذي يظهر من خلال الحياة اليومية و عبر الخطابات ، الحوارات و الكلمات و الأغاني (كالراي) و حتى أنهم لا يستهلكون من وقتهم و طاقتهم الا لغاية الهجرة.

262. Bâ Cheikh Oumar, « Les tendances migratoires actuelles en Afrique de l'Ouest : les migrations clandestines vers l'Europe », Synthèse de quatre études de cas sur le Ghana, le Mali, la Mauritanie et le Sénégal, Rapport final OSIWA, 2008. http://www.osiwa.org/en/portal/reports/2008

يصرح محمد نظيف[263]، أن الشباب يهاجرون ذهنيا قبل أن يهاجروا جسديا و لهذا نستطيع فهم و تفسير هذه الرغبة في الهجرة السرية للشباب من خلال استـحواذ الذكور على الحرقة و اقتحام الأنثى لها ؟

الذي يدهش اليوم ، هو تنوع الهجرات نحو الدول المتقدمة و اقتحام فاعلين جدد و هن الشابات في المسار الذي يعتقد أن الرجل هو العنصر الأساسي في هذا النوع من الهجرة التي تتطلب من المقبلين عليها قدرة بدنية و طاقة كبيرة لتحمل المصاعب.

الشابات يظهرن جانبا قويا من الشجاعة في مجازفتهن هذه و تخطيهن هذه المصاعب للوصول إلى أوروبا للبحث عن ظروف أحسن و الذي لا يستطيع توفيره البلد الأصلي، فأصبحن أكثر فأكثر فاعلات لهجرة فردية une migration en solitaire نحو أوروبا. ما يلفت الانتباه هو الاقتحام المفاجئ للشابة كفئة إجتماعية بصورة متميزة ضمن ديناميكية ظاهرة الهجرة السرية و هذا ما تطالعنا به وسائلنا الإعلامية بإحصائيات مدققة.

قد أعلنت جريدة El watan[264] أن شابتين حراقتينHARRAGATE يتراوح سنهما 19 و 18 سنة قد أبحرتا من منطقة بطيوة (ولاية وهران) على الساعة السادسة صباحا و هذا ما يثبت أن ظاهرة الهجرة السرية ليست مقتصرة على جنس الذكور.

و في نفس السنة تم تصريح آخر الذي يبرز مساهمة الشابة الجزائرية في إطار ظاهرة الهجرة السرية و الذي أشارت إليه جريدة El Watan[265] عن شابتين يتراوح سنهما 18 و 30 سنة و الجديد أنه كانت تتواجد إمرأة مع طفلها و الذي يتراوح سنه 04 سنوات ، قد قامت بالإبحار السري عن طريق قارب تقليدي عبر سواحل

263 .Nadif Mohammed, « La culture du hrigue, le mirage de la réussite sociale et l'obsession de l'immigration », **Informations et Commentaires**, Le goût amer de nos fruits et légumes, n° hors série, Forum civique européen, Mars 2002, p 93.

264 . B. L, « 2 Harragates ont réussi à embarquer », **El Watan**, 26 février 2008, n°= 5260, p10.

265 . Gaidi M-F , « Arrestation de 25 harraga à Annaba, des femmes, des mineurs et un enfant de 4 ans parmi l'expédition », **El Watan**, 12 novembre 2008, n=° 5480, p 5.

منطقة عنابة إلى سردينيا (إيطاليا)[266] و ما يبرز خطورة الحدث بالنسبة لنمو ظاهرة الهجرة السرية و استخدام نفس الوسائل التي يستعملها صنف الذكور (الحراق).

التي تمت خلال نهاية القرن الماضي ، فتعتبر الباحثة[267] انها هجرة ذات مسارات متعددة بل كونية و التي ترتبط بالعولمة. و تذكر ان ظهور اشكال جديدة من الهجرة كالهجرة المؤقتة و الموسمية بعقود عمل و الهجرة السرية النسوية والتي تصفها " بثقافة الحريك " و هي نتيجة عن القوانين و الإتفاقيات الدول الأوروبية (اتفاقية شنقن) و السياسات الهجرية (معاهدة ماستريخت التي صادقة على الكوطة)، و تسمت هذه المرحلة بالمقاربة الأمنية في قانون الهجرة الذي يعمل على طرد المهاجرين الذين يتواجدون في وضعية غير شرعية و هو اول قانون يحد من حراك الإنسان و يمنعه من الإقامة و العمل الذي يحقق انسانيته و كرامته اينما ارتحل.

1- ذكورية مصطلح الحرقة :

بوخبزة نورية[268] توضح الخاصية الذكورية لظـاهرة الهجرة الغير شرعية – السرية- و استعمال المصطلح من اجل وصف المهاجرين فنقول مهاجر سري أو حراق (المصطلح الشعبي) clandestins و لا نستعمل ابدا حراقة – المهاجرة السرية clandestines فالحقيقة كأنه الذي يجتاز الحدود بدون تصريح بالإقامة هم سوى رجال فقط.

266. Ibid, p 5.

267. مسدالي فاطمة ، مرجع ذكر سابقا.

268.Boukhobza Noria, « les filles naissent après les garçons, représentations sociales des populations d'origine maghrébine en France », **Revue Européenne des Migrations Internationales**(**REMI**), vol 21-n°= 1, 2OO5, p 229.

نلاحظ ان الذكور قد استحوذوا اجتماعيا و حتى ثقافيا على ظاهرة الهجرة السرية و هذا يظهر من خلال افتخارهم بذكوريتهم لنجاحهم في هذه المجازفة وبروز قوتهم (الجسدية و الفكرية...) لتعدد الاستراتيجيات فهم يعتبرون أنفسهم رواد هذه الظاهرة في المجتمع الجزائري و حتى إننا نقول الحرقة، حراق ، و في حالة جماعة نقول حراقة.

إن إقتصار جنس الذكور للإقبال على خوض هذه التجربة لما تتطلب من جهد عضلي و تحمل مشاق و مخاطر يتحملها غالبا فئة الذكور فقط أما فئة الإناث فتفضل إستراتيجية أخرى كالزواج من شخص يقطن بالخارج إذ تكون فيها نسبة إحتمال الخطر و المجازفة أقل و أهون.

فرغم هذا تلتجئ البعض منهن الى الهجرة السرية في المجتمعات المغاربية و التي يشارك فيها مختلف الفئات الإجتماعية حتى القصر منهم.

2- اقتحام الأنثى لظاهرة الحرقة:

الذي يدهش اليوم ، هو تنوع الهجرات نحو الدول المتقدمة و اقتحام فاعلين جدد ، و هن الشابات في المسار الذي يعتقد أن الرجل هو العنصر الأساسي في هذا النوع من الهجرة التي تتطلب من المقبلين عليها قدرة بدنية و طاقة كبيرة لتحمل المصاعب.

تعد قضية الحرقة ميدانيا غير مدروس بصورة كافية و بالتالي لا يمكن تقديرها. انها ظاهرة ذكورية في الأساس وفقا لما يتداوله الإعلام و نصيب النساء منه ضعيف. فالسفر من خلال طرق محفوفة بالمخاطر، يعتبر أمرا غير شائع بين النساء لاسيما ان اهلهن و ذويهن يقومون بإقناعهن بعدم السفر من خلال طرق غير مشروعة. فالنساء يهاجرن عموما بتأشيرة قانونية لدخول البلاد الأجنبية ثم يصبحن في وضع غير قانوني بمجرد انتهاء مدة الإقامة[269].

269.جون لوي فيل ،مرجع ذكر سابقا ، ص 316-317.

يشير الباحث مهدي مبروك[270] على تواجد مزيج جنسي مسجل خلال السنوات الأخيرة ، رغم هذا الهجرة السرية تبقى عموما ذكورية. فالحرقة تفرض على المرأة ان تكون مرافقة خلال مغامرتها و سفرها ، و الثقافة التقليدية قد أعاقة لفترة طويلة لإنخراطها في التيار الهجري ، لكن بفضل التغيرات السوسيوثقافية التي عرفها المجتمع التونسي ، المرأة خاصة المثقفة منها تهاجر أكثر فأكثر لوحدها.

أما بالنسبة للمرأة التي تريد الذهاب بالطريقة السرية هن موصومات ويعتبرن تنتمين الى عائلات فاسدة des famille mauvaises، و بعض التجارب التي تم نقلها من خلال القصص قد نمت الصور النمطية السلبية اتجاه المقبلة على الهجرة السرية.

و حسب المعلومات الغير رسمية و الموجودة في الصحافة و الجمعيات والمناضلين الاجتماعيين ، أن الهجرة السرية للمرأة التونسية في ارتفاع منذ السنوات الأخيرة و حتى المغرب يعرف هذا التطور و نمو للهجرة السرية النسوية.

الشابات يظهرن جانبا قويا من الشجاعة في مجازفتهن هذه ، و تخطيهن هذه المصاعب للوصول إلى أوروبا للبحث عن ظروف أحسن و الذي لا يستطيع توفيره البلد الأصلي ، فأصبحن أكثر فأكثر فاعلات لهجرة فردية نحو أوروبا.

بوخبزة[271] تؤكد أن رغم ابراز الإعلام مشاركة الأنثى (شابة ، المرأة ...) بمختلف الفئات العمرية و الاجتماعية. فهي تبقى غير معترف بها في المجتمع بوجودها، كمشاركة أو بالأحرى مقتحمة لمجال ذكوري محض، و تضيف أن حتى الصحفيين و الملاحظين و الباحثين يضعون هجرتها الغير شرعية في اطار شبكات الاجرام او الدعارة فهن اما يعملن في الجنس أو ضحية للمتاجرة في النساء.

270. Mabrouk Mehdi, *Voiles et sel, culture, foyers et organisation de la migration clandestine en Tunisie* , les Éditions Sahar, 2010, p 36.

271. Boukhobza Noria, op cit, p 230.

تتعمد مراكز شرطة الحدود اخفاء العنصر النسوي في ظاهرة الهجرة السرية بعدم تقديم اي ارقام تخص الحراقات، رغم ايقاف محاولتهن و ترصدهن في البحر فهي تصرح بالإحصائيات الخاصة بالحراق الذكر و الأنثى لا تعتبرها كفاعلة في ظاهرة الهجرة السرية، و ذلك باعتبارهم انهم يواجهون موضوعا حساسا يمس المجتمع.

XI - بروز الهجرة السرية النسوية من خلال الإحصائيات :

خلال السنوات الأخيرة[272] الصحافة و مختلف القنوات ، يشيرون الى وجود في التيار الهجري السري في الصحراء العديد من النساء. و اذا اخذنا بعين الإعتبار عصابة الساحل الصحراوي الجزائري ، و الذي يتم تعدادهم عند القاء القبض عليهم.

الجدول رقم 30 : يبين عدد المهاجرات السريات الصحراويات الموقوفات في الجزائر ما بين 2002 و 2005

السنة	2002	الثلاثي الأول لـ 2004	ماي 2004	السداسي الأول لـ 2005	المجموع
ألقي عليهن القبض	268	40	29	53	390

المصدر : مجموعة من الجرائد الجزائرية

و بعض الباحثين قد ادركوا تواجد الفاعلات في ظاهرة الهجرة السرية من خلال تصريح المهاجرين السريين بمعلومة تواجد المرأة المهاجرة السرية لوحدها بجانبهم و لكي تحاول العيش او التعايش خلال المسار الهجري ، تستعمل المتاجرة بالجنس و حتى يتم استغلالها من طرف المنظمات من النوع الإجرامي.

272. Mimche Honoré, Yambéné Henri, Zoa Zoa Yves, op cit, p 6.

من خلال دراسة عن الهجرة السرية النسوية لمنطقة داكار[273] و التي اعطت إحصائيات عن الحراقات المقبوض عليهن و المطرودات من بلدان الأوروبية

والذي يعتبر كمؤشر مهم لتواجد هذه الظاهرة و إنتشارها خاصة بالنسبة للأنثى وأيضا نلاحظ من خلال الجدول تمركز الهجرة السرية في كل من إسبانيا و تقدر بـ 82,8 % و تليها فرنسا بـ 10,7 % و إيطاليا بـ 4,3 % ، فتواجد المهاجرات السريات السنيقاليات في هذه المنطقة يشير إلى المسار الهجري الذي تتخذه للوصول إلى أوروبا و الذي يتميز بدخولهن إلى إسبانيا بالطريقة الغير شرعية.

273. Sakho Papa , Binetou Dial Fatou, **CARIM**, **2010/56**, op cit, p 3.

جدول رقم 31: يبين السنيقاليات في الوضعية الغير شرعية الموقوف عليهم و المطرودين في 27 دولة أوروبية ما بين 2006-2007

Pays	Appréhendés				Expulsés			
	2006		2007		2006		2007	
	Eff	%	Eff	%	Eff	%	Eff	%
Belgique	48	0,2	32	0,4	21	0,4	17	0,5
Bulgarie	1	0,0	2	0,0	1	0,0	3	0,1
Rep tchèque	4	0,0	7	0,1	0	0,0	1	0,0
Danemark	2	0,0	8	0,1	9	0,2	22	0,6
Allemagne	20	0,1	28	0,3	13	0,2	7	0,2
Grèce	6	0,0	12	0,1	0	0,0	2	0,1
Espagne	16224	82,0	3984	47,0	5357	91,7	2820	82,8
France	537	2,7	656	7,7	251	4,3	366	10,7
Italie	2702	13,7	3094	36,5	164	2.8	147	4,3
Chypre	0	0,0	1	0,0	2	0,0	0	0,0
Hongrie	0	0,0	1	0,0	0	0,0	0	0,0
Malte	2	0,0	19	0,2	0	0,0	0	0,0
Pays-Bas	12	0,1	25	0,3	7	0,1	0	0,0
Autriche	27	0,1	26	0,3	6	0,1	13	0,4
Pologne	0	0,0	4	0,0	0	0,0	1	0,0
Portugal	180	0,9	562	6,6	5	0,1	2	0,1
Roumanie	3	0,0	4	0,0	0	0,0	1	0,0
Finlande	2	0,0	2	0,0	0	0,0	2	0,1
Suède	5	0,0	16	0,2	3	0,1	3	0,1
Total eu	**19775**	**100,0**	**8483**	**100,0**	**5839**	**100,0**	**3407**	**100,0**

Source : CIREFI (somé 2009)

- **خـلاصــة**

تواصلت الهجرة الجزائرية بعد الإستقلال في ظروف مغايرة لما كانت عليها في السابق ، فتحركت الهجرة النسوية الجزائرية نحو فرنسا تحت تعديلات سياسية المنعكسة في إجراءات قانونية بهدف إنتقاءها و تقليصها بقدر الإمكان وفي السنوات الأخيرة إزدادت السياسات الأوروبية تأييد فكرة غلق أبواب الحدود الأوروبية في وجه المهاجرات الجدد .

و رغم هذا رغبة و إصرار الفاعلات على الهجرة بكل الطرق أدى إلى إنخراطهن في الهجرة السرية.

ما نستخلصه أن الهجرة الجزائرية بإختلاف فاعليها و أنواعها و طرقها تبقى متواصلة بفضل تواجد جذور متينة تتمثل في أكثر من جيل و الإتصال ما بين المهاجرين ، و تخلق هذه الروابط في البلد الأصل ، و تنمي فكرة جديدة للذهاب في المجتمع الجزائري تحت سبب إجتماعي أو إقتصادي أو ثـقافي.

القسم الثاني

المهاجرة السرية بين تحقيق المشروع و إكتساب مكانة جديدة

الفصل الرابع

مشروع الهجرة السرية
عند الحراقات حالات الدراسة

- **تمهيد**

لقد ظهر شكل جديد في تحليل موضوع الهجرة النسوية، و نادرا ما عولج هذا الموضوع و الموسوم بالحرقات الحدود les bruleuses de frontieres، فعد معالجتي لمذكرة الدكتوراه سنة 2007، لقد أخذت بعين الإعتبار هذه الديناميكية الهجرية الجديدة و التي نتعارف عليها عند الذكور (الرجال) الذي يهاجرون، أما فيما يتعلق بالمرأة فقليلا ما نتحدث عنه. هذه الديناميكيات كانت تتميز بمجموعة من الفاعلين المعقدين و تطور للإطار البنيوي و الجغرافي في بلد الأصل " المغرب" و الذي أدى بدوره إلى تغير صورة المهاجرة[274].

هذه الدراسة تحاول تحديد أنثوية النظام الهجري السري féminisation du système migratoire clandestin و خصوصية هذا الشكل من الحراك والتنقل. (دوافع الفاعلات، الإستراتيجيات المتبعة، شبكات الممررين، مواقع الهجرة السرية...).

الواقع يشير أن الشابة أصبحت مع الأزمة (صعوبة الحياة اليومية، البطالة، الفقر...) فاعلة جديدة لتيار الهجرة السرية نحو أوروبا.

[274]. Arab Chadia, « Emergence de circulations migratoires feminines des marocaines vers de nouvelles destinations, l'Espagne et les émirats arabes unis », **Revue NAQD**, Femmes en migration : travail, bizness, exil, asile, n=° 28, automne-hiver 2010, p 180.

I - الإستطلاع الميداني:

من خلال الدراسة الميدانية و المعلومات المستخدمة من الدراسات و الوثائق نستطيع تحديد كاريزما المهاجرات، الشبكات الهجرية و أهم مناطق الانطلاق والممارسات الهجرية الأنثوية و الدوافع التي تساعد هذا النوع من الهجرة إذ تتعدى الآثار الناجمة عنها الإطار المحلي إلى كامل المناطق الأخرى.

إبتدأ الميدان بالتعرف على تواجد الفاعلات ، الحراقات في التيار الهجري، فالإكتشاف الأول كان في مرحلة تحضير مذكرة الماجستير، فبتصريح أحد الضباط الشرطة العاملين في ميناء مدينة وهران، بإقبال إمراة على الهجرة السرية مختبئة في إحدى الشاحنات المتوجهة إلى إسبانيا عن طريق الباخرة ، و إعتبار هذه المحاولة جنونية من إمرأة مختلة عقليا.

أما الإكتشاف الثاني ، فمن خلال التنقل في إطار العمل ، ما بين وهران وتلمسان ، في حديثي مع متنقلة ، صرحت لي أن في إحتفال لعيد ميلاد كانت مشاركة فيه ، في شاطئ بورسي (مرسى بن مهيدي – بولاية تلمسان) ، فشاهدوا محاولة جماعة من الشباب على الهجرة السرية في قارب و الأكثر إندهاشا بالنسبة لها هو مشاركة فتاة (سنها لا يتعدى ثمانية عشر حسب تقديرها) و هي ترافق صديقها الحميم .

فكل هذه العوامل ساعدتني على خوض هذه الظاهرة ، و خاصة أن الميدان كان من التحديات العلمية و الشخصية للباحث السوسيولوجي. و لهذا قد تم في مراحل مختلفة و في مناطق متعددة ، حسب الفرصة التي كانت تتاح لنا.

في إطار شراكة ما بين مركز بحث CRASC[275] و جامعة أليكانت الإسبانية ، تم إنتقالنا إلى إسبانيا و هي بداية لأول مرحلة من الدراسة الميدانية ، تمت في شهر ديسمبر 2009 ،أين تمت مقابلة الحراقات و منظمات. هذه الدراسة أردنا أن تكون الظروف الميدانية مدعمة للبحث ككل و المعلومات أكثر مصداقية فتم الانتقال إلى اليكانت (اسبانيا).

275. مركز البحث الأنثروبولوجي و الإجتماعي (بولاية وهران).

المرحلة الأولى كانت أُتصال بجمعية CEAR[276] بفضل المرشد الجيلالي في 2009/12/09 و هو يعمل كمساعد إجتماعي في الجمعية و كان ضروري جدا بفعل عدم التحكم باللغة الإسبانية و أيضا هو مصدر مهم للمعلومات بفعل تعامله وإتصاله بالمهاجرين الغير شرعيين. هذه الجمعية متواجدة بأليكانت تهتم بالهجرة (اللاجئين، المهاجرين الغير شرعيين) و تقدم لهم المساعدة في المجال الإجتماعي و القانوني، التكوين و العمل، الإستقبال المؤقت.

فالدولة أنشأت هذا النوع من المؤسسات لمراقبة المهاجرين و إحصاءهم من حيث النوع و الكم و أيضا التعرف بشكل مباشر على مشاريعهم المستقبلية (الإقامة أو الانتقال إلى دولة أخرى) و من خلالها وضع سياسة هجرية مناسبة حسب ظروف دول الانطلاق و دول الاستقبال.

© Kime Sabiha

صورة رقم 01 : تبين مقر جمعية اللاجئين بأليكانت (اسبانيا)

276 .Comision Espanola de ayuda al refugiado http://www.cear.es

صورة رقم 02 : تبين مقر جمعية اللاجئين من الداخل

من خلال **المرشد جيلالي،** إستطعنا إجراء مقابلة مع مديرة الجمعية ، فهي تعتبر مهمة بالنسبة للدولة الإسبانية، فهي أنشأت هذا النوع من المؤسسات لمراقبة المهاجرين و إحصاءهم من حيث النوع و الكم و أيضا التعرف بشكل مباشر على مشاريعهم المستقبلية (الإقامة أو الانتقال إلى دولة أخرى) و من خلالها وضع سياسة هجرية مناسبة حسب ظروف دول الانطلاق و دول الاستقبال. و طرحنا لها قضية الهجرة السرية النسوية أجابت

" إن وجـود الحراقـات قـليل جدا بالنسـبة للـــذكور، و الصـليب الأحمر la croix rouge **هو الذي يتكفل بالمهاجرة و في بعض الحالات طفلها القاصر ، و الإجراءات تختلف بالنسبة لهم فالقانون يحمي القاصر و أمه و يقدم لهم المساعدات أكثر من المهاجرين البالغين "**

قدمت لنا المعلومات التي تتعلق بالإجراءات الإدارية و القانونية بالنسبة للمهاجرين الغير حاملين للوثائق. تبدأ مهمة هذه المنظمة فور إطلاق صراح المهاجرين الغير شرعيين من مراكز الاحتجاز التي تدوم مدتها 40 يوما و يسلم لكل مهاجر غير شرعي وثيقتين *الوثيقة الأولى* **قرار القاضي يؤكد الحالة الغير شرعية للمهاجر** و *الوثيقة الثانية* **الحكم بالطرد** (أنظر الملاحق ص401) والقوانين السارية المفعول تجاهه و الثانية بطاقة عليها اللقب والاسم و تاريخ الدخول إلى الوطن و رقم الملف الذي يثبت انه كان متواجدا في اسبانيا لمدة معينة، فيتم التكفل بهم و إيوائهم في فندق لمدة 15 يوم و مبلغ مالي يقدر بـ 100 أورو و شراء تذكرة نقل للمكان الذي يختارونه لأي منطقة في اسبانيا و مدهم بالمعلومات الكافية (القانونية و الإدارية) و هي فرصة للحراق لاتخاذ استراتيجة ملائمة لإكمال مشروع هجرته.

في اليوم الموالي قررنا الذهاب إلى مركز الهلال الأحمر بأليكانت برفقة المرشد جيلالي ، لكن الأمور ليست كما نعتقد ، فرغم تقديمنا على أننا باحثون في إطار شراكة علمية مع الجامعة بأليكانت ، فيجب الحصول على تصريحات إدارية ، إستطعنا الحصول على موعد مع مسؤولة بالمركز بعد يومين، لكن لسوء الحظ لم تستطع مقابلتنا.

© Kime Sabiha

صورة رقم 03 : تبين مركز الصليب الأحمر

© Kime Sabiha

صورة رقم 04 : تبين مركز الصليب ا لأحمر و سيارة الإسعاف

و قررنا الانتقال إلى الفندق لأنه مركز تواجد الحراقة (ذكورا و إناثا) و أيضا المكان المناسب لجمع المعلومات و للالتقاء بالحراقات و تفاجأنا بالمكان و المحيط فهو في وسط المدينة و اعتقد انه ليس بالصدفة أن مدير الفندق من منطقة وهران وأغلب الزبائن جزائريون منهم الحراقة و الحراقات و البزناسة فاستطعنا رؤية مجال خصب و مذهل من القصص التي جمعناها من مختلف المرشدين.

© Kime Sabiha

صورة رقم 05 : تبين الفندق الذي يقيم به الحراقة بأليكانت (اسبانيا)

© Kime Sabiha

صورة قم 06: تبين مبنى الفندق الذي يقيم فيه المهاجرون الغير شرعيين.

كان برفقتنا المرشد جيلالي وتعرفنا على مدير الفندق و هو ميلود ، و أصبح هو أيضا مرشد ساعدنا على التواجد في الفندق و كسب ثقة بعض الحراقة المتواجدين به ، من مناطق مختلفة.

لكن عند إتصالنا بهؤلاء المهاجرين السريين ، كانت ردة فعلهم إنفعالية جدا، حتى أنهم بدؤوا يطرحون علينا الأسئلة الشخصية، يقارنون بين الهجرة الرسمية التي أتينا بها و الحظوظ التي تمنحها الدولة لفئة معينة و الأخرى محرومة و التي عليها المجازفة بحياتها من أجل الوصول إلى أوروبا.

و إلحاحهم على تدمرهن من الظروف المعيشية التي تتواجد في الجزائر، ويعتبرون أن السجن و ظروف العيش بالفندق أحسن بكثير مما كانوا عليه في مناطق إقامتهم، و ليسوا نادمين على هذه التجربة، بل المستقبل أمامهم.

© Kime Sabiha

صورة رقم 07 : تبين الحراقة عند باب الفندق

المرشد ميلود، أفادنا بفيديو كليب مهما جدا عن حرقة شباب و شابات في عرض البحر يمثلون مغامرة الهجرة السرية، و التي يتباهى بها الفاعلون فهي قد أصبحت تعطي لهم مكانة في المجتمع و حتى التباهي بالوسائل المستعملة و القارب حتى أننا عند رؤية هذا الفيلم القصير يتبادر إلينا أنها عملية سهلة جدا و لا تحتاج إلى جهد كبير. بل تحتاج الى قارب متين و محرك قوي و جهاز GPS و بعضا من التمر وماء فقط.

فالبديهي أن هذا المشروع قابل للتحقيق و ذلك بتوفير المبلغ المالي لشراء هذه الوسائل فالقارب كان ينقل 15 فرد من بينهم 4 إناث و حسب المرشد ميلود فإن عددهن يتزايد بشكل واضح .

© Kime Sabiha

صورة رقم 08 : تبين الحراقات بالقارب في عرض البحر

صورة رقم 09 : تبين باقي حراقات على مثن القارب

أما عن لقائنا لأول حراقة ، فكان بفضل **رئيس جمعية " السلام " السيد بلقاسم (الجمعية جزائرية)**، هدفها المحافظة على الهوية الجزائرية و التقاليد و إحياء الأعياد الوطنية و الدينية، و في الحقيقة التي صرح بها السيد بلقاسم ، أصبحت الجمعية تحل المشاكل الإدارية لتزايد المهاجرين الجزائريين الغير حاملين الوثائق، فالمساعدة تكون في الإستشارة القانونية و الإجراءات الإدارية و الإجتماعية ويرجع هذا النوع من المساعدات ، للمستوى التعليمي المنخفض للمهاجرين و همه الوحيد هو الحصول على الوثائق فقط ، مدنا بالمعلومات عن وضعية المهاجرين في إسبانيا بحكم مدة إقامته و الإتصال المستمر بمكتب القنصلية الجزائرية بأليكانت، و في ذلك اللقاء إتصلت به وهيبة كعضو ناشطة بالجمعية و لطلب مساعدة مادية.

" الجزايريين راهم يعانو هنا ، حسبوها ساهلة، يجو و يخدموا بصح دروك حتى ولاد البلاد مالقاوش الخدمة ، البونكات و كريدي، خنق العباد ، راهم يبيعو في ديارهم باش يخلصوا البونكة، والجزايري مالقاش حتى شياكل، و هيبة كل خطرة تدربلي باش نسلفها دراهم، نخاف تروح دير هاجة وحدخرا، تشفني "

فسردلنا حكاية وهيبة بإختصار و عرفها بالحراقة المحترفة ، و في نفس اليوم كان اللقاء الأول ، لحالة وهيبة و بداية تكوين مبحوثات ، عينة الدراسة .

وهيبة الحراقة أصبحت، **مرشدة** في أليكانت التي ساعدتنا للالتقاء بالحرقات الأخريات و الأماكن التي يتواجدن بها.

و إلتقينا **بالمرشد عدنان**، يعمل بالقنصلية الجزائرية بأليكانت، فهو يعمل كإداري ويتعامل مع الجالية الجزائرية، و أفادنا بتصريحات جد مهمة ،عن توافد الحراقة ورغبتهم في العودة إلى التراب الوطني و خوفهم من إلقاء القبض عليهم من طرف شرطة الحدود الجزائرية، فيطلبون المساعدة بحصولهم على وثيقة العبور. و يشير إلى مختلف الإستراتيجيات التي يتخذها الجزائريون للحصول على وثائق الإقامة الإسبانية.

و ساعدنا أيضا كل من السيد بلقاسم –رئيس الجمعية الجزائرية- و المرشد عدنان على تخطي البيروقراطية الإدارية ، لأننا لا نملك تصريح بالبحث في أليكانت وأيضا أننا نعالج موضوعا حساسا و هو الهجرة السرية، فرغم إنتظارنا لساعات طويلة و إستجوابنا لعدة مرات عن موضوع البحث و نوعية الأسئلة، إستطعنا إجراء مقابلة مع مسؤول بالقنصلية الجزائرية بأليكانت السيد حواس عبد الكريم ، نائب القنصلية ، و الذي حاولنا معرفة الظروف التي يعيش فيها المهاجر الجزائري الغير شرعي، و الإجراءات المختلفة التي تحاول القنصلية منح مساعدة لهؤلاء الحراقة.

أما عن **المرحلة الثانية** من الدراسة الميدانية ، فهي عندما سافرنا في إطار تربص قصير المدى إلى فرنسا تحديدا في شهر نوفمبر 2011، أكس بروفانس، و بتلك المنطقة حاولنا الإتصال بأشخاص من الجالية الجزائرية و ربط العلاقات بهم ، لإستفادة من المعلومات و إيجاد حالات أخرى للدراسة الميدانية و مرة أخرى الصدفة كانت في الموعد، فعند إقامتي بدار الشباب، كنت أتناول فطور الصباح في قاعة الإطعام ، و تعرفت على فطيمة، و عند التحدث معها لعدة مرات و سؤالها كيف تمت هجرتها من الجزائر إلى فرنسا ، فصرحت عن الطريقة الغير الشرعية التي إستخدمتها برفقة زوجها، و أيضا تعرفت على حالة فتيحة في مطار مرسيليا و هي تسرد لنا الوضعية الصعبة التي مرت بها في وهران و البطالة التي يئست منها و التي أدت إلى هجرتها السرية.

أما المرحلة الثالثة ، فهي البحث عن مقبلات على الهجرة السرية من مناطق الإنطلاق، ، و التقرب من الفاعلات أكثر من خلال تأسيس مشروعهن للهجرة السرية و هن نصف عدد العينة و في فترات متباعدة من سنة 2010 حتى النصف الأول من سنة 2012 . و إنتقلنا إلى مديرية الأمن لولاية تلمسان في شهر فيفري 2012 .

تعتبر ولاية تلمسان من أحد الولايات الحدودية ما بين الجزائر و المغرب، و التي تنشط فيها ظاهرة الهجرة السرية و كمنطقة عبور برية، و حاولنا جمع المعلومات عن الإحصائيات المسجلة فيما يخص المهاجرين الغير شرعيين المرجعين من إسبانيا عبر ميناء الغزوات و إستطعنا، من خلال المعلومات الإتصال بحالة سامية.

من خلال خبرتنا في الميدان و منذ دراستنا لظاهرة الهجرة السرية لنيل شهادة الماجستير، فتقربنا بالمبحوثين، و مشاركتنا في مشروعهم للهجرة السرية بميناء مدينة وهران ، كان يصعب علينا الفصل ما بين إحساس الشخصي لمواقف مأساوية كالموت و أيضا موضوعية الباحث، التي يجب أن نلتزم بها في فهمنا وتحليلنا لدراستنا.

أما في مواصلتنا البحث في نفس المجال ، و هو الهجرة السرية النسوية ، كانت وضعيتنا أصعب من الأولى ، و هو مشاركتنا للمبحوثات نفس المواقف التي تتعايشها بحكم إنتمائنا لنفس المجتمع و ثقافته الذكورية ، و أيضا الخوف من الوقوع في تصور أن الفاعلة ضحية أو حتى بصورة تجريمية.

إحساس المبحوثات بالوصم إتجاه مكانتهن، كان عامل سلبي في تقدم بحثنا و ذلك لرفض الكثير من الفاعلات إجراء المقابلة أو التحدث عن خوضها للتجربة الهجرة السرية ، فإحساسنا بالعجز أمام هذا الموقف قد أرغمنا في العديد من المرات ، التفكير بالتخلي عن دراسنا لهذا الموضوع. و في بعض الحالات الوضعية الغير رسمية لإجراء العمل الميداني لأنه كان من المجازفة في حالة كشف الهدف الحقيقي للبحث العلمي.

فالعمل الميداني و البحث العلمي ، كانا من التحديات الشخصية لنا و تجربة جد غنية بالعلاقات الإجتماعية و التصدي لمختلف المواقف الحرجة كالعنف اللفظي وإيجاد ردود الفعل المناسبة لمواصلة بحثنا. ففي هذا الصدد تنقلنا إلى أماكن كالمقهى الليلي في حالة هوارية و استغراب و شكوك الحاضرين بتواجد فتاة متحجبة في ذلك المكان و في نفس الوقت أصبح الحجاب عائق في هذه الحالة لإستحالة إستعمالنا الملاحظة بالمشاركة ، و أيضا عبئ تقمص شخصية وهمية مغايرة عن الحقيقة ، لكسب ثقة المبحوثات من خلال التشبة بنوعية حياتهن.

II - حالات الدراسة:

إن طبيعة ظاهرة الهجرة السرية في المجتمع الجزائري تفرض علينا الإلمام بجميع الجوانب و التي تمدنا بمعلومات كثيرة و تساعدنا على الوصول إلى خلفيات هذه الظاهرة و لهذا ارتأينا استعمال المنهج الكيفي ، و هو دراسة الحالة، و التي من خلالها إستعملنا تقنية المقابلة المعمقة ، كمنهج مناسب لمعالجة هذه الظواهر الاجتماعية و التي نحن بصدد دراستها لأن السيرة تكشف عن السلوك الاجتماعي للفرد و مدى تأثره بالعوامل المحيطة به.

أما عن التقنيات التي إستعنا بها فهي الملاحظة و المقابلة المعمقة، الهدف من الدراسة الميدانية و مقابلة المبحوثات و هو إعادة بناء مسارهن الإجتماعي من خلال سردهن لمختلف مراحل حياتهن.

كانت عينة الدراسة متكونة من أعضاء جمعية CEAR و جمعية " السلام " بأليكانت و مرشدين مختلفين و أيضا مسؤولين بالقنصلية الجزائرية ، و عاملين بأمن ولاية تلمسان، و هذا لجمع مختلف المعلومات من مختلفة الهيئات والمؤسسات الأمنية و غيرها. فكانت تقنية جمع العينة عن طريق الكرة الثلجية.

أما عن المهاجرات السريات " الحرقات " ، فحاولنا بقدر الإمكان إجراء مقابلات مع عدد مهم ، و إستطعنا إستخدام المرشدين ، للتقرب من حالات الدراسة و أيضا إستخدام ، تقنية الكتلة الثلجية ، لمعرفة الحراقات بعضهن البعض (كحالة وهيبة و أمينة)، و إستخدامنا الطريقة الغير رسمية ، لجمع المعلومات، و هذا لعدم تجاوب الكثير من الحالات و التخوف من الصورة التي توضع فيها مكانة الحراقة.

حاولنا بقدر الإمكان ، أن تكون المقابلة في أماكن عمومية (مقاهي ، حدائق، مكاتب) و في بعض الحالات مكان الإلتقاء هو الذي أجرينا فيه المقابلة ، مكان عمل فطيمة الخادمة و أيضا مدة سفرنا من مرسيليا إلى وهران مع حالة فتيحة بطالة و لكن عندما كنا في أليكانت ، أردنا معرفة أماكن عمل الحراقات و مناطق إقامتهن، و التعرف على فاعلين من مختلف الفئات و البنيات.

فقد تم استجواب عشر (10) حراقات من مختلف المناطق، سبع حراقات في بلد الإستقبال (إسبانيا و فرنسا) و إثنان مقبلات على الهجرة السرية و مهاجرة سرية مطرودة ، وكل واحدة حالة منفصلة عن الأخرى و هي المبينة كالتالي:

الحالة الأولى : وهيبة الهجالة

الحالة الثانية : هوارية العانسة

الحالة الثالثة : امال الزوجة الناشز

الحالة الرابعة: أمينة الأم العازبة

الحالة الخامس: سميرة ربة الأسرة

الحالة السادسة : كاتيا المريولة

الحالة السابعة : سامية اخت الممرر

الحالة الثامنة: فتيحة البطالة

الحالة التاسعة: فطيمة المنظفة

الحالة العاشرة: زهرة الطالبة

من خلال الفيديو نلاحظ تواجد المرأة كفاعلة حقيقية و ليس بالصدفة فهي حراقة تشارك في كل المراحل ، و لا يوجد أي معارضة و قلق لتواجدها في القارب ، فهي عازمة على مشروعها و ذهابها. فرغم إلقاء القبض عليهن، فهي بقيت صامدة ، لم تظهر آثار الإرتباك و الخوف على وجوه الحراقات، فمعرفتها المسبقة لكل ما قد يعترضها من عراقيل قد كانت مهيأة لذلك.

III - تيبولوجيا الحراقات :

إن إنحصار ظاهرة الهجرة السرية في فئة الذكور ليس حدثا جديدا بل الجديد في المجتمع المغربي، ظهور الهجرة السرية النسوية خاصة فئة النساء الشابات فالهجرة لديهن كعامل تحرري مثل شيء يتعلق به النساء لأنهن يعشن في محيط مضطرب و يمارس عليهن عنف في بلادهن[277].

277. http:// www.siteavie/com/ocano/developpement.htm. (adresse suprimer sur internet)

جدول رقم 32 : يمثل الحرقات حالات الدراسة

الرقم	الاسم	التسمية في الدراسة	السن	الإقامة الأصلية	المستوى الدراسي	الحالة المدنية	عدد الأطفال	المهنة في البلد الأصل
01	وهيبة	الهجالة	32	البليدة	جامعية	مطلقة	3	موظفة ببنك
02	هوارية	العانسة	38	تارقة عين تموشنت	ثانوي	عازبة	/	حلاقة
03	أمال	الناشزة	28	العاصمة	جامعية	متزوجة	/	بدون عمل
04	أمينة	الأم العازبة	24	وهران	ثانوي	أم عازبة	1	بدون عمل
05	سميرة	ربة العائلة	34	عين تموشنت	ابتدائي	متزوجة	1	منظفة
06	كاتيا	المريولة	28	عين الترك وهران	ثانوي	عازبة	/	بدون عمل
07	سامية	المطرودة	30	عين تموشنت	تاسعة أساسي	متزوجة	/	بدون عمل
08	فتيحة	البطالة	29	حمري وهران	جامعية	عازبة	/	بدون عمل
09	فطيمة	الخادمة	42	مغنية تلمسان	إبتدائي	متزوجة	2	خادمة في المنازل
10	زهرة	طالبة	22	غزوات تلمسان	جامعي	عازبة	/	بدون عمل

1 - السن :

يتميز سن فئات المقبلين على الهجرة السرية بين الحد الأدنى و هو سن المراهقة والحد الأقصى و هو سن الكهولة و حسب دراسة قام بها أخصائيون مغاربة وأجانب أن أعمار المقبلين على الهجرة السرية تتراوح مابين 12 سنة (أحيانا أقل) و 40 سنة و هو الحد الأقصى[278].

حسب جدول رقم 01 لاحظنا في حالات الدراسة، أن سنهن يتراوح ما بين 20 و42 سنة و هذا ما نعتبره أنه في مقتبل العمر ليسمح لهن باتخاذ قرار الهجرة السرية و تنفيذ مشروعها و لهن الجرأة و الشجاعة مثل الذكر.

ان الهجرة السرية لا تحتاج الى قدرة بدنية عالية بل يجب أن تتوفر في الفرد ذكرا أو اتثى القوة البسيكولوجية لتحمل مشقة المغامرة.

من خلال بحث إسكوفيي[279] نلاحظ تأكد وجود الأنثى في ظاهرة الهجرة السرية فالعينة، تتكون من 55 إمرأة، و كان يتراوح متوسط سنها 30 سنة.

و رغم هذا لم تمتنع بعض الفاعلات الكبيرات في السن ، كما أشار إليها المرشد ميلود .

" الحرقة مخلتش حتى واحد، راجل، امرأة، حتى الكبارات راهم يجوا في البوطيات، حتى حاجة ما راهي تقضب الناس على الحرقة، راهم يحوس يجوا برك و يوصلوا في بلاد أوروبا "

و عندما بحثنا من خلال المواقع الأنترنيت ، اكتشفنا حقيقة تواجد الحاجة الحراقة، من خلال فيديو مصور[280] تحت عنوان **haraga et chibania**

278. http://www.ashqalawsat.com/pcdaily/12-07-2001/news/49.htm.

279 . Escoffier Claire, « Communauté d'iténérance et savoir-circuler des transmigrant- e- s au maghreb », **Doctorat de sociologie et science sociales**, université de toulouse 2, Juin, 2006, p 99.

280 .http://www.youtube.com/watch?v=FFt8_X0Gajs **Mise en ligne le 5 mars 2010 par** mousmous1987

© mousmous1987

صورة رقم 10 : تبين حراقة من فئة الكهول في القارب

© mousmous1987

صورة رقم 11 : تبين حراقة المسنة في القارب

تواجد الحاجة هو دليل آخر على إستقطاب ظاهرة الحرقة كل الفئات العمرية بغض النظر عن الجنس، لم تتردد الفاعلة على خوض الحرقة ،لأن لديها آمال كبيرة لتحقيق ما تطمح له في بلد آخر، و تحطم كل القيود التي تجدها في مجتمعها .فالحرقة لم تمنع أي فرد مهما كان جنسه أو سنه ، لإقتحامها ، فالشرط الوحيد هو إرادته على خوضها ، فحتى الأطفال أيضا يشاركون فيها برفقة أوليائهم.

2 - المستوى الدراسي:

يعبر المستوى الدراسي لحالات الدراسة عن مؤهل علمي مرتفع ، إذ يتحدد ما بين التعليم المتوسط و الجامعي ، إلا في حالة سميرة و فطيمة اللاتاني توقفا عن الدراسة في المرحلة الإبتدائية و نرى أن هذا متوقف على تشجيع الأسرة بالدرجة الأولى و الرغبة في مواصلة الدراسة بالنسبة للمبحوثات بالدرجة الثانية وخروجهن لسوق العمل بعد إنتهاء الدراسة.

تغير مفهوم قيمة الشهادة الدراسية في المجتمع بالنسبة للأنثى و هذا بإنتشار ظاهرة تمدرس الفتاة و وصولها لأعلى دراجات العلم و ايضا هذا ما سمح لها بتقلد مناصب عالية و مكانة مهنية مرموقة تنافس بها الرجل.

و تصف الباحثة فرونسواز قيلومو[281]، أن المهاجرات لسن في العموم تلك الشابة السادجة، أمية، و هي الخارجة من بلدتها. فمن خلال أبحاثها السابقة توصلت أن أكثر من 60% من النساء اللواتي وصلن منذ السنوات 1990. هن حضريات من المدن و اللاتي تمدرسن بنسبة أكثر 80% (8% في المستوى الجامعي، 17% المستوى الثانوي).

أغلبية الدراسات التي عالجت موضوع الهجرة السرية ، تؤكد على إرتفاع المستوى الدراسي للحراقات، فقد وجدت إسكوفيي[282]، أن كلهن متمدرسات وحاصلات على شهادات مختلفة (شهادة متوسطة، بكالوريا، جامعية).

281.Guillemaut Françoise, « Femme africaines, migration et travail du sexe » , **Revue Contributions Société**, n=° 99, 2008/1,p 94.
282 . Escoffier Claire, op cit, p 100.

3- الحالة المدنية :

يحدد الباحث[283] Guillermo Alonso Meneses في مقاله أن المرأة المهاجرة المكسيكية التي تهاجر نحو الولايات المتحدة الأمريكية، قد تعددت صورتها. فالفاعلة الإجتماعية، هي الفتاة، المراهقة، الشابة ، الأشخاص الكبار في السن، الأرملات، المخطوبات، المطلقات، المنفصلات، المتروكات و المهجورات من طرف أزواجهن .

بالإضافة إلى فئات المرأة، أنديجان، و المنتمية إلى المنطقة الريفية و الفئة المنتمية إلى المدينة أو اللواتي يواجهن المغامرة بعد تجربة قطع العلاقة مع الروابط العائلية ، أو التي تذهب لوحدها. و كل هذه الفئات المختلفة تنحذر من مفهوم المرأة المهاجرة المكسيكية.

و يقابله تصريح الباحث [284] Woo Ofelia و الذي أنشأ هرما يجمع فيه كل النساء المكسيكيات تحت ثلاث أجزاء أساسية، العازبات أو المتزوجات، الفتيات أو الأخوات، المقربين أو الأصدقاء.

هذا ما وجدناه في مجال دراستنا ، أن إختلاف الحالة المدنية للحراقات كان في أول وهلة نعتبره كصدفة ، لكن بعد البحث و التعمق ، نرى أن المكانة التي تحملها الحراقة من خلال وهيبة المطلقة ، و هوارية العانسة و أمينة الأم العازبة ، أمال الناشزة، تدفعهن إلى قرار الهجرة السرية و بناء مشروعه و هذا ما يشركهن بإنتمائهن لتيار الهجرة السرية .

283.Guillermo Alonso Meneses, « La dimension féminine de carrefour clandestin de la frontiere Mexique-etats unis », **colloque mobilités au féminin**-Tanger, 15-19 novembre, 2005, p 7.

284. Woo Morales Ofelia, « Migration clandestine Feminine », **Frontera Norte**, vol 9, n = °17, Janvier-Juin, 1997, p 116.

و يعتبر الباحث العزيزي عبد اللطيف[285] أن الهجرة السرية النسوية هي من الظواهر الجديدة فهي ظهرت في الحقبة الأخيرة فقط ، و يضيف أنه من المستحيل أن نجد إمرأة في جماعة الحراقة من أجل الهجرة السرية. و حسب رئيس جمعية اصدقاء عائلات ضحايا الهجرة السرية، خليد جماع يقول : " أن ظاهرة الهجرة السرية في إرتفاع مستمر، فقبل عشر سنوات من هذا لم يكن إحتمال وجود إمرأة في جماعة الحراقة. و اليوم، ضغط الفقر، أجبر العازبة ، و الحامل، و المرافقة لأطفالها، على إجتياز الحدود. و يشير إلى تغير العقليات و الأفكار في المجتمع المغربي، و الذي جعل الرجل، ليس لديه المسؤولية المطلقة في سد حاجيات عائلته.

4- منطقة الإقامة:

أما عن إقامتهن الحراقات تسكن في مناطقة الحضرية ، و التي تتواجد بها شبكات الهجرة السرية من ممررين و وسائل المادية في المنطقة الساحلية وأيضا قرب مناطق الإنطلاق من إقامة الحراقات سهل عليهن العملية و استطعن تحقيق المشروع و النجاح بالوصول الى الضفة الأخرى.

من خلال الجدول الذي يبين حالات الدراسة نستطيع ملاحظة أن الحراقات يقطن في مناطق ساحلية (ولاية وهران، تلمسان ، عين تموشنت) أو بالقرب منها و التي تنشط فيها شبكات الممررين فالظروف مساعدة على تحقيق مشروعهن بدون صعوبة.

أغلبية المهاجرات السريات[286] من داكار، ينحذرن من أحياء الصيادين (ثقافة الهجرة في الوسط الإجتماعي التي تعيش فيه الفاعلات) فحسب الباحثة كان الصيادون ينتقلون في القديم إلى إسبانيا لشراء السلع ثم العودة.

285. El Azizi Abdellatif, « Emigration clandestine, le calvaire des harragate », **Telquel Online**, edition spéciale 8 mars, n°= 166, du 5 au 11 mars 2005, p12 . http://www.telquel-online.com/archives/166/sujet4.shtml

286 .Papa Sakho et Fatou Binetou Dial, « Migration clandestine feminine , etude de cas de dakar et sa banlieue », **CARIM**, 2010/56, p 16 .
http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/14629/CARIM_ASN_2010_56.pdf?sequence=1

5- مهنة الحراقات:

الحراقة تتمثل في الموظفة و الحرفية ، فالهجرة السرية لا تتعلق بالضرورة للأكثر فقرا و بالمنطقة الريفية فقط كما هو متداول عليه بل الهجرة السرية الحالية تمس الفئات المؤهلة دراسيا و حتى أنهن ينتمون إلى طبقة متوسطة.

و تشير الباحثة عراب شادية[287]أن في أغلبية الحالات النساء قبل ذهابهن للعمل من خلال الهجرة فهن كن يعملن قبل ذلك في بلدهن الأصل و حسب موجود نسيمة 2003 ، فالأكبر سنا من النساء التي قابلتها في دراستها، تصف أن الحياة العملية، قد بدأت في المغرب منذ الصغر، فكانت الريفيات يقمن بعمل في مجال الخدمات المنزلية و الفلاحية و لم تستطع أن يكن محميات proteger من طرف الرجال المقربين الذين تصف و ضعيتهم بالأكثر فقراappauvris.

أما عن النساء اللواتي يقطن المدينة " الحضريات " فكن يعملن كخادمات ، عاملات في المصنع، أو خياطات و هذا في حالة لم تكن قد قامت بهجرة داخلية وعرفت العمل في المزارع و تربية الحيوانات و صناعة منتوجات نسوية، مثل الساجدات و المواد الغذائية.

تصف كلير إسكوفيي[288] النساء كن يعملن في مجالات مختلفة بالبلد الأصل، (الحلاقة، بائعة بالسوق، تاجرة) و أعمال حرة، و هي تشكل دخلا زهيدا و غير مستمر، أمام حاجيات الأفراد و عائلاتهم.

تصريح نصف الفاعلات بعدم عملهن، ليس معناه عدم حصولهن على دخل من عمل غير رسمي أو تقديم خدمات خاصة مقابل مبلغ مالي كما لاحظناه في حالة كاتيا، أما البعض الآخر من الحراقات هن ماتزلن قاطنات بالمنزل العائلي، لأنهن لسن بحاجة إلى عمل كحالة زهرة الطالبة و سامية ربة بيت.

287 .ARAB chadia, op cit, p188.
288. Escoffier Claire, op cit , p 101.

IV -الأصل الإجتماعي للحراقات:

لاحظنا أن الأصل الإجتماعي الذي تنتمي إليه الحراقات ، يتميز بالصراع العائلي ، أين نجد الحراقات تنحذر من أسر متشددة و التي يغلب عليها الصفة التقليدية في تنشئتها و حتى في محيطها الإجتماعي يغلب عليه السيطرة الذكورية من خلال الأب و الأخ و هذا يظهر جليا في سرية القيام بمشروعها الهجري السري ، فالإخفاء يغلب عليه صورة الهروب من الضغط الذي تعيشه الفاعلة في أسرتها ومجتمعها .

و لم تسلم أيضا من النظام الإجتماعي ، الذي لايزال يرفض مكانة كل من المطلقة و العانسة و خاصة العاهرة و التي نجدها من خلال دراستنا أن الإحساس الناجم عن اختلافهن بالنسبة للأخريات، فهي ترغب و تسعى لتواجدها في مكان آخر مغاير عن محيطها و التي ترى أنه غير مساعد على تحقيق سعادتها. و بفضل استقلاليتها الذاتية و قدرتها على جمع المال و الذي يوحي بتوسط أو إرتفاع طبقتها الإجتماعية .

حسب الباحثة فرونسواز قيلومو[289] ان الأصل الإجتماعي يسهل الحصول على وسائل السفر و الهجرة و ليس الحصول على الجانب المادي فقط بل القدرة على توظيف الشبكة العلاقتيةles reseaux relationnels opérationnels فالفاعلة تستطيع الحصول على بعض الوثائق اللازمة من أجل الذهاب بفضل الرأسمال الإجتماعي و تشير أيضا الباحثة انه المحيط الأصلي le milieu d'origine يسمح بتطوير الحماية و إستباق الوضعيات الشخصية. مهما كان البلد، القدرة على الحراك و السفر، هو شيء يكتسبه aquisالفاعل أو الفاعلة و مسجل في الرأسمال الإجتماعي و الهبتوس.

289. Guillemant Françoise, « Stratégies des femmes en migration : pratiques et pensées minoritaires repenser les marges au centre », **Thèse de Doctorat**, Sociologie et Sciences Sociales, Université de Toulouse II, 2007, p 536.

نريد أن نذهب الى أبعد من ذلك، ان ثقافة الهجرة التي يتسم بها المجتمع و القيمة التي يمنحها المجتمع للمهاجر، كقيمة إيجابية التي تمنح الإفتخار و ترفع من الرأسمال الإجتماعي للفرد و أسرته، فمهما كانت تلك الهجرة (شرعية أو غير شرعية) ، المهم هو الحصول على وثائق الإقامة في بلد الإستقبال فقط. فبالنسبة للمجتمع الجزائري و خاصة بعض المناطق الساحلية منها ، المعروفة تاريخيا بالهجرة . حتى أننا نجد في كل عائلة أحد أفرادها يتواجدون في الخارج. فالتنشئة تلعب دورا كبيرا في بناء ذلك الرأسمال الإجتماعي.

و مما يدهش أن أحد الحراقة الأفارقة Ba Omar[290]في كتابه يؤكد أن التعليم هو الآخر يلعب دورا مهما في غرس فكرة الهجرة ، بسبب الصورة التي يعطيها الأستاذ من خلال مادة التاريخ و الجغرافيا، للدول المتقدمة المتواجدة في الشمال والدول المتخلفة المتواجدة في الجنوب، فلكي ينتمي الفرد الى هذه الدول يجب الإنتقال بفكر الحراك الهجري بشتى الطرق (الرسمية أو الغير رسمية).

أما المحيط الإجتماعي هو أيضا يساعد على تواجد ظاهرة الهجرة السرية يوميا والتي تتميز بجمع المقبل المعلومات و إستعمال الشبكة الهجرية ، المتواجدة إما في العائلة أو الأقارب أو الأصدقاء أو حتى الجيران ، فكل هذا يدعم إتخاذ القرار وتنفيذ المشروع الهجري في تواجد فرص و أيضا الوسائل، كممررين، مثال منطقة العيون الترك في ولاية وهران و تلمسان كمنطقة مرسى بن مهيدي و ولاية تموشنت و ولاية عنابة.

290 .Ba Omar, *Je suis venu, j'ai vu, je n'y crois plus*, Max Milo Éditions, 2009, p 150.

V - مشروع الهجرة :

ان نوع المشروع الموضوع من طرف المهاجر متنوع ، فيتوقف على عوامل الذهاب و الوصول و طموحات الافراد، و مشروع الهجرة يجمع ما بين خصوصية المهاجر نفسه و شخصيته و لحياته[291].

تشرح الباحثة[292] من خلال دراستها، ان الذهاب له علاقة بالمشروع الهجري le projet migratoire. فالمبحوثات يتعرضن الى مختلف العوامل التي أدت بهن الى الذهاب، فالجانب الماكروسوسيولوجي يظهر في عرض الأسباب المؤدية للهجرة، من خلال العوامل الإقتصادية و الإجتماعية و السياسية و الثقافية. حتى ان الفاعلة تبين الجانب الرمزي للهجرة من خلال البحث عن الحياة المثالية، عن الطموحات و آمال في مكان آخر. و كل هذا يتم ببناء مشاريع هجرية من طرف الفاعلة و التي يتوقف عليها مدة و مكان الإقامة و مدى تحقيق الأهداف المسطرة في بداية المشروع الهجري.

1 - مشروع الهجرة الإقتصادي:

فحسب برنار فورجي[293] أن مشروع الهجرة يأتي نتيجة ازمة اقتصادية تتعرض اليها الفاعلة و عائلتها، فيأتي قرار الهجرة من اجل الحصول على عمل ذو أجر مرتفع، لغرض حياة أفضل و ايضا للإدخار و مساعدة العائلة الباقية في البلد الأصل.

291.Forget Bernard, *Los clandestinos mode d'emploi*, Cahiers migrations 31, Edition ACADEMIA, 2004, p 68.

292. Mendoza Myrian Carbajal, « actrices de l'ombre » La réappropriation identitaire des femmes latino américaines sans papiers, **Thèse de doctorat**, Faculté des Lettres de l'Université de Fribourg (Suisse), 2004, p 133.

293. Forget Bernard, op cit, p 69.

نجد ان حالة سميرة " ربة العائلة " تمثل المشروع الإقتصادي، فبعد وقوع زوجها في البطالة ارغمتها هذه الوضعية بشكل مباشر على الهجرة السرية ، فخروجها للعمل لم يحسن من وضعية عائلتها امام الحاجة المستمرة لتلبية حاجات طفلها والمنزل و حتى الزوج أصبح عبئا عليها. فكل من سميرة و زوجها لم يجدا حلا آخر للوضعية الإقتصادية الصعبة سوى ذهاب سميرة مع طفلها، لضمان المساعدات الإجتماعية الممنوحة لغير الحاملين للوثائق و لتسوية الوضعية بسبب الطفل القاصر (حسب القوانين الاسبانية).

"كنت مغبونة الراجل بلا خدمة و الصغير خاصه مصروف و ليت بسيف علي نخدم في الديار باش نعيشوا بصح حتى خدمتي مانفعتش"

الزوج لم يتمكن من الحصول على عمل ثابت و ذلك بسبب عدم حيازته على شهادات جامعية أو حرفة مما يقلل حظوظه. أما بالنسبة لها فالعمل في البيوت لا يكسب مالا للعيش في ظروف ملائمة فرغم الجهد الكبير في المقابل كان المبلغ زهيدا و المسؤولية كانت كبيرة، أعباء منزل و طفل و زوج فأصبحت هي المسئولة و الراعي الوحيد للعائلة فتحولت رغما عنها إلى " ربة العائلة."

" لقيت روحي أنا مسئولة على كل شيء في الدار، مرأة الداخل والخارج و الراجل غير زيادة ما يعرف والو غير يحكم و يخمم باش نحرق لسبانيا أنا و ولدي و نرسل ليه الدراهم باش يلحقني "

إن الأسرة التي تنهج استراتيجية البقاء تحاول أن ترشح أحد أفراد الأسرة، أو أكثر للإنخراط مثلا في نظام هجرة الأيدي العاملة، فالمأمول هو أن المهاجر سيظل على إتصال وثيق بأفراد أسرته الذين خلفهم وراءه و ذلك من خلال الزيارات والتحويلات المالية بصفة خاصة. و يعتبر تايلور[294] أنه لا يمكن فهم إستخدام التحويلات للإستهلاك و الإستثمار فهما تاما إلا من خلال منهج يعتمد على إقتصاد عائلي كامل.

294.ستيفن كاسلز، "الهجرة الدولية في مطلع القرن الحادي و العشرين : الإتجاهات و القضايا الكوكبية" ، **المجلة الدولية للعلوم الإجتماعية** ، الهجرة الدولية عام 2000 ، مركز المطبوعات اليونسكو، القاهرة العدد 165 ، سبتمبر 2000 ، ص 35.

بالنسبة لدراسة الباحثة[295]، الفاعلات يظهرن الدافع الإقتصادي كمحرك أساسي لقرار ذهابهن و هجرتهن. و ابعد من هذا تربط المشروع الهجري الاقتصادي بالعائلة و هذا لإدخار الفاعلة المال من اجل تحسين شروط حياة عائلتها. و تشرح هذا بأن العائلة تستثمر احد اعضاء الأسرة. فالمرأة اصبحت هي الأخرى تقوم بمهمة الذهاب من خلال الهجرة السرية، كاستثمار عائلي، لتلبية حاجيات الأسرة الباقية في البلد الأصل، و هذا لمساعدتهم في بناء منزل و تدريس باقي اطفال العائلة، او تسديد الدين، او المساهمة في انشاء مشروع تجاري (محل للبيع).

في السابق كان الذكر، يقوم بهذه المهمة المحددة من خلال انخراطه في التيار الهجري نحو فرنسا و هذا ما اشار اليه عبد المالك صياد[296] في العمر الأول من الهجرة الجزائرية التي عرفها المجتمع في فترة الإستعمار الفرنسي.

و يؤكد هوجو [297] أن قرارات الهجرة لا يتخذها الأفراد وحدهم و إنما هي كثيرا ما تمثل الإستراتيجيات الأسرية لزيادة الدخل و توفير فرص البقاء.

و تحصر الباحثة[298]، في المشروع الهجري الإقتصادي فئات خاصة و هي ربة العائلة و الأم العازبة أو بنت العائلة. فتعتبر هذه الهجرة للفاعلة كمهمة محددة وتهتم الأسرة (الأب، الأم، احد الاقارب...) في البلد الأصل بالأطفال.

إن هذا النوع من المشاريع " اقتصادي- العائلي" يخفي الى حد كبير الطابع الفردي للهجرة النسوية، فالفاعلة تأخذ شكل المضحية من اجل الآخرين، الأسرة و الأطفال ، الزوج، لإخراجهم من الوضعية الإقتصادية المتأزمة و الصعبة و حماية الأطفال ماديا و توفير لهم شروط حياة أفضل.

295 .Mendoza Myrian Carbajal, op cit, p 134.

296 .Sayad Abdelmalek, *La double absence, des illusions de l'emigre aux souffrances de l'immigre*, éditions du Seuil, 1999, p 66 .

[297] ستيفن كاسلز ، المجلة الدولية للعلوم الإجتماعية ، مرجع ذكر سابقا ، ص 35.

298 .Mendoza Myrian carbajal, op cit, p 135.

و يمكن أن تكون الزوجة مشاركة في ظاهرة الحرقة و مساندة لقرار مشروع الهجرة السري لزوجها و مرافقة له، فأصبح مشروع هجري عائلي محض، و هذا ما لاحظناه في حالة فطيمة التي رافقت زوجها في الحرقة ، من أجل تحسين الأوضاع الإقتصادية للعائلة ، فكان القرار مشترك و مدعم من طرف العائلة الكبيرة و الأقارب.

" رحت معا راجلي ، مكنتش باغيا نقعد و حدي ، حتى فاميلته وفاملتي قالوله تروح معاك باش تخدم و نديرو les papiers "

و حتى فتيحة البطالة، التي عند لقائنا بها، و سردها لسبب هجراتها، فكانت مستاءة عن وضعيتها قبل ذهابها ، فحاجتها للعمل من أجل مساعدة عائلتها بعد إنهاء دراستها و حصولها على شهادة الليسانس، لكن الواقع كان عكس ما كانت تطمح إليه.

" درت لي دموند، رحت كل المؤسسات، لقيت البيبان مبلعين في وجهي، يبغو رشو و عرف، و أنا مكانش عندي وا لو ، حتى تشغيل الشباب و ماحكمتليش "

و يرى برنار فورجي[299] ان هذا المشروع الهجري الإقتصادي يرتبط بالنظرية الجذب و الطرد و يعتبر الصعوبة الإقتصادية التي يواجهها الفرد او عائلته في حياته اليومية هو الطرد الذي يتعرض اليه الفرد في المجتمع.

في بعض الحالات الخوف من الوقوع في ازمة اقتصادية، بسبب ضعف اجرهم، ضعف القدرة الشرائية التي يعاني منها الفاعلات. فنحن نذهب الى ابعد من ذلك هو وجود الفرد في وضعية مهمشة لسنوات كالعمل في المجال الغير رسمي يؤدي الى التفكير في تحسين المستوى المعيشي بالربح السريع بسبب الفارق النقدي المتواجد في الدول الأوروبية.

299 .Forget Bernard, op cit, p 70.

حالة سامية المطرودة تعتبر أن مشروع الهجرة السرية ، دافعه الرئيسي هو إيجاد عمل لمسؤوليتها في سد حاجيات طفلها و ضمان مستقبله.

"رحت لسبانيا باش نخدم على ولدي ،خاطرش بعد ما طلقت حوست على خدما و ما لقيتش، كانت عليا صعيبة نمد يدي باش يعطوني دراهم لما و لخوتي ، بصح كي وصلت لسبانيا لقيت خدمة ، كونت خدامة في البيوت بنهار عند الجزايريات، و كنت نربح"

أما عن تصريحات الحرقات (حالات الدراسة)، عن الأزمة الإقتصادية التي يعيشون فيها و هو السبب الذي ادى بهن الى التفكير في الهجرة السرية. فنرى نحن أن الدافع من المشروع الهجري الإقتصادي الذي لا تصرح عنه الفاعلات، هو ضمان المستقبل المادي عند رجوعهن الى الوطن بامتلاك منزل و انشاء تجارة و هذا للإستفادة من هذه الوضعية المادية الميسورة و التي لا تستطيع تحقيقها اذا بقيت في البلد الأصل كل حياتها.

تشرح الباحثة [300] سبب ذهاب البنات، لأنه عندما لا يوجد أي أمل عندما لا تكونين غنية أو لا تعرفين أشخاص أغنياء أو أشخاص في الحكم ليس لديك أي فرصة. ونفس الشيء بالنسبة للمدرسة فمنذ مرحلة الثانوية تصبح الدراسة جد باهضة فلا أحد يستطيع دفع تكلفة أطفالهم سوى الأغنياء، و لهذا كلهم يبحثون للذهاب، ذكور و إناث.

كما تتوقع الأسرة أيضا الحصول على عوائد لإستثمارها في تعليم أفرادها و عادة ما يكون إعتمادها في هذا الشأن بترشيح الإبن الأكبر و تهيئته لمثل هذه الهجرة.

300 .Guillemaut Françoise, **Revue Contributions Société**, n=° 99, 2008/1, op cit , p 99.

اما عن العائلة المتبقية فتصبح المسيرة و المتكفلة بتحقيق مشاريع المهاجرة و ايضا تستفيد من تحسين وضعيتها المعيشية. و هذا ما سنتطرق له لأهمية المساعدات العائلية التي تقوم بها الفاعلة في الفصل السادس.

الباحث برنار فورجي [301] يعتبر هذا المشروع الإقتصادي بالبناء الرأسمالي في البلد الأصل من خلال شراء منزل أو قطعة ارض أو سيارة ، فيصبح المدعم للرابط العائلي بمساعدة الأعضاء الباقيين في حياتهم المعيشية.

رغم عدم تصريح الفاعلات الأخريات عن الدافع الإقتصادي لهجرتهن ، و عدم تأزم المستوى المعيشي و الوضعية المادية ، فهذا لا يمنع رغبتهن في الحصول على المال من خلال هجرتهن و توظيفه في بلدها الأصل ، بشرائهن منزل و بناء مشروع تجاري خاص بهن ، و أيضا مساعدة عائلتهن الباقية ، كحالة هوارية العانسة ، التي ترسل المال إلى عائلتها في البلد الأصل.

الباحث برنار فورجي[302] حسب تحليله، يعتبر المهاجر و المهاجرة السرية من خلال المشروع الإقتصادي عبارة عن فاعل اقتصادي يفكر بطريقة منطقية و الربح المادي الذي سيعود اليه« homo œconomicus[303] » . فهو لديه الإدراك التام لإحتمال الربح الذي سيمنحه اليه تواجده في بلد الإستقبال و لهذا يبقى لفترة أطول من المدة المحددة في بداية مشروع الهجرة السرية. و لهذا يؤكد الباحث أن المشروع الهجري الإقتصادي هو متواجد عند كل فاعل و فاعلة يرغبون في الهجرة السرية، و العامل الإقتصادي من خلال العمل و الربح المادي يوجه كل من سلوكات و حقيقة إستراتيجية المهاجر السري أكثر من المشاريع الأخرى.

301 .Forget Bernard, op cit, p 74.
302. Ibid, p76.
303.Homo oeconomicus : lequel on désigne un agent economique rationnel dans ses choix, recherche un maximum de satisfaction pour un minimum de depenses.

حسب دراستنا، ان المشروع الإقتصادي ليس هو العامل الرئيسي للهجرة النسوية السرية ، فحالات الدراسة لم تصرح بشكل مهم على هذا العامل و على مساعدة اسرتهن الباقية، و هذا لممارستهن العمل و أيضا في حالة عدم ممارسة مهنة فإن أسرتهن لا تحتاج الى مساعدتهن ، في حالة كل من وهيبة و هوارية و كاتيا وزهرة و فطيمة ، فالهجرة السرية تكون في هذه الحالة هي تحقيق أهداف خارج إطار الإقتصادي. أما حالة سميرة و فتيحة، هما تعبران على مكانة الفاعلة ربة الأسرة و مكانة البطالة المساعدة لأسرتها ، و التي تدفعها الى اتخاذ الهجرة السرية كمشروع إقتصادي محض. رغم أهمية المشروع الهجري الإقتصادي لا يمنع عوامل شخصية و التي تلعب دورا محفزا للهجرة السرية و التي يجب ان نأخذها بعين الإعتبار.

من خلال دراسة الباحثةMendoza Myrian Carbajal [304] ، ترفض هذه الصورة بتأكيدها على أن الحراقات رغم عرضهن للمشروع الإقتصادي- العائلي، تردن أيضا تحقيق اهداف شخصية كإكتشاف العالم، أو من أجل الدراسة أو إدخار المال لكي تصبح مستقلة ذاتيا في حالة رجوعها الى الوطن. و لهذا نرى أنه علينا معالجة مشاريع هجرية أخرى.

2 -مشروع الهجرة للهروب :

يرى الباحث برنار فورجي [305] في المشروع الهجري للهروب ، أن عامل الطرد الرئيسي يأخذ شكل الوضعية السوسيو السياسية **sociopolitique** و التي لاتقنع الفاعل الهارب. فأجواء البلد، الحكومة، الصراعات، الرشوة، كل هذا يمنح الرغبة لمغادرة هذا البلد من أجل عيش شيء آخر. فيعتبر أن بنية البلد نفسه و حكومته ومجتمعه هي التي تؤدي الى هذا المشروع الهجري السري. و يذهب إلى ابعد من هذا، ان المجتمع و مختلف بنياته هو الذي يعد عامل طرد، والعديد من الفاعلين يظهرون هذا الإستياء اتجاه قيم و معايير مجتمعهم، و لكن لا يهاجرون هؤلاء الفاعلين سوى بسبب هذا العامل، فهو يعد احد تلك العوامل الأخرى التي تؤدي الى بناء المشروع الهجري.

304. Mendoza Myrian Carbajal, op cit, p 136.
305 .Forget Bernard, op cit, p80.

و الباحثة[306] تشير ان هذا المشروع الهجري يغلب عليه الدافع الثقافي و النفسي، وهما أساسيان لاتخاد قرار الهجرة. فهذا المجتمع الذكوري و الأبوي الذي يحدد العلاقات الغير متكافئة في السلطة ما بين الرجل و المرأة، التي تراها بعض النساء غير مرغوب فيها، و هي وضعية لا تطاق. و حتى ان الباحثة تعرض حالة مهاجرة كان سبب هجرتها عنف زوجها.

ففي رأينا هو يجمع مابين مفاهيم مختلفة و التي تصرح بها الفاعلات مثل **"باغيا نعيش كيفهم " "نحوس على الهناء"** ، ترمز هذه المصطلحات الى البحث عن مجتمع اين تتوفر فيه شروط حياة مناسبة لهن و هذا ما يجدونه عندما يذهبون الى بلد الإستقبال، و اللواتي يعتبرن انه يوجد احترام للفرد خاصة مكانة المرأة، تقديم مساعدات مختلفة من مؤسسات و جمعيات و مستشفيات ، الملاجيء.

حالة وهيبة هي مثال مناسب لمشروع الهروب هربت من المجتمع الذي لا يعطيها مكانا بفعل خلعها و طلاقها و تعرضها للتحرش الجنسي رغم انها عانت من تركها لأطفالها و عملها و اسرتها فهذا لم يمنعها من القيام بالهجرة السرية.

الهروب من الصورة السلبية التي إلتصقت بالفاعلات، كوهيبة و أمينة، هوارية، كلهن يشتركن في حملهن عبئ المكانة و الآلام التي يتعرضن له في حياتهن اليومية، لقيمتهن الهابطة في المجتمع. فمكانة الاجتماعية للمرأة (المطلقة ، الأرملة، الأم العازب ، العاهرة) غير مقبولة في المجتمع.

فيصف Dolores juliano [307] وضعية هذه الفئة من النساء و التي تجعل المرأة ضحية بسبب القيم ذات الخاصية الأبوية و الذكورية patriarcal et machiste و هي كثيرة مثل: الأمهات العازبات، الثائرات على القيم و المعايير العائلية أو المحلية، المرأة المرفوضة أو المخدوعة، ضحية الإستغلال داخل العائلة.

306. Mendoza Myrian carbajal, op cit, p137.

307. Julian Dolores, « Les nouveaux modèles de la recherche et de la migration des femmes », **Journal d'Anthropologie Sociale**, Numéro spécial, 1999, p 32.

و تضيف الباحثة قيومو فرانسواز[308]، أن الذهاب بسبب الإحساس بالقطيعة الإجتماعية ينطبق على حالة المرأة التي ليس لها مشكل مادي كبير .

وهيبة : " نستحمل الجوع و الشوماج و ما نستحملش نعيش في البلاد كل واحد يعس لآخر و هدرة بزاف و العقليات فاسدة ما خلاو لا العازبة و لا المتزوجة و لا المطلقة "

فرغم الظروف الاقتصادية المزرية التي تعيشها وهيبة إلا أنها توجد أشياء كثيرة لا تجدها في الوطن، الصورة السلبية عن المرأة المطلقة و مراقبة تحركاتها دفعتها إلى الذهاب إلى بلد آخر.

" في اسبانيا ماعلابالهومش اذا كنت متزوجة أو مطلقة أو حتى عازبة وعندها أطفال هذا ما يهمش ، كاين قوانين تحميها ، ما شي الراجل هو يحكم "

لا يهم مكانة المرأة الإجتماعية ، المهم هو حصولها على حقوق من خلال القوانين الصارمة التي تحميها، في بلد الإستقبال.

الهجرة السرية النسوية تصبح استراتيجية تقاوم بها الفاعلة وضعية صعبة تجد نفسها مهمشة و التي تؤدي الى قطيعة بمحيطها ثم بمجتمعها و الإحساس بعدم القبول من خلال مكانتها و التي تختلف من حالة الى اخرى، و نستخلص ان المجتمع يعترف بالصورة التقليدية للمرأة و هي الزوجة لقيامها بالدور الإجتماعي الأساسي و هو الأم في تربيتها للاسرة و رغم تمدرسها و خروجها للعمل فيبقى انتقالها محصورا في حيز ضيق او بشرط تواجد المحرم (خلفية دينية).

308 .Guillemant Francoise, « Stratégie des femmes en migration », 2007, op cit, p 491.

و نشير أيضا إلى تجاوز المرأة للمعايير الجندرية ، كحملها خارج إطار الزواج الشرعي، يدفعها للهروب خوفا من تعرضها للعنف و إرغامها على التخلي عن طفلها و حتى رفضها من عائلتها ، فحالة أمينة أم العازبة ، تشكل مشروع الهجرة السرية بسبب وقوع حملها الغير شرعي، فالهروب من الفضيحة و العار والمشاكل الإجتماعية التي ستواجهها إن بقيت و المشاكل القانونية للإثبات نسب طفلها، كان الحل الوحيد أمام عدم إمتثالها للنظام الذكوري المفروض في المجتمع.

قيود الإمتثال للنظام الجندري تعتبرها المرأة كعراقيل لتواجدها الذاتي و تحقيقه réalisation de soi ، لكن الفاعلات لا تقبلن ان يكون هذا حاجز أمام مستقبلهن. و هذا يعتبر أحد العوامل المشجعة و الدافعة للذهاب[309].

فنستطيع ربط حالات الدراسة بالوضعية الإجتماعية التي تعيشها في بلدها الأصل و التي تعتبر كعامل طرد و الذي يدفع الفاعلة إلى إتخاذ قرار الهجرة السرية و بناء المشروع و يصبح هذا الهروب من مجتمع و بنياته و الضغط الذي تتعرض له الفاعلات و اللاتي لا يستطعن مواجهته بالبقاء فتتخذ قطع الرابطة الإجتماعية عن طريق الهجرة السرية كنوع من المقاومة.

فالمرأة[310] تحت تأثير الضغط الإجتماعي تحتاج الى قطيعة مع مجتمعها و البحث عن مجتمع آخر أين ترى أن المرأة لها مكانة إجتماعية مهمة و التي تستطيع ان تصبح مستقلة ذاتيا.

من خلال حالة هوارية ، يتشخص لنا الضغط الإجتماعي الذي تتعرض له المرأة في وسطها الإجتماعي، فالمنطقة التي تسكن بها هوارية ، الكل يعرفها لا تستطيع الدخول أو الخروج إلا و الأنظار تلاحقها و الموضوع المفضل لديهم هو الزواج.

" كل يوم يهدرو على فلان خطب فلانة وفلان عرسه سوق الجاي و فلانة مدابزة مع راجلها و فلانة طلقت من راجلها و يتكملوا عليا متزوجتش شراني نقارع فاتني الحال كبرت بلا زواج "

309 .Ibid, p491.

310 .Mendoza Myrian Carbajal, op cit, p 138.

مشروع الهروب يأخذ شكل آخر من خلال حالة أمال ، التي كانت هجرتها السرية بعد إصدار حكم في حقها ، كزوجة ناشزة ، أي رفضها الرجوع إلى زوجها. وصرحت أن بفعل نفوذ زوجها و إستخدامه للحيل القانونية و عجزها إثبات تعرضها للعنف من قبله ، أدى إلى عكس وضعيتها من ضحية إلى متهمة ، لهذا إضطرت إلى إتخاذ قرار الهجرة السرية ، كحل وحيد للهروب من مكانة الزوجة الناشزة و أيضا من الحكم القانوني ضدها.

" كي ربح راجلي في المحكمة ، كنت حابة نهبل ، ما قدرتش نرجع لعندوا ، بعدما كان يضربني و يسبني ، و هذا لخلاني نمشي ، و خفت يزيد يحقد عليا و يعملي مشاكل ، و كامل الناس يقوللهم راني حاب زوجتي و ما حابش نطلقها ، و الناس وقفت معاه و جات ضدي رجعني زوجة عاصية"

لا تختلف زهرة عن حالات الدراسة المذكورة سالفا، فقررت الذهاب مع صديقها بعد حدوث حمل مفاجئ، و أمام صعوبة إرتباطها به في هذه الظروف ، حيث معارضة و رفض الوسط الإجتماعي لهذا النوع من العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج أدى إلى الإقبال على الحرقة ، فهي هروب من مجتمع اللذان يرفضان الإمتثال لتقاليده و أعرافه و الذهاب إلى مجتمع يقبل بهذه العلاقة.

" حتى واحد ما غادي يفهمنا بلي نحبه و يحبني ، حاجة اللولا غادي يقولوها بلي درنا الحرام ، عايلتي و عايلته ما يقبلونيش و أنا بكرش ، فنحرقوا لسبانيا باش نتزوجوا و نولد ولدي و نعيش هانيا بعيد على المشاكل "

يجد الباحث[311] أن مشروع الهروب، يتصف فيه الفاعل بالأنانية و هذا بتحسين وضعيته و وضعية عائلته النووية فقط و الهدف الرئيسي ليس النقود و المال، بل البحث عن الهدوء و منح لعائلته حياة هنيئة بدون رشوة و المافيا و منح لأطفاله مستوى تعليمي لائق. و في هذا المشروع لا تحدد فيه مدة الهجرة، و قرار العودة غائب تماما، و لا يظهر فيه الرابط العائلي أو فكرة المساعدة المادية و جمع الراسمال المادي كما هو ظاهر في المشروع الإقتصادي.

3 – مشروع الهجرة التحرري الإرتقائي:

المشروع التحرري الإرتقائي يأخذ معنى ان الفرد يرغب في مغادرة بلده الأصل قبل كل شيء ، من اجل ذاته فقط ، بعيدا عن مهمة مساعدة او حماية العائلة . لكن يذهب من أجل نفسه ، كتقديم إمكانيات جديدة للعيش و سمي بهذه التسمية لأنه يمس الأسباب الشخصية للفاعل و التي تهدف الى تحرر الفرد. و السبب يختلف من شخص الى آخر و حتى أن مفهوم التحرر يأخذ عدة معاني حسب الفاعل.

يضيف الباحث برنار فورجي[312]، ان مثل هذا المشروع التحرري، يجمع ما بين الفاعلين الذين يبنون مشروعهم تدريجيا و بطريقة مختلفة (عن المشاريع السابقة) و هي ترتبط اكثر بشخصية الفاعل و اهدافه المسطرة. و نتيجة هذا المشروع التحرري الذي هو في الواقع البحث عن تغيير اسلوب حياة، الرغبة في اكتشاف العالم و ايضا ايجاد شريك الحياة. و هذا يتأكد من ان الفاعلين يصرون على تواجدهم في بلد الإستقبال و ما سيضيف هذا الأخير من سعادة و على المستوى الشخصي.

311 .Forget Bernard, op cit, p79.
312. Ibid, p89.

الباحث A-M van broeck [313] عندما يتحدث عن الأسباب الشخصية للهجرة، يقول : " ان هذا المشروع يتغذى بالقيم القوية انسانيا، مثل الحب ، الذوق في اكتشاف الآخر، التلاقي مع الذات". فالمشروع التحرري هو أكثر تركيزا على الفرد و الراحة الذاتية و الطموح الذي يدفع المهاجرين لمغادرة بلدهم ، يتعلق به مباشرة قبل كل شيء، و لا يتعلق بعائلته.

أن تغيير حياة، أو بالأحرى أسلوب الحياة من خلال عمل جديد أو تكوين مهني مغاير تماما، من الصعب تحقيق هذا في نفس المكان و المجتمع. الهجرة السرية تساعد بشكل مباشر على تحقيق ذلك بإرغام الفرد بتغيير المكان أولا ثم البحث عن عمل في مجال جديد و التعرف على أشخاص جدد و ثقافة جديدة أيضا. و هذا النوع من المشروع الهجري يمس الجانب النفسي للفرد ، الراحة النفسية، توازن عاطفي ، في ربط علاقة إجتماعية و عاطفية، إكتشاف ثقافة راقية.

حالة كاتيا التي تريد الذهاب من أجل حياة جديدة، مغايرة عن التي تعيشها في مكان جديد و التعرف على مجتمع جديد مختلف عن مجتمعها، فاعتبرنا ان سلوكها كمريولة لا يضعها في خطر التهميش بعدم تقبل ثقافة المجتمع لهذا النوع من الأفراد بالعكس بل حتى لم يحرمها من فرصة الزواج (بالفاتحة).

حالة هوارية العانسة ، الذهاب من أجل اختيار الزوج المناسب لها، بدون قيود ، وإن لم تستطع الزواج فهي تريد العيش بهذه الطريقة ، لها الحق في إختيار مسار حياتها.

" بغيت نروح و نبني حياتي كيما نبغي و نخير الراجل لي نبغي ، لي يعجبني ما شي ليعجب والديا ولا الناس و سيفوا عليا واحد مطلق و لا مرته ميتة ، علا خاطرش راني كبيرة و برت ، راهم يشوفوني هاك"

313. Van Broeck A-M., « Les immigrés latino-américains sans documents », in Les immigrés de l'ombre. Latinos-Américains, Polonais et Nigérians clandestins, sous la direction de Johan Leman,, Bruxelles, De Boeck-Université, 1995, p 40.

و حتى زهرة الطالبة، رغبتها في العيش مع زوجها (الصديق الحميم)، بدون رسميات، بالفاتحة فقط هذا يكفي بالنسبة لها.

فالهجرة السرية تمنح للمرأة العازبة فرصة الإبتعاد و التحرر من المحيط الإجتماعي و القدرة على اتخاذ القرارات الشخصية في حياتها و الإستقلالية الذاتية.

4- مشروع الهجرة لأجل الدراسة:

ترجع الباحثة Mendoza Myrian Carbajal[314] ذهاب الفاعلة من خلال مشروع الدراسة، أنها تتواجد في ظروف لا تسمح لها بالتقدم في دراستها ببلد الأصل. لكن بسبب مشاكل عائلية (طلاق، انفصال، أزمة اقتصادية) ، الأولياء لا يستطيعون التكفل بالجانب المادي لدراسة أولادهم. فالحاجة إلى الهجرة من أجل منحها الفرصة للدراسة. لأن الدراسة في هذه المجتمعات (اللاتينو أمريكية) هي وسيلة للحراك الإجتماعي و هي قيمة مهمة أيضا ، التي تمنح للفرد كما اشار اليه بورديو الراسمال الثقافي و هو الحصول على شهادة عليا، و التي من خلالها يتم التحاقه بمنصب عمل عالي و الحصول على الرقي الإقتصادي و الإجتماعي.

من خلال حالات الدراسة ، نجد أن فتيحة فقط ، كان أحد دوافع هجرتها السرية مواصلة دراستها في بلد الإستقبال ، لكن بعد الوصول إلى فرنسا و بداية تحقيق هدفها إصطدمت بالواقع ، و هو صعوبة إجراءات التسجيل في الجامعة و أيضا التكاليف المادية الباهضة و التي تعجز على تسديدها.

" كي بغيت نكمل قرايتي في فرنسا ، لقيت كل شيء صعيب و خصني دراهم كبار ، حتى ختي ماقدرتش تعاوني "

314. Mendoza Myrian carbajal, op cit, p140.

IV - تداخل مشاريع الهجرة:

ثراء التنوع في المشروع الهجري بالنسبة للفاعلات و الذي يوحي بانفراد حالات الدراسة، فلانجد تشابه في اي حالة من الحالات لكن في المقابل نجد انهن يتفقن في تداخل المشروع الهجري الإقتصادي مع مشروع الهروب او الهروب مع التحرري أو حتى انه نجد في حالة وهيبة تواجد المشاريع الثلاث.

إن الذهاب من خلال المشروع التحرري أو مشروع الهروب، لهما نفس المفهوم وهو الذهاب بسبب الوضعية التي تتواجد فيها الفاعلة، و الظروف المفاجئة التي تحول مكانتها إلى رفض الآخرين لها ، إلى قطيعة عائلية ، إلى تهميش، إلى عنف رمزي، إلى الخوف من المستقبل، فمن خلال المشروع الهجري تخلق مقاومة حقيقية ، بإنتقالها بشكل سري و بإمكانياتها الخاصة (الجسدية ، المادية ، المعنوية) مبرهنة على قدرتها لمواجهة المجتمع و الظروف و تحطيم تلك القيود، و إنتمائها إلى مجتمع آخر.

الباحثة كلير إسكوفيي[315] تشير أن الأسباب التي تدفع الفاعلين إلى مغادرة بلدهم هي ليست أسباب أحادية، و بسيطة، بل هي معقدة و متعددة و متداخلة فيما بينها. وقرار الذهاب و الهجرةالسرية و هو نتيجة بناء مشروع فردي لكن هو أيضا مؤسسة إجتماعية و تترجم من الناحية الثقافية.

التصريحات مختلفة، الآمال ، الأحلام، و الرغبات تتداخل فيما بينها، الرغبة في الأمن، الحاجة إلى العمل، الرغبة في الدراسة ، الأمل في تحقيق الذات والإستقلالية في الحراك و إتخاذ القرار لإختيار زوجة المستقبل. و تستنتج الباحثة أن كل المبحوثين يشتركون في نفس التصريح و الفكرة " أريد الذهاب من أجل البحث عن الحياة ".

315 .Escoffier Claire, op cit , p107-109.

الباحثة بولين كرنييه[316] ترى أنه من خلال هذا الشعار المتداول من طرف الفاعلين يتضح عنصر مهم و هو الرغبة في التواجد كعنصر في المجتمع ، فرض تواجده في الوسط العائلي و الإجتماعي كفرد يريد إثبات حقه في الحياة ، في الحراك ، في رفضه للقوانين الإجتماعية ، و حقه لتغيير تواجده في المجتمع ، و الأرض، في تحقيق ذاته من خلال تحقيق احلامه.

فتؤكد الباحثة بولين كرنييه[317] ان الهجرة و الرغبة في الذهاب هي تحت تأثير تجربة الفاعل للظلم و الحقرة ، التهميش، أكثر من المطالبة بحرية الحراك، كحق انساني. و تستخلص بولين كرنييه في الأخير اننا لا نستطيع عزل الدوافع الواحدة عن الأخرى، و حصرها في دافع رئيسي، كجانب إقتصادي فقط، أو اجتماعي، او ثقافي أو سياسي.

و هذا ما لاحظناه، في مختلف الدراسات، ان الدوافع تتداخل فيما بينها و متشابكة ولا نستطيع عزلها في تحليل و فهم ظاهرة الهجرة السرية، و استراتيجية الفاعلين، فرغم اختلاف حالات الدراسة، و تصنيفات الفاعلات، فكلها تشترك في نقطة ان دوافعها متعددة و لا نستطيع تحديدها في عامل واحد و وحيد.

الباحثة بولين كرنييه[318] تتخذ تشكيل ثلاث حالات للدوافع الهجرة السرية و نحن نرى انها عبارة عن مشاريع هجرية ذات دوافع مختلفة :

316 .Carnet Pauline, « Passer et quitter la frontiere les migrants africains clandestins à la frontiere sud espagnole », **Thése de Doctorat**, D'Anthropologie Sociale, l'Université de Toulouse Le Mirail, Septembre 2011, p166.
317. Ibid, p 167.
318.Ibid, p 167.

الحالة الأولى:

- غياب سياسة واضحة للدولة، بالنسبة للشباب و الفئات الإجتماعية المهمشة.
- اللاعدالة في المجتمع (العجز المادي امام الحصول على ارتقاء اجتماعي وإنتشار الرشوة كسلوك مقبول)
- دافع الهروب من البلد بسبب عجز الفاعل من تحقيق مستقبله و احلامه.

الحالة الثانية:

- خوض تجربة الحقرة للفاعل
- المطالبة بحرية التنقل و الحراك الدولي.

الحالة الثالثة:

- البحث عن حياة افضل
- تداخل دوافع مختلفة ، و هنا تشير الباحثة الى الجانب العائلي و الجانب الفرداني و اشتراكهما في تحفيز الفاعلة على الهجرة السرية.

و أراد الباحث براشات جوليان [319]، من خلال دراسته للهجرة الإفريقية ، أن يوضح المشروع الهجري في شكل بيان (أنظر بيان رقم 06) ، فجمع ما بين أربع مجالات التي يرى أنها مهمة في بناء المشروع الهجري و التي تتمثل في :

319.Brachet Julien, *Migrations transsahariennes vers un désert cosmopolite et morcelé* (Niger), Terra Edition, 2009, p 62.

- الوضعية (الإقتصادية، السياسية، الإجتماعية، الثقافية ، الديموغرافية ، الإيكولوجية)
- العائلة و الأصدقاء و العلاقات
- الإعلام
- الفرد (حياته و تأملاته)

و يشير إلى أن هذا المشروع الهجري ينتقل بمراحل متعددة و حسب المعلومات المتواجدة و الفرص المتاحة و تخطي العراقيل و لهذا قد يتحول المشروع الأول إلى مشاريع فرعية و إلى أهداف مغاير تماما عن التي تم بنائها في البداية ، و يؤكد أن المشروع الهجري هو نظام يتحقق ، ما بين الأهداف المرجوة و إعادة تشكيله في ظروف متجددة بإستمرار.

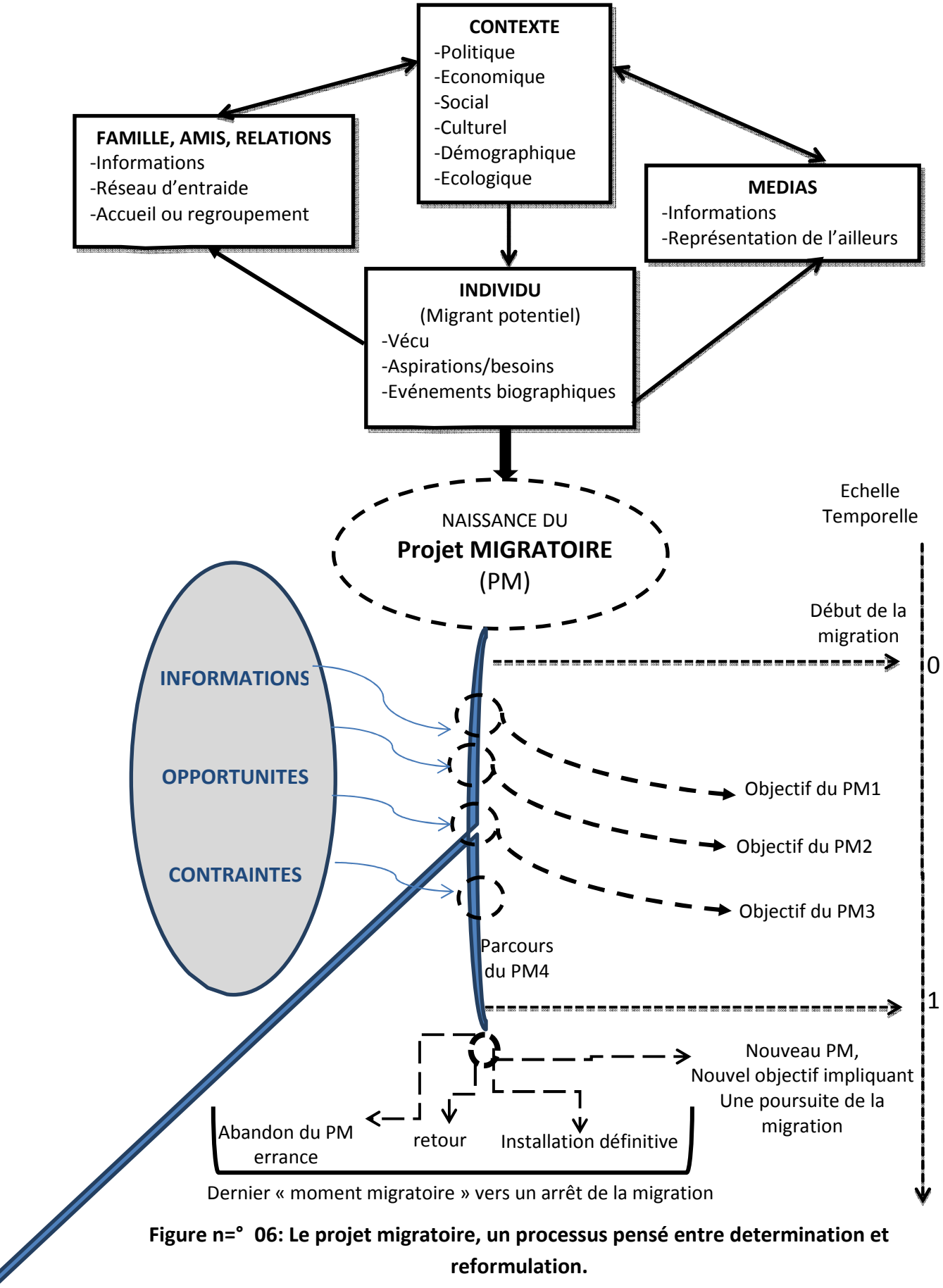

Figure n=° 06: Le projet migratoire, un processus pensé entre determination et reformulation.

• خـلاصــة

من آثار تطور ظاهرة الهجرة السرية في المجتمع الجزائري مساهمة العنصر النسوي لتحقيق رغبة الفتات في إثبات وجودها و التخلص من الضغوط المسلطة عليها من المجتمع الذي يسيطر عليه الرجـل فترى المـرأة أن الوسيلة للتـخلص من الإضطـهاد لا تكون إلا بالهجرة السرية و إعتبارهن أنها الوسيلة الوحيدة للخلاص من المعاناة.

و تشرح عراب شادية[320]، من خلال دراستها للهجرة النسوية المغربية ، أنهن يذهبن من أجل العمل و من أجل اللحاق بأزواجهن و أيضا من أجل الدراسة وتضيف من أجل المقاومة و هي تؤكد أن ذهابهن هو من أجل المقاومة و هو فكرة المرأة المصارعة ، و تعتبر إن دوافع المهاجرة الشابة قد تغيرت بشكل قوي ، بإخراطها في التيار الهجري السري.

[320]. Arab Chadia, op cit, p 183.

الـفـصـل الخـامـس

إستراتيجية الحراقات
و مخاطر الهجرة السرية

- **تـمـهيد**

إخترنا شكل الهجرة السرية النسوية بأليكانت نظرا إلى أن هذا الإختيار يتناسب ما بحوزتنا من معلومات و إمكانياتنا من تواجدنا في ميدان الدراسة.

و لفهمنا الظاهرة عن كثب كان من الضروري إضافة مجموعة أخرى من المقبلات على الهجرة السرية من مناطق مختلفة لبلد الإنطلاق ، و إجراء مقابلات مع الأشخاص الذين لديهم إتصال مباشر بالحراقة و من المسئولين في الشرطة.

و أردت أن أضع نموذجا عاما لإستراتيجية الحراقات بين الخطوات اللاتي عليهن أن تخطوها لتحقيق هدفهن و هو الوصول إلى البلد الآخر.

I- إستراتيجية الحراقات :

ترى عراب شادية[321] من خلال دراستها عن الحراك الهجري ، أنه في الوقت الذي تطورت فيه ظاهرة الحرقة بالنسبة للرجال نحو إسبانيا ، بدأت النسوة الأقلية منهن تتخذن طرقا و شبكات الهجرة الغير شرعية ، فوجدت المرأة المغربية ، التي كثيرا ما كانت تعتبر كفاعلة سلبية و جامدة و التي تتعرض فيه أكثر ما هي تقوم به كفاعلة في تاريخ الهجرة. أما الآن فإن هذه الوضعية قد تغيرت ، فهي ليست مختبئة و منسية ، بل هي فاعلة و مسيرة لهجرتها ، فهي التي تأخذ قرار ذهابها. فهي تتبع نفس إستراتيجيات الهجرة الرجالية ، هي تذهب بفضل عقود عمل مزورة ، شراء تأشيرة السفر فيزا ، خوض مغامرة الحريق (يعني حارق الحدود في القوارب) ، و تعتبره الباحثة أنه في حد ذاته ظاهرة جديدة على المجتمع.

إن خوض الحراقات للهجرة السرية ، يدفعهن إلى إجتياز نفس مراحل بناء مشروع الحرقة ، تماما مثل الذكر. فبعد إتخاذ قرار الذهاب ، يجب العمل على تحقيقه في الواقع ، فأول مرحلة هي الإتصال بالعميل لشبكة الممررين المتواجدين بمنطقة الإنطلاق ، أو الإنضمام إلى جماعة شباب يريدون الحرقة ، أو خوض الفاعلة المغامرة لوحدها عبر مراحل حتى الوصول إلى أوروبا.

ما لاحظناه من خلال القراءات و الروبورتاجات و الدراسات ، أن ظاهرة الحرقة من المنطقة الغربية بالنسبة للهجرة السرية الإفريقية ، هي أقل صعوبة في تحقيقها بفعل المسافة التي تبعد ما بين كل من الجهة الغربية للجزائر و السواحل الإسبانية (أنظر الخريطة رقم 01 ، ص 228) ، و أيضا تكلفة السفر أقل بكثير حتى أن شبكات الممررين ليست بالشكل الدولي ، و التي تتاجر بالبشر أو المنخرطة في العمل الجنسي ، و الوسائل جد متطورة .

321 .Arab Chadia, *Les Aït Ayad : la circulation migratoire des Marocains entre la France, l'Espagne et l'Italie*, Rennes, Presses Universitaires de Rennes, 2009, p 198.

1- المرحلة الأولى : جمع المعلومات

جمع المعلومات من خلال الوسطاء و العميل كفاعلين مهمين في عملية الحرقة ، لإتسامها بالسرية التامة ، و لصعوبة إتصال الأنثى بشبكة الممررين مباشرة ، فهي تستعمل الذكر كهمزة وصل ما بينها و بين عالم الهجرة السرية ، و أيضا لإحتكار الذكر لهذا النوع من الظواهر.

في هذا النظام الهجري[322]، يجب إيجاد الإتصال الجيد للأشخاص المناسبين ، فالنساء يستخدمن شبكات التعارف في بلدهن الأصل. و في بعض الحالات يكون أحد أعضاء العائلة، هو الذي يتدخل و يساهم في إعداد مشروع الذهاب ، والبعض الآخر من النسوة يستعد الذهاب بدون إخبار العائلة فهي تذهب في السر .

فكل حراقة بطريقتها حاولت معرفة مدى قابلية تحقيق مشروع ذهابها و استغلال جميع الفرص المتاحة لها في محيطها ، أو الإستعانة بأفراد آخرين لمساعدتها.

فكل من وهيبة و أمال و هوارية ، أمينة كان جمع المعلومات يعتمد على مصادر مختلفة، كالأصدقاء و العلاقات الإجتماعية المختلفة أدت إلى بناء المشروع ومعرفة كل تفاصيله، و الأهم هو الإتصال بشبكة الممررين، للقيام بالحرقة والوصول إلى بلد الإستقبال.

أما عن سامية و فطيمة و سميرة، فكان الزوج و الأخ هو الذي يتكفل بكل شيء وكانت فتيحة محضوضة لمشاركة العائلة في بناء هذا المشروع و تكفل بالمراحل لمرافقتها لأولاد الحومة.

و على أساس جمع المعلومات يتم إختيار مسار العبور الذي تتخذه المقبلة على الهجرة السرية .

322 .Guillemaut Françoise, « Sexe, *juju* et migrations. Regard anthropologique sur les processus migratoires de femmes africaines en France », **Recherches Sociologiques et Anthropologiques**, n°= 39-1, 2008, p 12.

أما الشكل الثالث[323] من النظام الهجري فهو وصول المرأة عبر المسار البري ، بفضل إمكانياتهن الخاصة ، بدون اللجوء إلى أي شبكة ، فهي تفعل مثل الآلاف من المهاجرين و المهاجرات الأفارقة الصحراويين. فهي تعتمد على قدراتها الذاتية والفرص المتاحة لها في طريقها إلى أوروبا ، مضحيات بحياتهن.

في هذا النموذج الثالث للهجرة ، المرأة تتعرض لخطر العنف الجنسي و غالبا ما تشتري عبورها بالنقود متقدمة بهذه الطريقة للوصول إلى أوروبا.

سواءا تتفق مع رجل، من أجل أن يصبح الزوج المزعوم و هذا لحمايتها (فهي تعتبر ملكا لرجل) ، سواءا تتفاوض مع الشرطة و الجمارك لعبورها مقابل علاقة جنسية أو هي مغتصبة من طرفهم.

في العموم ، تحاول الفاعلة جمع المال في مسارها و يحاول أحد أعضاء الأسرة المتواجد في أوروبا ، إرسال النقود لمساعدتها في إكمال مسارها و الوصول إلى المكان المحدد.

من خلال تصريحات المبحوثات و المرشدين، أن جمع المعلومات المتعلقة بمختلف الإجراءات القانونية و الإدارية، التي يتلقاها الحراق و الحراقة من خلال وضعيتهم الغير الشرعية في بلد الإستقبال، و أيضا هذه المعلومات تنتقل بشكل سريع بفضل الجالية الجزائرية و الإتصالات المستمرة بالهاتف و الأنترنيت. والتسهيلات التي تقدم لوضعيات مختلفة، مثل بالنسبة للمهاجرين الغير شرعيين القصر و الأمهات والنساء الحاملات، و التكفل بالحالات الخاصة كالمرض، وتواجد الجمعيات المختلفة لتلقي المساعدات.

و حتى أن لديهم دراية بكيفية الحصول على عقود عمل و وثائق الإقامة ببلد الإستقبال.

323. Ibid, p 13.

2- المرحلة الثانية : الإتصال بشبكة الممررين أو جماعة الحراقة

فعلى غرار ما أوضحته قيومو فرانسواز[324] ، بتواجد المسارات الهجرية التي تبنيها و تسيرها النساء ، و مهمة الرجال تتمثل في القيام بدور المساعد في الخدمات التالية ، الحصول على الفيزا ، جواز السفر ، شهادة النقل...، النظام الهجري يتوقف على جماعة النساء ، المحدودة العدد و المتواجدة في المدن الأوروبية.

يعمل هذا النظام الهجري بالشكل التالي : إذا أرادت إمرأة الذهاب إلى فرنسا فعليها الإستعانة بأحد أفراد هذه الجماعة النسوية المتواجدة من قبل (بلد المهجر) ، فهذه الأخيرة تساعدها في توظيف شروط الجهاز الهجري المتواجد (السفر ، الوثائق ، الفيزا...) و الذي يتكفل بالجانب المادي. المهاجرة الجديدة تتعاقد معها على القرض الذي يتم تسديده من خلال فترة اقامتها و التي تقدر مدتها بين سنتين إلى خمس سنوات.

فحسب حالات الدراسة ، كان الإتصال بشبكة الممررين يتم من خلال العميل ، وهذا العميل في بعض الحالات يصبح المرافق في عملية الحرقة ، لتضمن مشاركتها في العبور السري. قد يتمثل في الزوج و الأخ ، كما تبين في كل من حالة فاطيمة و حالة سامية.

إلا في حالة وهيبة التي أرادت أن تكون هي الفاعلة و المسيرة الوحيدة في مشروعها الهجري.

3-المرحلة الثالثة : جمع المال

إن جمع المال لم يكن إشكالا ، بالنسبة للفاعلات اللاتي كن يفكرن في الحرقة منذ مدة طويلة ، و كن يعملن على إدخاره من أجر عملهن الرسمي أو الغير رسمي ، أما الأخريات فكان المصدر الأساسي هو المجوهرات التي تمتلكها الفاعلة.

324. Ibid, p 14 .

أما عن حالة سامية المطرودة فالحرقة كانت مجانية ، لحسن حظها فالعلاقة التي تربطها بالممرر ، أخ لها ، قد سمحت لها بالذهاب بدون مقابل مالي.

فالمبلغ المقدر لعملية الحرقة يختلف حسب الطريق المتبع (برا ، بحرا ، جوا) وعدد مشاركة الفاعلين بها ، و حتى أنه يرتفع هذا المبلغ حسب صعوبة المسار ومدته. حاولنا حصر المبلغ المصرح به من قبل الفاعلات في الجدول التالي:

جدول رقم 33: يمثل تكلفة الحرقة عند الإناث

الرقم	حالة الدراسة	الإقامة الأصلية	تكلفة الحرقة
01	وهيبة	البليدة	1.000.000 دج
02	هوارية	تارقة عين تموشنت	800.000 دج
03	أمال	العاصمة	100.000 دج
04	أمينة	وهران	60.000 دج
05	سميرة	عين تموشنت	70.000 دج
06	كاتيا	عين الترك وهران	80.000 دج
07	سامية	عين تموشنت	/
08	فتيحة	وهران	70.000 دج
09	فطيمة	مغنية تلمسان	40.000 دج
10	زهرة	غزوات	60.000 دج

الباحثة قيومو فرانسواز[325] تشخص ثلاث بنيات لنظام الهجري الحالي نحو أوروبا ، الأول و الثاني يقدر مبلغ أو تكاليف العبور في سنة 2007 بـ 50.000 أورو ، ويتم غالبا بوسيلة الطائرة. ترى أن تعدد المسارات يكون حسب صعوبة تجاوز مراقبة كل من بلد الأصل و بلد المهجر.

حسب تصريحات المبحوثات ، أنها لم تتلق مساعدة مالية من العائلة و هذا لرفضهم خوض الفاعلة للهجرة السرية و كتمانها في القيام بالمشروع ، إلا في حالة مرافقتها لزوجها فهنا يختلف الأمر ، فالذكر يعطي شرعية مرافقة الأنثى إجتماعيا كزوجة مطيعة و من خلال هذه الصورة يتلقى كل من الحراق و الحراقة دعم العائلة.

و يلتجئ البعض الآخر من الحراقات إلى الإقتراض من الأصدقاء أو الأقارب ، لتسديد تكاليف عملية الحرقة ، و عند الوصول و إيجاد العمل يتم تسديد ذلك المبلغ.

فتيحة : " قولت لختي تسلفني دراهم ، باش نروح عندها ، رساتلي باش خلصت الحراقة ولاد الحومة ، باش يشرو المتاريال ، بصح كي وصلت عندها، قعت في دار نربيلها في ولادها ، باش نرد لها خيرها"

في بعض النظم الهجرية[326] في الدول الإفريقية ، تتكفل شبكة الهجرة السرية ، بكل المصاريف. فعلى المرأة أن تستعين بالممررين المتواجدين في شوارع البلد الأصل. فالممرر هو غالبا ما يكون رجلا ، يقدم جزء أو كل مصاريف السفر ويضمن الوصول إلى المكان المطلوب (البلد الأوروبي) ، مقابل أن تتعهد المهاجرة بتسديد هذا المبلغ فور وصولها إلى أوروبا.

في أغلبية الحالات يتم التفاوض على المبلغ المتفق عليه في بلد الأصل بعد وصولها إلى أوروبا و هذا لصعوبة و عجز تسديد المبلغ في مجمله. و يتم الإتفاق على كيفية التسديد فيستعين الممرر بوسيطة (هي مهاجرة سابقة قد ذهبت بنفس الطريقة) و التي يقدم لها أقساط المبلغ المسدد كل فترة أو كل شهر.

325. Ibid, p16 .
326. Ibid, p16.

4- المرحلة الرابعة : إختيار الطريق الهجري السري المناسب

أ- المسار البحري :

إستعانة حالات الدراسة بالممررين المحترفين ، حيث إستفادت من خبرتهم مقابل المبلغ مالي المتفق عليه لإيصالها إلى الضفة الأوروبية. الحراقات اللواتي يقطن في المناطق المتواجد فيها شبكة الممررين أو قريبة من منطقة الإنطلاق فتستفيد من هذه الفرصة لإستخدامها في الحرقة متبعة المسار البحري عن طريق القوارب ، فكل من ولاية تموشنت و و هران و تلمسان تعتبر مناطق لطرق الهجرة السرية في الجزائر ، فصرحت سامية أنها إنطلقت من شاطئ مولوس بضواحي ولهاصة و أيضا هوارية إنطلقت من شاطئ تارقة و حتى فتيحة كان إنطلاقها من شاطئ كاب الأبيض من منطقة عين الترك ، فكل واحدة من الحراقات كانت منطقة إقامتها مساعد على قرب منطقة الإنطلاق متجهين إلى ألميريا أو أليكانت و هي مبينة في الخريطة رقم 01.

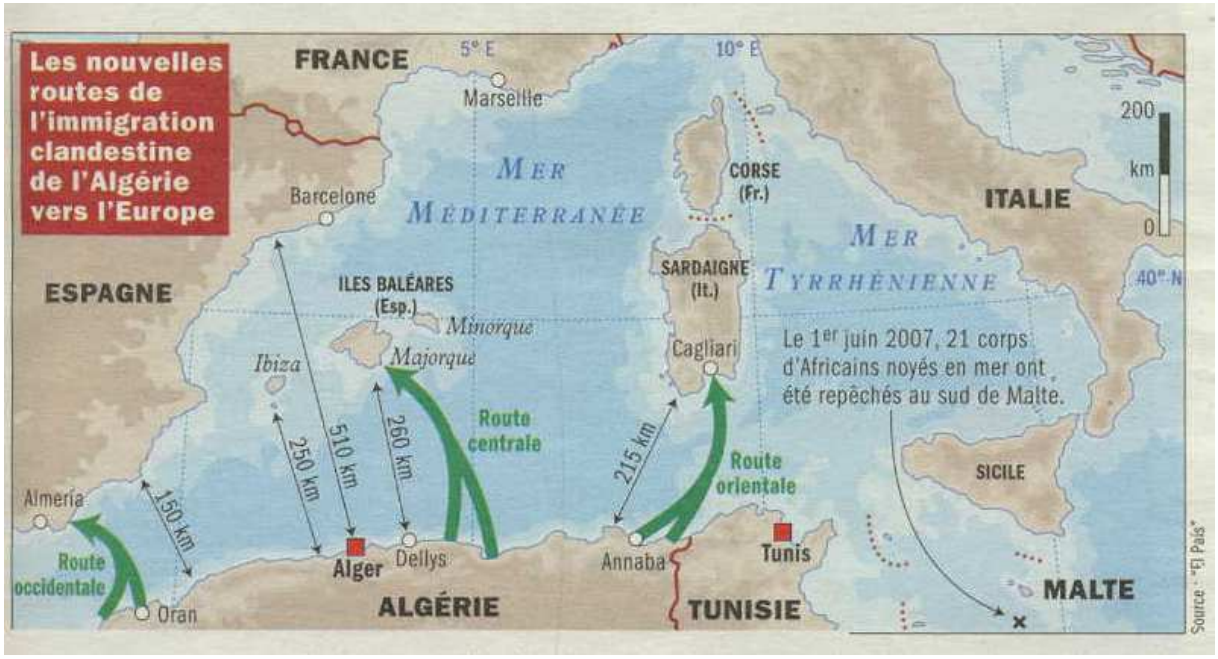

خريطة رقم 01 : تبين المسار الهجري السري البحري من الجزائر نحو أوروبا

ب- المسار البري :

أما الفئة الثانية التي إختارت مسار العبور البري من الجهة الغربية نحو المغرب ثم إسبانيا مرورا من مليليا و سبتا و مراكز اللجوء.

إختارت وهيبة خوض مغامرة الحرقة لوحدها و استخدام استراتيجيات متعددة حسب مراحل الحرقة. فكان المسار البري في التجربة الأولى لهجرتها السرية متجهة نحو تونس ثم إلى إيطاليا ، و بائت بالفشل لوقوعها في شبكة التجارة بالنساء، و هروبها منهم .

أما المرحلة الثانية فهي إختارت المسار البري متجهة نحو إسبانيا عبورا بالمغرب.

اما حالة فاطيمة فهي لم تختر هذا المسار بل كان مفروضا عليها ، بسبب مرافقة زوجها و تكفله بالمشروع الهجري لوحده .

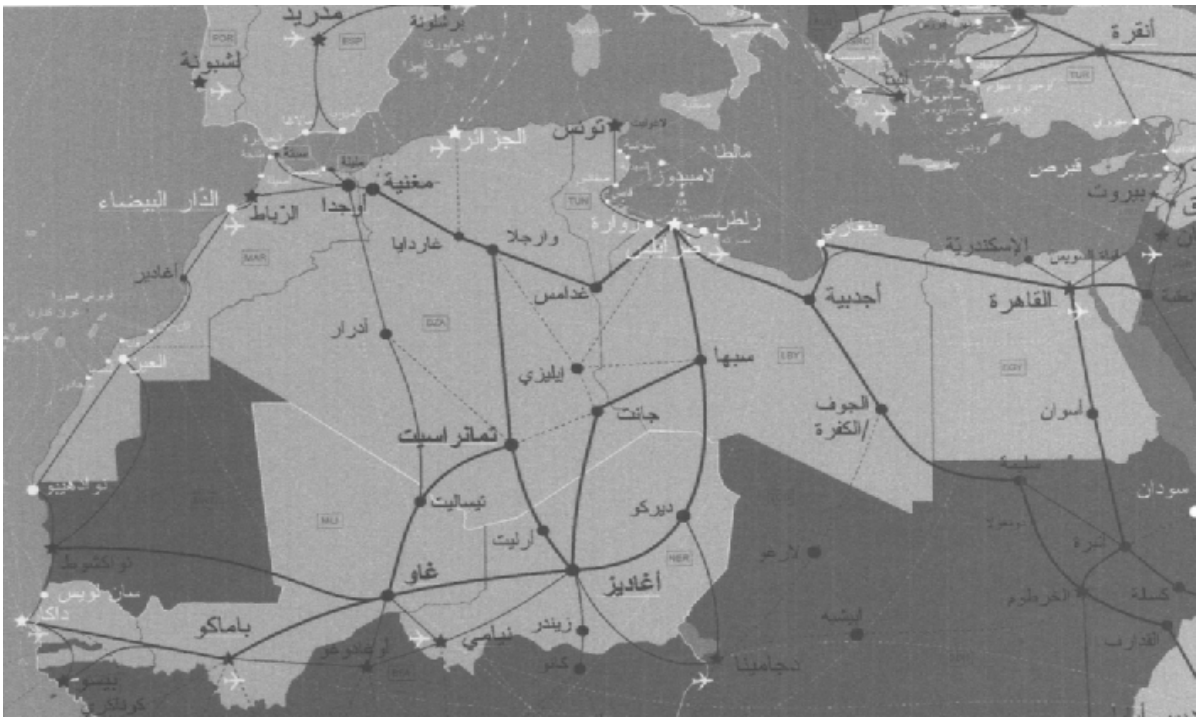

المصدر :الخريطة التفاعلية عن طرق الهجرة المختلطة و غير النظامية لشرق و وسط و غرب المتوسط 2012

خريطة رقم 02 : تبين المسار الهجري السري البري من الجزائر عبورا من المغرب نحو إسبانيا.

تحاول الباحثة بولين كرنيي[327] حصر مختلف الطرق الممكنة من أجل وصول المغاربة (الجزائريين و المغاربيين) إلى الضفة الأخرى ، خاصة الدولة الإسبانية فهي الأقرب من الجهة الغربية. هي تضيف المسارات المذكورة سالفا بإضافتها للمسار الجوي و الذي يتم عن طريق شراء تأشيرة السفر ، علاوة على تعدد دول النزول و هذا ما يترتب عليه مبالغ مالية جد مرتفعة فهي تقدر بـ 7 آلاف أورو للمغربي (أنظر الملاحق ص 402).

قد حاولنا جمع تصريحات حالات الدراسة حول إختيارهن للمسار الهجري السري في الجدول الآتي:

327 .Carnet Pauline, « Passer et quitter la frontière, Les migrants africains « clandestins » à la frontière sud Espagnole », **Thèse de doctorat D'Anthropologie Sociale**, l'Université de Toulouse Le Mirail, septembre 2011, p 274.

جدول رقم 34 : يمثل إختيار الحراقات طريق الهجرة السرية

الرقم	الاسم	الإقامة الأصلية	طريقة الحرقة	عدد المرات	منطقة الإنطلاق	وسيلة الحرقة
01	وهيبة	البليدة	برا	02	/	برا حتى حدود المغربية ثم مركز اللاجئين في سبتا
02	هوارية	تارقة عين تموشنت	بحرا	01	شاطئ تارقة	قارب مطاطي
03	أمال	العاصمة	بحرا	01	/	قارب pateras
04	أمينة	وهران	بحرا	01	شاطئ كريشتل	قارب pateras
05	سميرة	عين تموشنت	بحرا	01	شاطئ بوجزار	قارب pateras
06	كاتيا	عين الترك وهران	بحرا	/	/	مقبلة على الهجرة السرية
07	سامية	عين تموشنت	بحرا	01	شاطئ ميلوس ولهاصة	قارب pateras
08	فتيحة	وهران	بحرا	01	شاطئ كب الأبيض	قارب مطاطي
09	فطيمة	مغنية تلمسان	برا وبحرا	01	/	البر عبر الحدود المغربية ثم بحرا في قارب
10	زهرة	غزوات	بحرا	/	/	مقبلة على الهجرة السرية

عندما إتخذت قرار الهجرة السرية وهيبة الهجالة ، بدأت القيام بالمشروع وتسخير كل الوسائل (البشرية و المادية) [328] من اجل تحقيق ذلك فاتجهت نحو الشرق متخذة الطريق البري أولا للعبور بالحدود الجزائرية التونسية ثم الوصول إلى جزيرة جربة للاتصال بشبكة الممررين للوصول إلى ايطاليا.

" مكانش عندي الزهر لخطرش طحت في عصابة تبيع النساء، كنت غادي نروح فيها بفضل ربي و كريز لازم سلكت بروحي "

وقعت تحت أيدي عصابة المتاجرة بالنساء (الرقيق) فبفضل أزمة تنفسية و تأكدهم من إصابتي بمرض السكري أطلقوا صراحي.

الفشل في المحاولة إضطرها إلى العودة لمنزل الوالدين و مواجهة جديدة و الدخول في صراعات غير منتهية فقررت للمرة الثانية خوض المغامرة لكن بطريقة جديدة و كان التوجه إلى المغرب فأول مرحلة هي الوصول إلى مغنية (منطقة حدود الجزائرية المغربية) و الاتصال بشبكة الممررين التي لديها خيوط حتى في اسبانيا فالانتقال إلى المغرب كان عن طريق الزواج الأبيض مع جزائري بوثائق مغربية و ذلك من اجل المرور بمليليا للوصول إلى وجهتها الأخيرة.

لكن حلمها تحطم بإلقاء القبض عليها و وضعها بمركز مليليا للمهاجرين الغير شرعيين لمدة سنة ونصف ، و في هذه المدة استطاعت ربط علاقات ايجابية مع العاملين الاجتماعيين بالمركز و التعرف على القوانين الإسبانية في حق اللجوء وتعلم اللغة الإسبانية و كان فرصة تعرفت على مهاجرات سريات من مختلف مناطق الجزائر و الدول الإفريقية.

" كنا نوضوا في الليل على حس الكلاب يجرو مور مهاجرين الأفارقة وفي بعض المرات كنا نخبوهم مور الخزانة على خاطرش لشافوهم يقتلوهم بالضرب و يعذبوهم "

328 .حسب تصريحها أن تنفيذ مشروع الهجرة السرية قد كلفها مئة و خمسون مليون سنتيما في المحاولة الأولى و الثانية .

التجربة التي عاشتها في هذا المركز كانت قاسية جدا كانت بمثابة مركز اعتقال وليس مركز لإقامة المهاجرين السريين، فالأفارقة هم الذين كانت تسلط علبهم اشد أنواع العنف إذا تم القبض عليهم يسلمون مباشرة إلى الشرطة المغربية من أجل طردهم من خلال الصحراء(المغربية، الجزائرية).

" كنا عايشين في كوشمار كل يوم كاين حاجة تضر إما المعايرة ولا الضرب ".

فهي تصف الحياة داخل هذا المركز " بالكابوس " فتنعدم فيه أدنى شروط النظافة والراحة و الصحة ، لا يقدمون لهم العناية الصحية إلا في الحالات الطارئة جدا ومما أثار انتباهنا أنه كانت تتم ولادات لحمل الغير شرعي (مهاجرات السريات من مختلف الجنسيات) في هذا المركز.

فجاء اليوم الذي كانت تنتظره بفارغ الصبر الخروج من المركز و الانطلاق لحياة جديدة،

" كنت بلونظة نشبه للأوروبيات بزاف و تعلمت نهدر كيفهم باسبانية فحسبوا بلي غلطوا كي دخلوني المركز"

5 - المرحلة الخامسة : الوسائل المستعملة

تحتاج الهجرة السرية من خلال المسار البحري و الذي اردنا التركيز عليه بفعل إختياره من طرف أغلبية حالات الدراسة ، و إستطعنا حصر أهم الوسائل التي تتطلبها الهجرة السرية في القوارب les pateras من أجل العبور و الوصول إلى أوروبا.

إستخدمنا الفيديو الذي سلمنا إياه المرشد ميلود ، و الذي يمثل خوض مجموعة من الحراقة و الحراقات ، العبور في القارب نحو أليكانت و وصولهم إليها.

- قارب متين
- محرك قوي
- جهاز GPS و بوصلة
- كمية كبيرة من البنزين
- سترة النجاة من الغرق
- بعض من التمر و ماء فقط.

لكي نوضح أكثر الوسائل المستعملة في عملية الحرقة ، إلتقطنا وإستعملنا صور من الفيديو الذي أعطانا إياها المرشد ميلود بأليكانت عن عملية الحرقة التي قامت بها هذه الجماعة من الفاعلين.

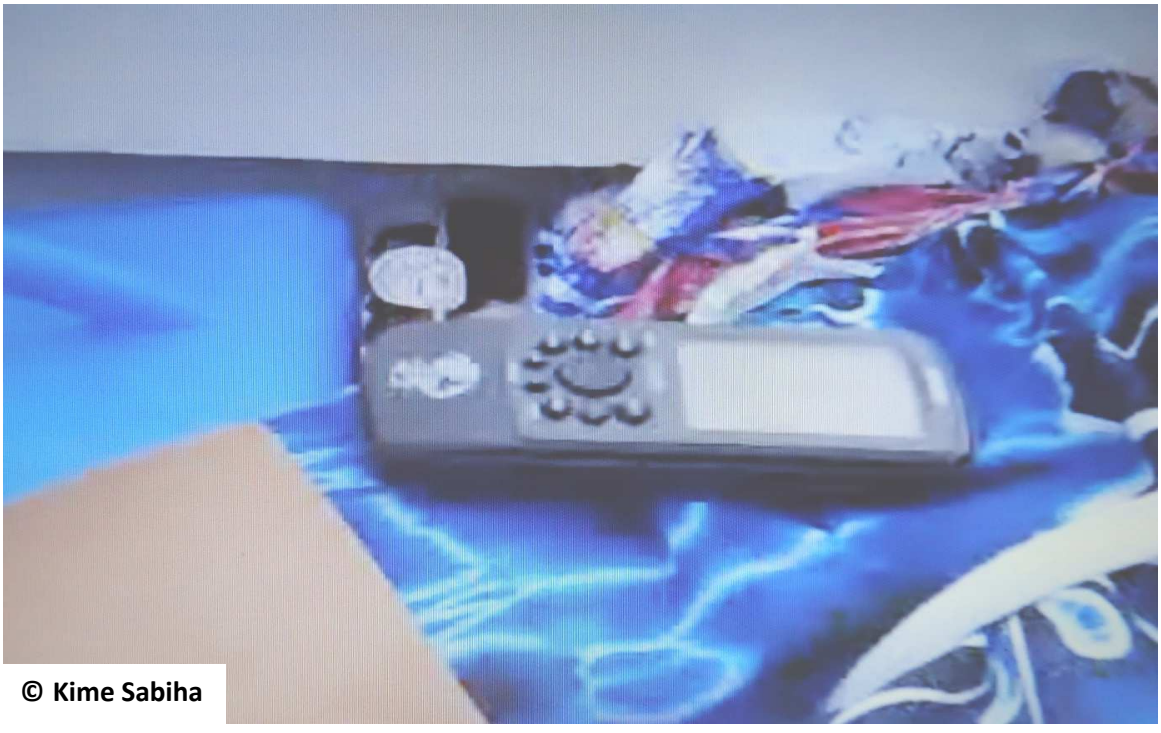

© Kime Sabiha

صورة رقم 12 : تبين آلة المستعملة من طرف الحراقة لتوجيه الطريق نحو مكان الوصول بإسبانيا.

© Kime Sabiha

صورة رقم 13 : تمثل البوصلة التي يستعملها الحراقة في القارب لتوجيه مسارهم

© Kime Sabiha

صورة رقم 14 : تبين الحاويات مملوءة بالبنزين التي يستعملها الحراقة في القارب

© Kime Sabiha

صورة رقم 15 : تبين المحرك و نوعية التي يستعملها الحراقة في القارب

© Kime Sabiha

صورة رقم 16 : تبين تناول أحد الحراقات التمر
كغذاء وحيد في القارب

© Kime Sabiha

صورة رقم 17: تبين استعمال الحراقة لسترة النجاة

LES GILETS DE SAUVTAGE كحماية من الغرق

II - تفاوض الحراقات مع الذكر في الهجرة السرية :

إعتقدنا أن تواجد الفاعلة في التيار الهجري كان بشكل طبيعي ، لكن في الواقع واجهت صعوبات في قبولها من طرف الحراقة الآخرين ، و لقيت تشكيكا في قدرتها الجسدية و المعنوية لإقتحامها هذه الظاهرة ، فكان عليها وضع إستراتيجية لإنضمامها لجماعة الحراقة في القارب.

فكرة مفاوضة المرأة مع الرجل في مجال الحرقة و اعتبار الحراق المرأة كفاعلة حقيقية مثله و لا يرفضها الذكر في المجتمع ، فهي تتفاوض مع الذكر كالزوج أو حتى الممرر و الحراقة الذين يركبون معها في القارب.

و تشير الباحثة إسكوفيي[329] ، أن أغلبية النساء هن غير مقبولات على متن القوارب ، و ذلك بحكم أنها ضعيفة لمثل هذا السفر ، و يفضلون أن يأخذ مكانها رجلا بدلا عنها ، لأن الرجل هو الذي يتكفل بالجانب الإقتصادي للعائلة.

329 .Escoffier Claire, « Communauté d'itinérance et savoir-circuler des transmigrant-e-s au Maghreb », **Doctorat de Sociologie et Science Sociales**, université de Toulouse 2, 2006, p 100.

مازالت صورة إحتكار الرجل في مجالات خاصة به ، و العمل على إبعاد المرأة بقدر الإمكان عن ظاهرة الهجرة السرية ، و لكن هذا لم يثبط من عزيمة المرأة كفاعلة ، بل وضعت إستراتيجية المرافق.

تواجد الأنثى في الحرقة ، يكون قرارا فرديا بالنسبة لها ، أما بالنسبة لتنفيذ مشروع الهجرة السرية ، فلا يكون بمفردها فهي تشارك الذكر في الجماعة الحراقة و يتخذ دور مرافق حامي لها فهي تعرفه يكون من المقربين كالزوج أو الأخ أو ولد الحومة حسب تصريحات المبحوثات.

فتيحة بطالة : "نخاف نروح وحدي يدورو عليا و ماخلونيش نركب البابور ، قولت لود جوارينا يقعد معايا و قول بلي راهم موصيينه الدار عليا"

فطيمة خدامة : "راجلي هو تفاهم معاهم ، أنا غي رحت و ركبت معاهم ، بصح كان يعرفهم و قاللهم راه جايا معايا مرتي ، ملول مابغاوش ، قالوله كو تصرا حاجة مغاديش تصبر و تقد تقولننا ردوني، بصح قاللهم راهي ماتخافش، راني عارف شراني نذير"

في حالات أخرى تشاركها أنثى أخرى أيضا فتتشكل جماعة مصغرة متكونة من حراقتين أو أكثر في وسط الذكور. فهي تتفاوض للحصول على مكان في القارب وهذا بإقناع الباقين من قدرتها على خوض هذه المشقة و عدم الرجوع في آخر دقيقة عن قرارها أو إرتباكها في حالة حدوث عطل أو عاصفة. هي عازمة ومتأكدة من خوضها الحرقة ، و تستعمل ذكر كضامن لحسن نيتها على ذلك.

هوارية العانسة : " تفاهمت مع صحبتي، و رحنا في رحبا ، خير ما نروح وحدي، كي كنت معاها كنت دايرة كوراج، و ما خفتش، بصح روحي بالاكش نفشل "

أما في حالة كل من سامية المطرودة و سميرة ربة العائلة ، الوضعية إختلفت تماما عن الحراقات الأخريات ، فتقبل الفاعلات كمشاركات حقيقيات في ظاهرة الحرقة ، كان بالنسبة لهن سلوك جديد بالنسبة للذكر، و هو تغير العقليات، و الثقافة الذكورية ، و هو الصورة المنحطة للحراقة من طرف المحيط الإجتماعي ، و في نفس المجتمع الحراقة الذكور يتقبلون هذه الصورة و يقبل مشاركة الأنثى ، محطما الأفكار السائدة في المجتمع و يساهم مع المرأة في بداية التغيير.

أمينة الأم العازبة : " حتى لي باسور مادابيهم يديرو نسا مع بعض علا خاطرش ماتكونش وحدها، يلايمونا في بابور مع رجال وحدخرين ، وحتى مادابيهم واحد يعرف لاخر باش يكونو متفاهمين، و مايصروش المشاكل "

جدول رقم 35 : يوضح مكانة المرافق بالنسبة للحراقات

الرقم	الاسم	التسمية في الدراسة	مرافق في الحرقة
01	وهيبة	الهجالة	لوحدها حتى وصولها إلى المغرب استعانة بزوج مزيف
02	هوارية	العانسة	مع صديقتها
03	أمال	الناشزة	لوحدها
04	أمينة	الأم العازبة	مع حراق تعرفه
05	سميرة	ربة العائلة	مع طفلها
06	كاتيا	العاهرة	مع جماعة من الحراقة
07	سامية	المطرودة	مع أخيها الممرر
08	فتيحة	البطالة	ولد الحومة
09	فطيمة	الخدامة	مع زوجها
10	زهرة	الطالبة	صديق حميم

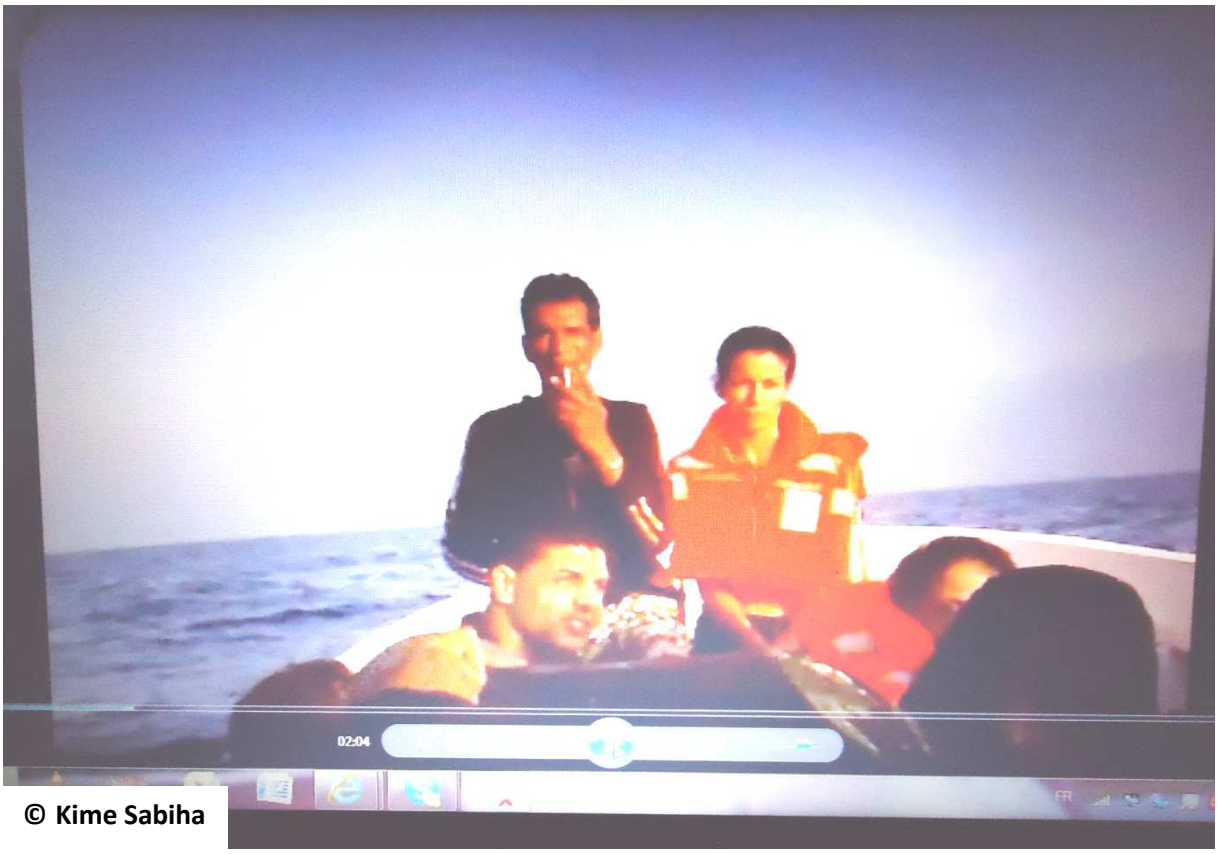

© Kime Sabiha

صورة رقم 18 : تمثل حراقة مرافقة لزوجها في عملية الحرقة

في حالة عدم إطمئنان الفاعلة في انخراطها لعملية الهجرة السرية ، تحاول بقدر الإمكان تقمص شخصية ذكر ، و هذا ما لاحظناه من خلال الصور و الفيديو والروبورتاج الذي قام به الصحفي من خلال حصة تلفزيونية[330] Envoyé Spécial في القـنا ة الفرنسية الثانية France 2 تم عــرض روبــورتاج للهــجرة السـرية la traversée clandestine[331] عبورا من المغرب نحو اسبانيا ، و هو عبارة عن صحفي Grégoire Deniau à vécu le parcours قد قام بتجربة الهجرة السرية مع مجموعة من الأفارقة في 2004 ، فقد أدهشتنا حادثة أن الصحفي قد عثر على فتاة في المجموعة ، في أول وهلة لم نتمكن حتى من التأكد من أنثويتها ، إن لم تصرح هي لوحدها هذا.

330. Deniau Grégoire, Traversée clandestine, diffusé le 4 novembre 2004 dans Envoyé Spécial sur France 2 http://www.france2.fr/emissions/envoye-special

331 .Traversée clandestine, un reportage d'Envoyé Spécial, France 2 http://www.dailymotion.com/video/x2a41z_traversee-clandestine_news

© France 2

صورة رقم 19 : تمثل الحراقة الإفريقية في صفة ذكر

لم يكن هذا التقمص بالنسبة للحراقات الجزائريات بهذه الدرجة ، لكن يحاولن بقدر الإمكان أن لا تظهر كأنثى في القارب بلباسها الفضفاض و قبعة و حتى الإختباء ، كصورة الحاجة التي كانت مختبئة في شكل نائمة.

أما عن حالة وهيبة ' الحراقة المحترفة ' الوقوع في شبكة دعارة و عدم إتاحة فرصة لها في تواجدها في قارب الحرقة أدى بها إلى إستخدام إستراتيجية أخرى عبر البر متجهة إلى المغرب ثم إسبانيا.

نستنتج أن رغم إمكانية تواجد الأنثى من مختلف الفئات ، في قارب الحراقة فهذا يأخذ شكل التخفي و الحيطة و السرية أكثر مقارنة بالذكر الذي يخوضها بكل فخر و إعتزاز و بعد تفاوض على حقها في تواجدها في هذه الهجرة السرية مثلها مثل الذكر و في بعض الحالات توقعاتها تسير إلى أبعد من هذا ، أن الذكر يحطم كل التصورات الذكورية التي نشأ عليها في المجتمع و يتقبل المرأة ، و يضعها في نفس المستوى مثله من خلال الحرقة.

III- الهجرة السرية النسوية الغير معلنة :

حسب حالات الدراسة ، الحراقات تسكن في منطقة حضارية ، فرغم هذا إلا أننا نلمس من خلالهن بروز قوة العلاقات الاجتماعية التي تربطها بالجيران ، الأقارب ، الأصدقاء ، و خلفية هذه الرابطة تظهر في شكل أسرهن حيث يغلب عليه الطابع المحافظ و المتشدد لأن الحراقات لم يدلين بقرار الهجرة السرية لأسرهن خوفا من منعهن ، و تأكدها من رفض هذا السلوك رغم أن هذا النوع من الهجرة مقبول ثقافيا بالنسبة للذكر ، و حتى انه يشجع على القيام به لكي يقلد بالبطولة كما ذكر سابقا .

الأسرة ليس لها نفس الدور في الهجرة ، فبعض المقبلين يخبرون أوليائهم اخوانهم و اخواتهم بمشروع الهجرة و الآخرين يقدمون عليه بكل سرية، و البعض الآخر يخبرون بعض الأشخاص فقط. في الواقع، المقبلين لا يصرحون للأشخاص الذين يمنعونهم من تحقيق مشروعهم و تبرح للآخرين بسرها[332].

و هذا ما لاحظناه في حالة وهيبة الهجالة ، التي واجهة ردة فعل سلبية من طرف أسرتها جراء خوضها الهجرة السرية في المحاولة الأولى ، أما عند تكرارها الحرقة للمرة الثانية و عدم إعلانها بذهابها للعائلة ، فكانت ردة الفعل قاسية جدا حيث حولتها إلى أم غير مسؤولة بسبب ترك أطفالها . و عدم إعلانها هذا يؤكد يقينها برفض أسرتها لهذا النوع من الهجرة و هي الحرقة.

332 .Carnet Pauline, op cit, p 173.

تشير الباحثتان[333]، أن طابع ظاهرة الهجرة السرية النسوية في السنغال يحمل مكانة الظاهرة الهامشية و المهاجرات السريات يتحولن الى مستنكرات من طرف الآخرين (المحيط الإجتماعي) و بفعل هذا الإستنكار الذي يتعرضن له ، فهن يقبلن بشكل صعب بالإفصاح على هذه المكانة. في أغلب الحالات ، هؤلاء الشابات ذهبن بطريقة خفية و لم يخبرن أعضاء عائلتهم برغبتهن للهجرة السرية من خلال القوارب.

الخوف من الإعلان عن القيام بالهجرة السرية بالنسبة للحراقات بسبب ارتباط صورة الهجرة النسوية الفردية بالمرأة الغير محترمة ، العاهرة ، المتمردة والعاصية و التي تريد التحرر من قيود الرجل الذي يمنعها من إرتكاب الخطيئة. فمعرفة الحراقة لهذه القيمة الهابطة التي ستمنحها لها كل من الأسرة و المقربين والمجتمع يجعلها تفضل القيام بالحرقة بكل سرية لكن عند نجاحها يتم العكس.

أما عن حالات الدراسة التي أعلنت عن مشروع الهجرة السري كحالة فطيمة المنظفة و سامية ، فكان في حيز ضيق إذ لم يتعدى العائلة و الأصدقاء و هذا لتفهمهم دوافعها و تقبلهم للحرقة و بما أنها ترافق أحد أعضاء الأسرة الذكور ، الزوج و الأخ ، أو موافقة الأسرة على خوضها الحرقة فهذا يدعم موقفها والإعلان عنه يكون إيجابي كحالة فتيحة البطالة و سميرة ربة الأسرة .

عدم الإعلان عن الحرقة لم يتشكل في صورة سرية الذهاب و إخفائه على المقربين ، بل تعدي هذا المجال ففي الفيديو الذي بحوزتنا ، رفضت إحدى الحراقات تصويرها ، بإخفاء وجهها، و أيضا طريقة لباسهن ، توحي بتنكرهن بقدر المستطاع ، لكي لا يظهرن ، يستعملن ألبسة رياضية سميكة ، و قبعات ، ومن الصعب التعرف على جنس الفاعلين.

333 . Sakho Papa, Binetou Dial Fatou, « Migration clandestine féminine, étude de cas de Dakar et sa banlieue », **CARIM**, 2010/56, p 17. http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/14629/CARIM_ASN_2010_56.pdf?sequence=1

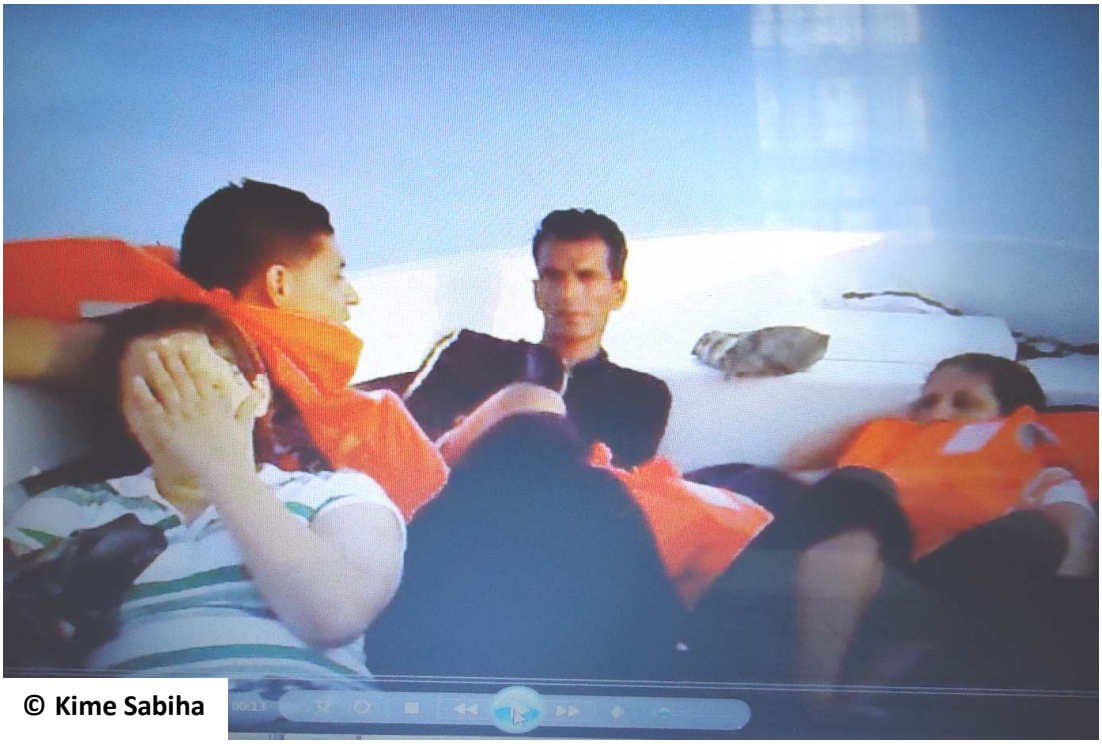

© Kime Sabiha

صورة رقم 20 : تبين عدم رغبة أحد الحراقات من تصويرها بإخفاء وجهها

© D R

صورة رقم 21 : تبين ألبسة الحراقات[334] المشابهة للذكور

334.حراقات ضمن قوارب الموت Harraga DZ
http://www.youtube.com/watch?v=cafstn3hr80

عدم إعلان المرأة عن هجرتها ، لا يتعلق بنوعية طريقة الهجرة فقط و هي الهجرة السرية ، بل بكتمان حراكها عموما. ففي قاعة إنتظار لمكتب إداري ، إلتقينا بإمرأة ، كانت ترتدي ملاية سوداء ، و يتراوح سنها ما بين 40 و 45 ، فمن خلال حديثها عن وضعيتها كمطلقة ، و عملها كتاجرة ، صرحت أنها سافرت إلى أليكانت (إسبانيا) ، لوحدها و لم تعلن لعائلتها هذا الحراك ، رغم رجوعها بعد أسبوع فقط .

"دربتلي ما ، تحوس عليا، علاخاطرش طفيت التليفون، قلتلها علاش تحوسي عليا، راني غايا أنا و ولادي، و كي قالتلي وين كونت غايبة ، قولتلها كونت في الصحراء نداوي على كراعي، علاه يحوسوا عليا ما عندي ما ندير بيهم"

و هنا نلاحظ أن كتمان هذه المرأة المطلقة بسبب نظرة جماعة الإنتماء لتنقل المرأة الشرعي أو الغير شرعي. و رغم أنها تاجرة ذهبت لشراء السلع ، فهذا مرتبط بمجال عملها و في نفس الوقت بدأت إجراءات الحصول على شهادة إقامة مزورة بمساعدة الشبكة الهجرية التي إتصلت بها و التي تعرفهم في مدينة وهران. فهي متخوفة من ردة فعل المقربين (العائلة ، الزوج السابق) على قيامها بمشروعها الهجري ، لذا لم تعلن عن ذهابها إلى إسبانيا و أيضا عن قيامها بمشروع الهجرة والإقامة بأليكانت.

مازالت ظاهرة الهجرة النسوية الفردية ترتبط ، بصورة المرأة الخارقة لمعايير الإجتماعية ، و المرفوضة في بعض العائلات الجزائرية بالنسبة للمرأة مهما كانت مكانتها (عازبة ، مطلقة ، أرملة) ، و إذا صادقة و سمحت العائلة لإنضمام الفاعلة لنظام الهجري السري ، فهي أيضا تتخذ عدم الإعلان عن هذه الهجرة السرية خوفا من وصم العائلة .

حالة سامية المطرودة ، قامت بعدم إعلان هجرتها للأقارب و الجيران ، خوضها الهجرة السرية رغم ذهابها مع أخيها الممرر ، ففشلها و عودتها إلى البلد الأصل ، جنبها النعت الذي حتما ستتعرض له ، لتجاوزها تقاليد جماعة الإنتماء و توليد القيل و القال عنها.

" مزيا رحت و ما قلت لحتى واحد، كون قلت بلي غدي نحرق ، يولوا يقولولي علاش غادي تروحي، مراكيش لاقيا تاكلي ، و يكترو عليا الهدرة ، ليروحو غير نساء لما يسوا وش، و كي وليت يقولولي علاش وليتي وشاكنت تخدم ، ما نسلكش منهم"

في حالات نادرة العائلة التي تساعد في تمويل الجانب المادي لمشروع الهجرة، تتعرض الى فشل الفاعلة ، فتحس بخيبة الأمل و العار. فيعتبر تمويل هجرة الأولاد عبارة عن استثمار مهم للكثير من الأولياء. و أيضا أعضاء آخرين من العائلة (إخوان ، خالات ، أعمام...) و الذين يساهمون بمبالغ هامة. النساء اللواتي يستفدن بهذا الدعم من العائلة من أجل الذهاب ، هن واعيات بهذه المسؤولية و الرهان الذي على عاتقهن[335].

IV -المعتقد و طقوس الذهاب في الهجرة السرية :

خلال دراستنا ، عن الهجرة السرية بميناء مدينة وهران ، كانت الإجابة حول مسألة خطورة الحرقة و إحتمال تعرض الحراقة للموت في البحر ، أن الحياة والموت هي قضاء و قدر الله و لا نستطيع التحكم فيهما ، سواء قبل الحرقة أو أثنائها أو بعدها.

" الموت عند ربي ما يعرفها حتى واحد" " ربي يكتبلي نموت في البحر ولا في بلاسة وحدخرا" " ما شي الحرقة لي تكتل ، ربي هو لي دايرلي نمو "

و عند خوض أحد المقبلين على الهجرة السرية ، و الذهاب ، كان يصرح أنه يطلب دعوة الخير من الوالدين و خاصة الكبار في السن لكي تساعد تلك الدعوات و البركة على نجاح مشروع الحرقة و الوصول إلى أوروبا ، و حتى أن صادفتنا من أحد المبحوثين طلب منا الدعاء له من أجل النجاح في الحرقة . فنلاحظ أنه توجد علاقة وطيدة بين الرمز الديني و الثقافي ، المكتوب و الحياة – الموت.

335. Sakho Papa , Binetou Dial Fatou, **CARIM,** 2010/56, op cit, p 18.

في الحقيقة لم نتوسع في خلفية المعتقد و علاقته بالهجرة السرية ، لتناولنا هذه الدراسة من الجانب السوسيولوجي و ليس إنثروبولوجي . و بعد مواصلتنا للبحث في نفس الموضوع و هو الهجرة السرية النسوية في رسالة الدكتوراه وجدنا أنفسنا أمام طقوس و رموز و معتقد قوي يظهر من خلال خوض الفاعلة للهجرة السرية. و في هذا المجال تعرضن كل من الباحثات

Escoffier Claire, Guillemaut Françoise, Carnet Pauline

القدوسية و المعتقد المستعمل في الهجرة السرية من مختلف الفاعلين ، الحراقة ذكور و إناث و ممررين.

تشير الباحثة[336]، أنه الكثير من النساء النيجريات هن مسيحيات عابدات و ممارسات و تعتقد أن إيمانهن له دور كبير ، فهي تلتجئ إليه و له قيمة في تشكيل إستراتيجياتهم.

" فتقول أحدى المبحوثات ، كيف لم يتم القبض علي من طرف الشرطة حتى الآن، و أنا ليست لدي أي وثيقة إقامة منذ سنة ، إنه الله ، الله هو الذي يساعدني، وكيف حتى عبرت كل هذه الدول، فالفضل يرجع إلى الله وليس الحظ فقط"

تشير الباحثة إسكوفيي[337]، أن في تجربة الهجرة السرية يجب أن تتوفر على المواد اللوجستيكية (معرفة الميدان ، وسائل النقل) ، المعرفة التقنية (إختيار المسار المناسب)، الحيازة على خبرة فردية (الحيلة ، معرفة تجاوز العراقيل ، و المؤهل و القدرة لإستغلال و إستخذام الرأسمال الإجتماعي ، فكل هذا لا يكفي فيجب القيام بطقوس للبركة (التبارك) des rituels de bénédictions . هذه الطقوس تمارس في المحيط العائلي و الديني ، من أجل خوض فضاء جديد أو مرحلة من الحياة جديدة. مثل بركة الأب أو الأم ، كبير العائلة ، أو بركة كل من المرابط ، الإمام ، الراهب.

336. Guillemaut Françoise, op cit, p18.
337 .Escoffier Claire, op cit, p 113.

و تمارس طقوس للطهارة purification، تطهير (الرقية في الثقافة العربية)، لإبعاد الخطر عن طريق الفاعل ، بفضل التضحية بالحيوانات (أنظر الصور) ، تلاوة القرآن ، الصلاة و الدعاء. و يستعملون ، أشياء رمزية ، تجلب لهم الحظ ، كالصليب ، المصحف ، يحملونها في أجسامهم .

أردنا إستخدام صور حقيقية لطقوس الذهاب من خلال حصة تلفزيونية[338] Envoyé Spécialفي القناة الفرنسية الثانية عرض روبورتاج للهجرة السرية la traversée clandestine[339] عبورا من المغرب نحو اسبانيا ، و هو عبارة عن صحفي Deniau Grégoire à vécu le parcours قد قام بتجربة الهجرة السرية مع مجموعة من الأفارقة في 2004، فقام بمشاركة الحراقة في ممارستهم لطقوس معينة ، و هي ذبح أربع دجاجات بيضاء ، و ذكر عبارات معينة.

© France 2

صورة رقم 22 : تمثل طقوس الطهارة في الهجرة السرية للأفارقة

338. Deniau Grégoire ,Reportage la traversée clandestine sur envoyer spécial France 2 http://www.dailymotion.com/user/APTEL92/2#video=x22t4b

339. Deniau Grégoire, reportage la traversée clandestine, France 2, op cit.

© France 2

صورة رقم 23 : تمثل عملية ذبح الدجاج كقربان للأرواح

في عملية الهجرة السرية

© France 2

صورة رقم 24 : تبين حديث المهاجر السري عن دور الطقوس

في منح الحظ و إنجاح العملية.

© France 2

صورة رقم 25 : تبين شرح المهاجر السري لضرورة الطقوس و طريقة القيام بها

كل فاعل حسب دينه و إعتقاده ، إنتماؤه و ثقافته إذ ستستخدم هذه الطقوس في سبيل إنجاح عملية الهجرة السرية ، و التقليل بقدر الإمكان من المخاطر التي ستعترضه في طريقه ، و حتى أنه بإستخدامه الصلوات و قراءة القرآن ، يساعده نفسيا ، و يزيده قوة و عزيمة.

و البعض يمارسون هذه الطقوس ليلة ذهابهم في الوسط العائلي بشكل خفي عن أنظار الآخرين ، و البعض الآخر يمارسها فرديا ، عن طريق الصلاة بسبب القطيعة العائلية و الذي يشكل الذهاب كهروب غير مصرح للعائلة التي تعارض مشروع الهجرة السرية.

تشير الباحثة[340] أن في المجتمعات التقليدية ، الطقوس تشارك الشاب في الدخول إلى جماعة الراشدين و تحميله المسؤولية لغاية ضمان إستمرارية هذا الأخير. ففي ظاهرة الهجرة السرية الممرر يفرض هذه الطقوس من أجل دخول الفاعل الجديد في الجماعة و التي من خلالها يصبح " سري " . فهو يحمله مسؤولية تجاوز مخاوفه و ضمان حماية إبقائه حيا. فعند دخوله لعالم الهجرة السرية و التي يواجه

340 .Escoffier Claire, op cit, p 118.

فيها المجهول و الخطر ، الممرر يعطيه اول مفتاح ، من خلال نقل تلك الممارسات و الطقوس. فهو ينقل طريقة فعل معينة un savoir faire.

فهنا تفرض أمامنا هذه الصورة ، عملية جديدة لنقل المعارف و الثقافة ، مجال الهجرة السرية ، فالظاهرة أصبحت ، كمؤسسة للتنشئة الإجتماعية ، لكي يخوضها الفرد و يحقق الإنتماء إليها لفترة معينة من حياته ، عليه أن يكتسب رموز معينة ، طريقة فعل معينة ظروف معينة ، التي من خلالها يحاول بقدر الإمكان تجاوز تنشئته الأصلية.

أما الفئة الأخرى فتستعين بالمرابط ، الطالب (تسمية محلية)، لإبعاد الأرواح الشريرة المتواجدة في البحر ، و التي ستؤذي المهاجرين السرين ، فهؤلاء يحملون الأشياء التي أعطاها لهم المرابط خصيصا لهذه الرحلة.

© France 2

صورة رقم 26 : تبين مختلف الأشياء التي يحملها المهاجرين السرين لجلب الحظ و حمايتهم من مخاطر السفر.

© France 2

صورة رقم 27 : تبين مختلف الأشكال و حتى بعض الحيوانات التي يصنعها المرابط للمهاجر السري لحمايته.

تعتبر الباحثة[341] أن السحر هو عبارة عن جزء من أشكال التنشئة الإجتماعية للعديد من المجتمعات الإفريقية ، كالسنيغال و مالي و عموما عند المسلمين أيضا. و الذي يوصف بمرابط Maraboutage. و اللجوء لإستعماله هو معروف من طرف الجميع و متداول بشكل شرعي ، فالبعض يستهزؤون به و البعض يؤمنون بقوته ، و يمكن إستعماله في تسهيل مختلف المشاريع أو إنشاء مؤسسة . إن الإستعانة بالأرواح ، هو لتحسين حياة المهاجرات و إستخذام قوة مساعدة هذه الأرواح التي تنتقل إليها. و السحر يستطيع أن يكون كرمز حامل للحظ porte bonheur والتميمة l'amulette ، السعادة و الحماية ضد كل سوء.

341 .Guillemaut Françoise, op cit, p 20.

و في نفس سياق البحث للنظام الهجري ، تشير الباحثة إسكوفيي[342] بوصفها اللجوء إلى المرابط أو إلى الدين كعقيدة عند المهاجرين (الرجال و النساء) لإفريقيا الساحل. فهي لاحظت أن السحر يستعمل كآلية من طرف المهاجرين في سفرهم ، و يستعملونه مثل أداة تسمح للتحسين في فرص النجاح.

أمام هذا المعتقد ، أردنا كشف بعض الممارسات التي ليس لها علاقة بما ذكر سابقا، فحسب تصريحات المرشد جيلالي (المساعد الإجتماعي بالجمعية).

" راكوم تشوفوهم، كاين راه جاي غير هاك، ما كان يخمم لا في حرقة ولا حاجة وحدخرا، كان ساهر مع صحابه ، يشربوا يزطلوا، بقاة بلاسة في البابور، راح معاهم، مكان لا مشروع ، لا لايم دراهم و لاوالوا"

فيوجد ممارسات أخرى ، للتغلب على الخوف و القلق ، بتعاطي المخدرات والكحول ، فالطقوس و المعتقد ، تكون من الممارسات الثقافية للمحيط الإجتماعي الذي يتواجد فيه الحراقات و هو يدخل في إطار التنشئة الإجتماعية. و لهذا نلاحظ ، أن الحالات المدروسة كان المعتقد فيها محصور في مكتوب الله ، و الأدعية والبركة . فعموما ، السحر و المرابط و الطالب le marabou يستخدم في العلاقات الزواجية أو الحميمية ، و المحافظة على عذرية الفتاة (الربيط) من طرف النساء و حتى فك سحر آخر ، و لم ينتقل بعد إلى صورة الطقوس الذهاب في الحرقة من طرف الفاعلات.

و لا يكتفي المهاجرون السريون بإستعمال هذا المعتقد ، المتمثل في المرابط والسحر بل يتعدى إلى الممررين في إبرام عقودهم الهجرية ، حيث أشارت الباحثة قيومي فرانسواز[343]، أنه أصبح المرابط من أهم شروط حماية إتفاقيات الحراك الهجري السري.

342 .Escoffier Claire, op cit, p 119.
343 .Guillemaut Françoise, op cit, p 21.

أيضا من المنطقي إستعمال الممررين للسحر في هذا النظام الهجري و وسطاء النسوة اللواتي تتضمن هذا السفر ، و يستخدمونه كضمان حول العقد المبرم مع المهاجرات سواء من خلال المراسيم التي يقوم بها المرابط من أجل عقد الإتفاقية وشروط العبور إلى أوروبا و طريقة تسديد القرض من طرف المرأة المهاجرة. سواءا لا يوجد مراسيم ، لكن روح الممرر مشهورة بقوتها و الدليل على ذلك يكمن في الثراء المادي لهذا الفرد و في قدرته لفتح الطريق نحو أوروبا ، فلهذا من المجازفة عدم إحترام و إتباع الإلتزام المتفق عليه.

و تشير الباحثة أن هذه الطقوس في إبرام العقد ، قد ظهرت مؤخرا عند الممررين و الوسطاء أمام الإخلاء المتزايد للعقد و عدم تسديد لعدد من المهاجرات عند وصولهن إلى أوروبا فتتبخر في الطبيعة. فأصبحت عقود العبور و الهجرة تتم عند المرابط أو بشكل آخر ، حينما يظهر الوسطاء قوتهم و قدرتهم في إستعمال للسحر و تدمير الحراقات في حالة عدم التسديد و أيضا قوة الضغط الإجتماعي المتزايد حول الإيمان بالسحر ، لمختلف الجماعات ، و لهذا تعتبر الباحثة أن الإيمان بقوة الأرواح التي يستخدمها الممررون تندرج في النظام المعياري للقوة.

تستنتج الباحثة في آخر مقالها أن السحر ، يستعمل كوسيلة قهرية من طرف شبكات التجارة بالبشر و الذي ينشئ قطيعة تامة ما بين الوضعية المعاشة من طرف النساء الإفريقيات المهاجرات و تجربة الأوروبيات ، و بنفس الطريقة يستثمرون الكثير من العائلات للطبقات الشعبية في القرض في إنتظار و افتراض إرتقاء إقتصادي والنساء المهاجرات تقترض آملة تحسين وضعيتها. فالأوائل من النساء ، تترك الإعتقاد يؤثر عليها بأن القرض هو الذي ينتج الثراء ، و الثانية تنظم إلى الإقتراض آملة في الربح أفضل في حياتها. فهي تتساءل ، ما هو النظام الحقيقي للظلم و الضغط ، هل متواجد في السحر أو هو متواجد في فوارق الثراء المتواجد بين الدول و الجماعات الإجتماعية ؟

V - دور الشبكات الهجرة في إنجاح الحرقة :

حسب الباحث[344] ان عاملين مهمين يشكلان بداية مشروع الهجرة السرية و هما توفر العمل و الشبكة. و أغلبية الفاعلين يصرحون ان الشبكة تتشكل من المقربين والتي تساعد في مشروع الهجرة في المرحلة الأولى و تتحدد في أعضاء الأسرة (الإخوة) ، او اشخاص من نفس البلد الأصل و يلعب دورا هاما فهو عامل الجذب.

و تشير دراسة لمدينة دكار و ضواحيها [345] إلى نفس أهمية الشبكة الهجرية ، إذ تعتبرها عاملا مهما في لعب الدور الأساسي في ظاهرة الهجرة الغير شرعية هو فتواجد شبكة تضامن و مساعدة يعتبر قلب كل ديناميكية الهجرة السرية. و المعيار الحاسم في اختيار بلد الإتجاه أو التنقل و قابلية الحصول على عمل ، و الإنخراط في مجال التوظيف الغير رسمي ، السوق السوداء للعمل و التشغيل كل ذلك بفضل الإتصال العائلي في الضفة الأخرى. فعلى المهاجر السري الإفريقي الوصول فقط إلى اسبانيا و الباقي يتكفل به الفاعلون للشبكة الهجرية و الذين يتمثلون في الجالية المقيمة في الخارج و التي تتكفل بالإستقبال و الإندماج.

و حسب الباحث ان المشروع الهجري يكون في المستوي التجريدي ، ففي هذه المرحلة يعتبره الفاعل كمشروع مخوف و يظهر على أنه غير واقعي ، لكن لحظة إشتراك هذا المشروع الى شبكة و أفرادها المقربين ، و إحساس الفاعل الى الإنتماء الى هذه الشبكة ، تتغير المعطيات و يأخذ المشروع صورة جديدة ، فيصبح واقعي و هذا يعني قابل للإنجاز.

344 .Forget Bernard, *Los Clandestinos mode d'emploi*, Cahiers Migrations 31, édition ACADEMIA, 2004, p35.

345 . Sakho Papa et Binetou Dial Fatou, **CARIM,** 2010/56, op cit, p 11.

1-وظائف شبكات الهجرة السرية :

يشير الباحث[346] إلى أن هذه الشبكة تقوم بوظيفتين :

- ***الوظيفة الأولى*** : التي تقوم بها تتمثل في كونها مصدرا مهما للمعلومات الموثوق بها. فتواجد شخص في الميدان و هو بلد الإستقبال ، يعد قاعدة قوية لقابلية تحقيق المشروع الهجري و الإدراك الإيجابي للحصول على العمل.

فيما يخص الشبكة الهجرية ، حسب دراستنا فهي عند انتقالها الى البلد الأصل من خلال زيارة الجالية في الأعياد و الإحتفالات الدينية و نقل تلك المعلومات الخاصة بالهجرة (الإستراتيجيات المتبعة)، و كما وصفها الباحث بـ "من الفم الى الأذن".

و ليس شرطا ان يكون اعضاء الشبكة من اعضاء العائلة بل العلاقات الإجتماعية في المجتمع متنوعة ، مثل القرابة ، و المصاهرة ، الصداقة ، الجيران و الإنتماء للعصبة (منطقة جغرافية معينة) او حتى الحي الشعبي ، ولد البلاد ، ولد الحومة، صاحبي.

- ***الوظيفة الثانية :*** و هي تعطي للطموح الهجري ، و الجانب الواقعي ، فالإنتماء الى شبكة و ربط علاقة مع مهاجر في بلد الإستقبال يعتبر ضمانا لنوعية جيدة ، يعطي للهجرة مظهرا حقيقيا ، واقعيا و متماسكا ، قابلا للإنجاز أكثر فأكثر ، و ايضا قابل للحصول على مساعدة حين وصول الحراقات إلى مكان الهجرة حتى يتأقلم مع المحيط الجديد.

إن الشبكة هي إحدى اهم العوامل التي تحول الرغبة في الهجرة كحلم و هاجس الى واقع بالنسبة للفاعلة و هو التخوف من المجهول ، في بلد الإستقبال ، توفير مكان للإقامة و المساعدة لإيجاد عمل فكل هذا يخفف من مصاريف الإقامة و ضعف إحتمال الطرد بسبب الوضعية الغير شرعية في بلد المهجر. فنعتبر أن القفوزية لوحدها لا تكفي أمام هذه النوعية من المشاريع الهجرية بل يجب الحصول على مختلف المعلومات و في مختلف المجالات ، لكي تستطيع الحراقات الحصول على عمل و تسهيل الإجراءات الادارية للحصول الوثائق و المساعدة الصحية.

346 .Forget Bernard, op cit, p37-36.

و يتبين أن علاقة المبحوثين بالخارج تتم عن طريق الأقارب المغتربين ، فصلة القرابة تساعد بشكل كبير في جمع المعلومات المتعلقة بالأمور الإدارية و ذلك بالإتصال المستمر بالهاتف و زيارة هؤلاء المغتربين لبلدهم الأصلي و القصص التي يسردونها و التجارب التي تنتقل من خلالهم ، كل هذا يشجع و يدفع هؤلاء المبحوثين إلى التفكير و الإقبال على الهجرة السرية بحماس مهما كانت طريقتها (شرعية أو الغير شرعية).

يعرف ماسيهن و غيره[347]، أن شبكات الهجرة يمكن تعريفها بأنها مجموعات من العلاقات الشخصية التي تربط المهاجرين أو المهاجرين العائدين مع ذويهم أو أصدقائهم أو مواطنيهم في بلادهم ، يرسلون المعلومات ، و يقدمون المساعدات المالية ، و يسهلون عمليات التوظيف و الإقامة ، و يمنحون الدعم بمختلف أشكاله. و بعملهم ذلك هم يقتصدون تكلفة الهجرة و مخاطرها ، و بذلك يسهلونها.

و يعتبر فاست[348] أن الشبكات تتشكل على المستوى الوسيط في العلاقات ، يقع بين المستوى المصغر لإتخاذ القرار الفردي و المستوى المكبر للمحددات الهيكلية.

تأسيس العلاقة لبناء أسرة يساعد على تسهيل الهجرة ، كزواج المهاجر من إحدى الأسر المقيمة في الوطن ، قريبة من الأسرة أو لها علاقة جوار قريب و من القرية أو البلدة. و في السنوات الأخيرة بدأت بعض العصابات تنتهز الفرصة من هذه الناحية للإستفادة من يأس هؤلاء الأشخاص وذلك بتزويجهم " الزواج الأبيض " من نساء يحملن وثائق رسمية (جنسية فرنسية) و ذلك مقابل مبلغ مالي. لكن السلطات الفرنسية تفطنت إلى ما وراء هذه العلاقات و العمليات و الأهداف التي تختفي تحتها فإتخذت إجراءات مشددة و صارمة منها فرض تحقيق مسبق على الشخصين اللذين يريدان الزواج.

347 . جواكين أرانجو ، "تفسير الهجرة : المداخل المفاهيمية و النظرية"، **المجلة الدولية للعلوم الإجتماعية** ، الهجرة الدولية عام 2000 ،مركز المطبوعات اليونسكو، القاهرة العدد 165 ، سبتمبر 2000 ، ص62-63.
348. نفس المرجع السابق ، ص 63.

و يمكن للشبكات كذلك أن تشجع الهجرة السرية من خلال التأثيرات الإيضاحية. يمكن توضيح هذه التأثيرات الإيضاحية بالإغراء و هو زيارات الجالية لبلد الأصل و ترويج أموالهم و الإفتخار بهجرتهم و نجاحها. في كل سنة أثناء العطل السنوية و الاحتفالات الدينية تؤدي إلى رجوع أكثر من مليون شخص إلى المغرب العربي.

هذا التدفق للمغاربة الذين يزورون عائلاتهم المقيمين في شمال منطقة البحر الأبيض المتوسط ، تهدف إلى التجذر و التضامن لنظام العلاقات Enracinement et solidarité du système relationnel بين مختلف الفئات المغاربية التي حافظت عليها و تمسكت بها و طورتها مع بلدانها الأصلية[349] .

ترسيخ عادة الزيارة بمناسبة الأعياد و العطل لدى المهاجرين و دعم الروابط بين الأسر و الأفراد فيما بينها في الوطن الأصلي و وطن الإستقبال و تأسيس عادة الزواج و الخطوبة بهذه المناسبة. إن هذا النظام للهجرة المغاربية ، قد بني من خلال مجموعة من الروابط الإنسانية و الإقتصادية ، الثقافية المتينة مع مجتمعاتهم الأصلية.

يمكن أن ينظر إلى شبكات الهجرة كشكل من أشكال الرأسمال الإجتماعي ، بقدر ما هي تعد ضربا من العلاقات الإجتماعية ، التي تتيح الوصول إلى سلع أخرى لها مغزى اقتصادي ، مثل التوظيف و الأجور الأكثر ارتفاعا. و أول من قدم وجهة النظر هذه هو دوجلاس ماسيه[350] مستلهما لها من نظرية الرأسمال الإجتماعي المرتبطة بأسماء بارزة ، مثل جيمس كولمان ، و بيير بورديه . و يضيف الباحث[351] ان الشبكة تعتبر رأسمال un capital مهم في انجاز و تحقيق المشروع ، فمستوى الطموحات بدون هذه الشبكة يبقى مجرد و جامد و رغبة بعيدة ، أو كحلم فقط.

349.Gildas Simon, *Géodynamique des migrations internationales dans le monde*, Presse Universitaire de France ,1er édition, 1995, p 350.

350. جواكين أرانجو ، **المجلة الدولية للعلوم الإجتماعية** ، مرجع ذكر سابقا ، ص 63.

351 .Forget Bernard, p38.

إن الشبكات تعد من بين أكثر العوامل أهمية في تفسير ظاهرة الهجرة. فكثير من المهاجرين يرتحلون لأن الآخرين ممن إرتبطوا بهم قد سبق أن هاجروا. فلشبكات الهجرة تأثير مضاعف و الذي كان يعني ضمنيا في وقت سابق " سلسلة أو حلقات الهجرة "[352] .

محاولة السعي لجمع الشمل العائلي يفسر جزءا كبيرا من حركات الهجرة إلى عدة دول، و من ناحية أخرى تزداد أهمية الشبكات الإجتماعية كلما أصبح الدخول إلى الدول المستقبلة أكثر صعوبة بسبب قدرتها على تخفيض النفقات و التقليل من مخاطر التحرك بما في ذلك انعدام الأمن.

2- عامل الثقة في الشبكة:

تستعمل الباحثة بولين كارني[353]، مصطلح الثقة معبرة عن شكل الشبكة التي يتصل بها الفاعل عند إقباله على الحرقة ، فالممررون يستخدمون أعوانا متواجدين في القرى ، و المدن و خاصة في المناطق البعيدة عن البحر ، أين يتواجد مركز شبكة الممررين ، فهم يقومون بإرشاد شباب المنطقة الراغبين في الهجرة السرية ، وربط الإتصال بينهم و بين الشبكة ، فهي تصفه كسمسار يبيع المعلومات مقابل مبلغ مالي و بالنسبة للممررين يجلب لهم زبائن جدد مقابل مبلغ مالي ، و كل هذه العملية تعتمد على الثقة بين الأفراد و إحترام الوعود المقدمة فيما بينهم ، و إذا خرق العميل هذا الإتفاق فيتم الإعلام ، عنه من طرف الشباب و إدخاله السجن.

3- بنية الشبكة :

الباحث برنار فورجيي[354] شخص هذه الشبكة على انها مجموعة مصغرة من الأفراد لا يتعدى عددها خمس اشخاص و تتميز بطابع غير رسمي و غير منظم ، مقارنة بالشبكات المعروفة و الرسمية ، و يحولون الهجرة الى عمل اقتصادي ومنظم مثل العصابات الإجرامية التي تتاجر بالبشر و الشبكة الجنس.

352 . جواكين أرانجو ،**المجلة الدولية للعلوم الإجتماعية** ، مرجع ذكر سابقا ، ص 63.

353 .Carnet Pauline, op cit, p243.

354 .Forget Bernard, op cit, p44-45.

و ما يربط بين أفراد هذه الشبكة ، هو العلاقة العائلية أو رابط الصداقة. و اساس هذه العلاقة يتم تحت نفس منطق وظيفة الشبكة و هو الثقة ما بين المقربين.

فالشبكة التي آثارت الهجرة ، تؤمن كلا من المصادر المالية ، و السكن ، الوقت ، فتعتبر مهمتها هي إستقبال و اندماج المهاجر. فتصبح الشبكة بالنسبة للباحث هي عبارة عن سلسلة ثقة و لكي تبقى متواجدة يجب أن تبقى ضيقة الحيز و صغيرة الحجم ، و بهذا تستطيع القيام بوظيفة إعطاء المعلومات و تقديم المساعدة.

يشرح الباحث في دراسته للشبكة الهجرية من خلال بيان تخطيطي أهمية العلاقات و كيفية التي تتم بها تشكيل الشبكة الجديدة ، بفعل ديناميكية الهجرة ، تتحول من الشبكة الأولية réseau initial الى الشبكة الموسعة réseau élargi من خلال إنضمام اعطاء جدد بفعل علاقات التعارف interconnaissance (أعضاء العائلة ، قرابة ، صداقة...)[355].

و تستطيع الشبكة الجديدة ان تضم شخصين فقط ، و يربطان علاقة بمهاجرين جدد فتصبح شبكة أولية ، نحن أمام نظام توسعي لظاهرة الهجرة.

فظاهرة توسع الشبكة الأولية تظهر لنا ميول المهاجر السري للإعتماد على الشبكة المقربة و إعادة بناء شبكة أخرى ، و غالبا ما تكون موسعة ، و وراء الشبكة يوجد الحاجة إلى إعادة بناء مجتمع جديد ، من أجل المحافظة على " هوية الفاعل " "هوية المهاجر " و التي تتمثل في الجالية.

355. Ibid, p 46.

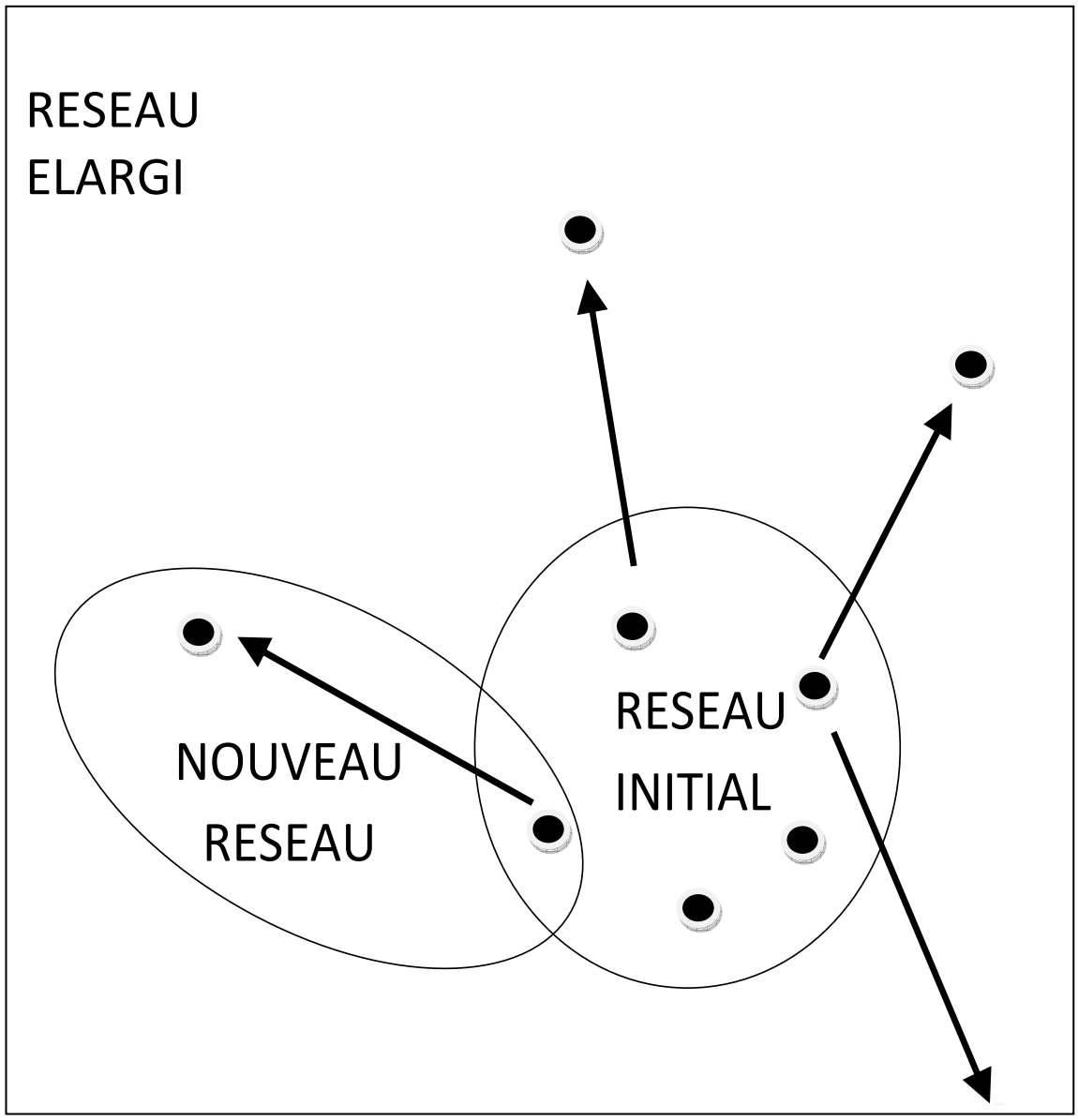

بيان رقم 07 : يبين تشكيل الشبكة الموسعة[356]

356. Ibid, p46.

من خلال دراستنا حاولنا ربط مختلف الديناميكيات الشبكية للحراقات ، و إرتأينا تشكيل الشبكة الموسعة لحالة فتيحة البطالة ، و مدى تواجد هذه الشبكة لإنجاح مشروعها الهجري السري.

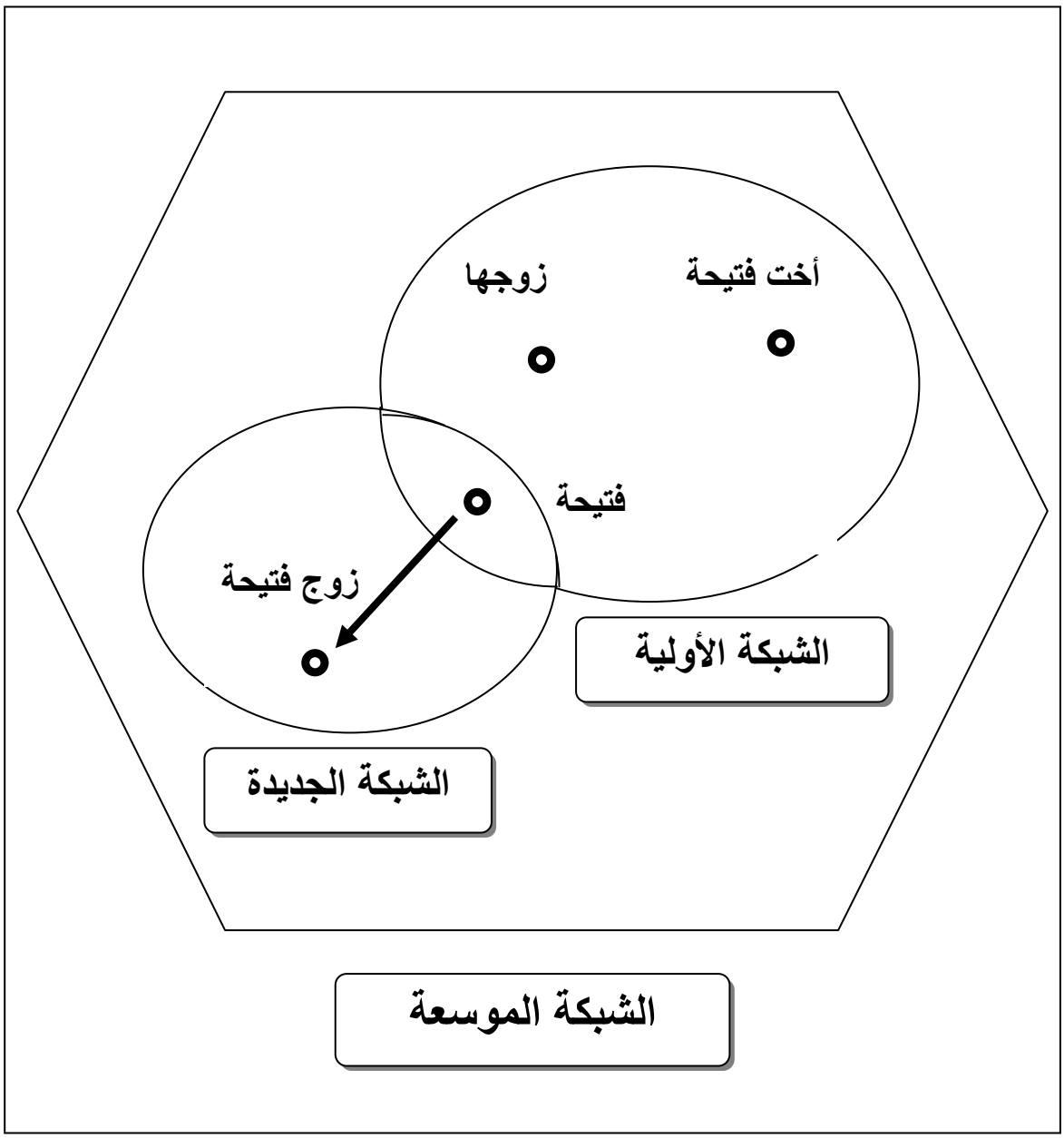

بيان رقم 08 : يبين تشكيل الشبكة الموسعة لحالة فتيحة البطالة

فعند إنتقال كل حالات الدراسة كان لها إتصال بالشبكة الأولية ببلد الإستقبال ، وهذه الشبكة تتكون من معارف مختلفة ، و التي نبينها في الجدول التالي:

جدول رقم 36 : يمثل إنتماء الحراقات إلى الشبكات الهجرة

الرقم	حالة الدراسة	الإقامة الأصلية	علاقة بعضو الشبكة
01	وهيبة	البليدة	صديقة
02	هوارية	تارقة عين تموشنت	صديقة
03	أمال	العاصمة	ابنت جارة أمها
04	أمينة	وهران	أقارب صديقتها
05	سميرة	عين تموشنت	أقارب زوجها
06	كاتيا	عين الترك وهران	صديق
07	سامية	عين تموشنت	صحاب خوها الممرر
08	فتيحة	وهران	أختها
09	فطيمة	مغنية تلمسان	ولد عمت راجلها
10	زهرة	غزوات	أصدقاء صديقها الحميم

IV -مخاطر الهجرة السرية :

تشير الباحثة [357] أن أغلبية المهاجرين لديهم دراية أو على الأقل صورة عامة عن هذا الخطر ، القاتل من خلال المسارات الهجرية ، رغم انهم لا يتصورون الصعوبات و العراقيل التي يجب ان يواجهونها في هجرتهم السرية. في المقابل يفضلون خوض هذا هذا الخطر أمام بقائهم في منازلهم و عيش حياة يعتبرونها بدون أمل. والباقي من الفاعلين يرجعون هذا الخطر الى مساعدة الله.

الرمز الثقافي الديني ، المعروف بالمكتوب ، الله هو الذي يتحكم في الحياة و الموت ، و لهذا نجد ان دور العقيدة في مساعدة الله أو قوى أخرى التي يعتقد ان الإستعانة بها ضروري و سيساهم بشكل مباشر في إنجاح مشروع الهجرة السرية و ايضا التخفيف من حدة الخوف و فكرة التراجع عن الهجرة. بل القناعة بما يقومون به ومدى أهميته في تحسين حياتهم ، حتى اننا لا نستطيع تغيير فكرة الذهاب او ايقافهم عنها. و سنتطرق في الفصل القادم لدور المعتقد في الهجرة السرية)

الباحثة بولين كرنييه[358] تصف الهجرة السرية عن طريق القوارب ، بالسفر الخطير فالكثيرون فقدوا حياتهم في هذا النوع من الهجرة السرية. و قد حددت هذه الخطورة كالآتي:

- **الخطر الأول** : في هذا النوع من الهجرة السرية في البحر ، فماء البحر يعتبر مهدد هام لتواجده المستمر في القارب و صعوبة افراغه.

- **الخطر الثاني** : هو السقوط من القارب و ذلك في حالة النوم. فأغلبية الحراقة ينامون بالفوج أو ينامون ملتصقين ببعضهم و ذلك للإستنجاد في حالة السقوط.

357 .Carnet Pauline, op cit, p 174.
358. Ibid, p 175.

- **الخطر الثالث** : و هو النظافة و نقص الأكل و ماء الشرب ، ففي بعض الحالات يشربون الحراقة ماء البحر فيتعرضون الى مشاكل صحية. و ايضا تنشب صراعات قوية بسبب ندرة الأكل او حتى فقدانه.

- **الخطر الرابع** : يتمثل في المشاكل التقنية ، كتعطل المحرك ، او نفاد البنزين ، و المشاكل الطبيعية ، كالعواصف المطرية.

- **الخطر الخامس** : الرقابة البحرية من طرف شرطة الحدود للبلد الأصل وأيضا لبلد الإستقبال باستعمال الرادار ، والتعرض الى الإرجاع قبل الوصول الى الضفة الأخرى.

1- تزايد إحتمال مخاطر الحرقة عند المرأة :

يصنف الباحث[359] في مقاله درجة الخطورة التي تتعرض لها المهاجرة فيضع الموت في أول الترتيب ، ثم في المرتبة الثانية ، حجزها من طرف بعض الجماعات الإجرامية ، من أجل العمل بالقوة في مجال الجنس ، كالدعارة والإغتصاب ، و أشكال أخرى للإستعمال الجنسي.

و إضافة أنواع أخرى للعنف ، بمختلف أشكاله ، و التي تحط من كرامة المرأة كإنسانة و الذي يزيد من حدة العنف كونها أنثى ، مثل السخرية و الأقاويل التي تمس شرفها و سمعتها أو حتى قيمتها المعنوية.

مقارنة بالهجرة السرية التي ندرسها فإن النساء المهاجرات من أمريكا الوسطى يجب أن يقمن بسفرهن في مسافات تعد بالآلاف من الكيلومترات و لعدة أيام ، والتي عليها عبور أكثر من حدود ، بدون نسيان أكثر من 4000 كيلومتر التي تضاف حسب مسار المتخذ ما بين الحدود الجنوبية و الحدود الشمالية للمكسيك.

359 .Guillermo Alonso Meneses, « La dimension féminine de carrefour clandestin de la frontière Mexique-états unis », **Acte de Colloque mobilités au féminin**, Tanger, 15-19 novembre 2005, p 15.

يشرح الباحث[360] أن المهاجرة ، تتعرض في مسارها الهجري إلى مختلف الجماعات الإجرامية ، و الذين يتصفون بالعنف و القساوة أو إلى حوادث تعرضها إلى الإصابة و المرض ، و يصف قساوة هذه التجربة و هي تخلي الجماعة الهجرية ، عن عضو منها بسبب عرقلته و تأخيرهم في مسارهم أو عجزه عن مواصلة السفر بسبب مرضه أو تعبه فهم لا يبالون به و يتركونه في وسط الصحراء ، أو يرمونه من القارب في البحر. يشير الباحث أن المهاجرات تحمل من خلال وضعيتها كإمرأة و كأنثى ، من أكثر الجماعة الضعيفة و الهشة ، و التي يسيء التعامل معها و هي مضطهدة ، في حالة مرورها من الحدود ، لكن يضيف أنها في حياتها أيضا ، و عندما نتذكرها بعد موتها. فهي تراديجيا التي يجب أخذها بعين الإعتبار في المجتمع المكسيكي.

يقدم الباحث[361]، إحصائيات مهمة عن عدد الموتى في مدة الإثنى عشر سنة الأخيرة في الحدود ما بين المكسيك و أمريكا و هي لا تقل عن 4000 آلاف شخص وتمثل المرأة ما بين 20% إلى 25 % و حسب تقديره ما بين 700 إلى 1000 إمرأة ميتة.

من خلال حصة تلفزيونية[362] Envoyé Spécial في القناة الفرنسية الثانية تم عرض روبورتاج للهجرة السرية la traversée clandestine ، يعالج فيه الصحفي ظاهرة موت الحراقة ، أن أمام موت الحراقة في البحر عن طريق القوارب ، لا تجد الدولة الإسبانية سوى دفنهم تحت هوية مهاجر مجهول ، فيصبح يحمل رقم وتاريخ الدفن فقط ، لا يوجد فرق ما بين ذكر أو أنثى ، أو حتى مسيحي أو مسلم.

360 .Ibid, p 9.
361. Ibid, p13
362 . Deniau Grégoire, La traversée clandestine sur Envoyer Spécial, France 2, op cit.

صورة رقم 28 : تبين مقبرة المهاجرين السريين في إسبانيا.

صورة رقم 29 : تبين قبر المهاجر سري يحمل عدد 08 و تاريخ الدفن

نعتبر أن الهجرة السرية ذو حدين ، فهي تسهل إنخراط المرأة في الحراك الهجري بالنسبة لغير القادرين على الذهاب بالطريقة الرسمية ، لكن في المقابل تشكل فضاء الذي توضع فيه المهاجرة امام احتمال الموت عبر المسار البحري. و في عدد خاص للمرأة لمجلة مغربية[363] ، وضعت صورة شنيعة لمهاجرة سرية قد عثر عليها في شاطئ . نلاحظ أن هذه الصورة تظهر المأساة و المعاناة التي تعيشها الحراقة ، و التي تدفعها في بعض الحالات إلى مواجهة مخاطر كبيرة و التي تكون نتيجتها الموت .

صورة رقم 30 : تبين مهاجرة سرية ميت على شاطئ

363. El Azizi Abdellatif , « émigration clandestine. Le calvaire des harragate », **Telquel Online**, édition spéciale 8 mars, n=° 166, du 5 au 11 mars 2005, p 12. http://www.telquel-online.com/archives/166/sujet4.shtml

حتى أن خريطة Morts des migrants clandestins aux portes de l'Europe تظهر ارتفاع عدد المهاجرين الموتى بسبب الغرق في منطقة الغربية للعبور ، التي تمس كل من غرب الجزائر و ممر جبل طارق متجهين نحو إسبانيا ، و حسب جمعية عائلات ضحايا الهجرية السرية و مركز شرطة الحدود يقدر عدد المهاجرين السريين الموتى حوالي ثلاث آلاف (3000) ، ما بين ديسمبر 2003 و 2006 ، فتأخذ ظاهرة الهجرة السرية الصفة المأساوية ، بالنسبة للعائلات و المنظمات الدولية و حتى للباحث الذي يعالج هذا الموضوع.

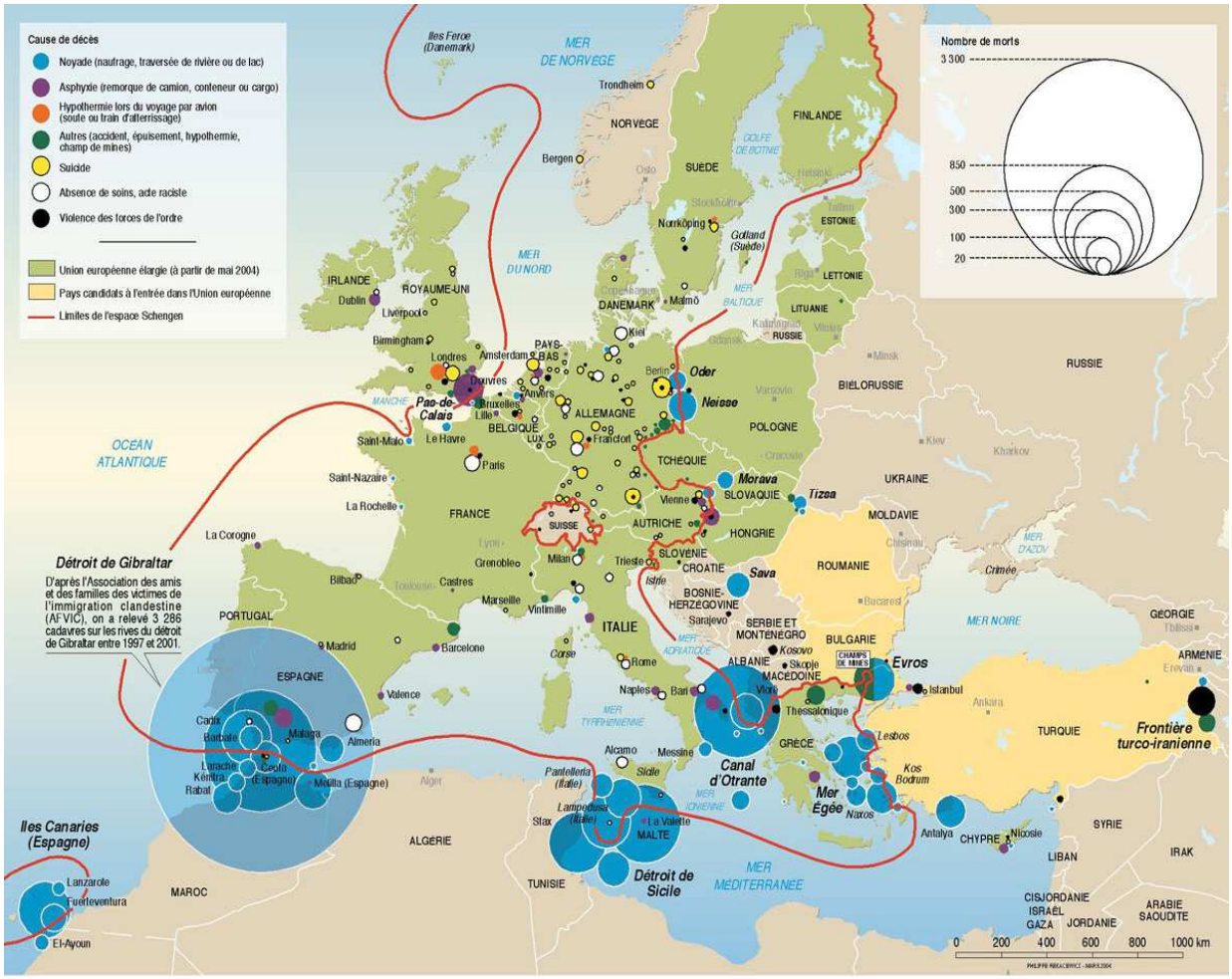

خريطة رقم 03 : تبين عدد موتى المهاجرين السريين بالموانئ الأوروبية سنة 2006.[364]

364. Sources - carte 2006 : Olivier Clochard (Migrinter), Alain Morice (CNRS, Paris), United for Intercultural Action, Gibraltar : Association des familles de victimes de l'immigration clandestine (AFVIC), police aux frontières (PAF) des ports de Nantes et de la Rochelle, Jean Christophe Gay, Les discontinuités spatiales, Economica, Paris, 1995, Le Monde, AFP, Reuters, AP, Eleftherotypia (Athènes).

إضافة إلى خطر الموت ، تتعرض المهاجرة السرية إلى العنف الجنسي و حتى العنف الرمزي ، حيث تم إحصاء 12000 إثنى عشر ألف حالة ، منها 109 ترجع إلى إغتصاب ، 2309 ترجع إلى المعاملة السيئة كالشتم و الضرب[365].

2- المهاجرة السرية أمام عنف الجنسي:

حسب مختلف الباحثين الذين كان موضوع دراستهم حول الهجرات نحو الطريق الصحراوي. يظهر تعرض المهاجرات خلال مغامرتهن مرارا لعنف الرجال ، سواء الحراقة مثلهن ، او الشرطيين ، الجمركيين ، المستخدمين ...الخ.

و أيضا نجد العنف الجنسي[366] ، المتمثل في الإغتصاب ، تتعرض الى علاقات جنسية بالإجبار في مراكز تواجد المهاجرين الموجودة على مستوى ابواب اوروبا. فالمهاجرة التي لا يرافقها زوجها عليها قبول العلاقات الجنسية مع افراد بلدها ، والذين يرغبون في هذه العلاقة . فالحراك النسوي يصبح سهلا ، لكن مقابل ثمن باهض ، و المساهمة الجسدية (الإغتصاب ، العمل في الجنس – الدعارة -)، ما لم تكن محمية برجل و محمية من خلاله (منه). في بعض الحالات تتعرض المهاجرات ايضا الى عنف من طرف الحماة ، فتختار المهاجرة وضعية الزواج للإستفاذة من الحماية الذكورية. فهذه الأزواج الحقيقية او المزيفة هي عبارة عن تبادل الخدمات ، (النقود مقابل الحماية) و الذي يسمح للنسوة الحراقات بتفادي الإغتصاب و العنف بمختلف اشكاله.

من خلال الميدان ، لقد لاحظنا ان الحماية التي تستعملها الحراقة لا تتوقف على الرجل فقط ، بل تستعمل فاعل آخر وهو طفلها او وضعية الحمل هي الأخرى تعتبر واقية ضد لتعرضها للإغتصاب و العنف.

365 .Gautier Arlette, « Les violence contre les femmes dans les pays en développement », **Revue Asylon(s)**, n°=1, octobre 2006. http : //www.resau-terra/ article 536.html
366. Carnet Pauline, op cit, p 214-215.

فحسب ميلود (صاحب الفندق) المرشد ، ان احد الحراقات في الفيديو الذي بحوزتنا في بحثنا ، كانت حامل ، و ايضا ان الحراقة الذكور كانوا يعرفونها (علاقة صداقة أو حميمية) ، فالعنف و الإغتصاب لا يظهر في هذا النوع من الهجرة السرية ، لوجود مفهوم الرابطة الإجتماعية ، بنت البلاد ، و ايضا غياب الشبكات الإجرامية التي تتجار في الجنس ، فلهذا لا تتعرض الحراقات لهذا النوع من العنف لقرب المسافة التي تقطعها على مثن القارب.

و ما لاحظناه ضمن تصريح الحراقات في حالة كل من سامية التي رافقت أخاها الممرر و فتيحة التي ذهبت مع أولاد الحومة ، فحسب تصريحها ان علاقة الإنتماء من نفس الحي الشعبي ساعدها كثيرا ، في اتخاذ قرار الهجرة السرية ، فهي تعتبر انها ليست لوحدها في هذه الرحلة و سيخفف عنها ضغط الخوف من المأساة والموت ، و ايضا انها تملك الحماية المؤكدة من اولاد الحومة.

سميرة: " الشاشرة ما خربوش فيا، علاخاطرش راني كيما ختهم، و بنت الحومة، تجيهم عيب، و خافوا من خوتي و الفاميليا، لصراتلي حاجة "

و حالة وهيبة ، التي عبرت بشكل جيد عن استعمالها للحماية الذكورية ، فباتخاذها الزواج من مغربي حين وصولها الى المغرب بطريقة غير شرعية (الإنتقال عبر الحدود البرية من منطقة الغربية ، ولاية مغنية) ، استعملت استراتيجية الحماية الذكورية بالزواج المزيف ، و وثائق مزيفة ، - يوجد شبكات متخصصة في وثائق الزواج المزيف – و انتقلت مباشرة الى الحدود المغربية الإسبانية ، مليليا و سبتا، فتم القبض عليهم و ادراجهم الى مركز المهاجرين ، فحسب تصريحها انها اتفقت معه قبل العبور ان هذا العقد لا يجبرها على اي شيء، خاصة العلاقة الجنسية وينتهي بالنسبة لها عند اجتياز الحدود و الوصول الى اسبانيا و لسوء الحظ، فشلت الإستراتيجية بالتحاقهما الى مركز اللاجئين ، فقررت الإفتراق من الزوج المزعوم و الإندماج مع المهاجرات، رغم رفضه هذه الفكرة، فقد أصرت، لخوفها من اجبارها على العلاقة الجنسية و حتى استغلالها ماديا.

هذا النوع من الهجرة النسوية، يصبح مغامرة حقيقية تخوضها الفاعلة، معرضة نفسها لأخطار عديدة و أيضا يصبح المشروع الهجري الأول ، حسب القرص والظروف و الإمكانيات التي تتاح لها في اجتيازها لهذا المسار البري، من بلد إلى آخر، و خطر العلاقات الجنسية و عدم حمايتها يعرضها إلى الإصابة بفيروس السيدا (vih).

و تفيد المهاجرات ، أن مسارهن يؤدي بإلتحاقهن ببلدان عديدة و في كل مرحلة تبقى مدة معينة حتى يتسنى لها التنقل إلى بلد آخر و هذا بفعل جمعها للمال من أجل العبور. و تلتجئ للعمل كخادمة أو كعاهرة في المقاهي الليلية ، و حتى التسول في بعض الحالات التي ينعدم فيها فرص العمل ، و تصل فترة الإنتظار من شهر إلى عدة شهور و مدة الوصول تتراوح ما بين سنة إلى سنتين.

من خلال حصة تلفزيونية Envoyé Spécial في القناة الفرنسية الثانية ، فعند مشاهدة هذا الروبورتاج[367] ، نرى أن أحد المهاجرين السريين هو في الأصل أنثى ، لأنها تقمصت شخصية ذكر خوفا من تعرضها للإغتصاب و إلى الضرب إذ تشرح معاناتها و الإحساس بالخوف المستمر جراء كونها أنثى و ليس ذكرا.

نستنتج العديد من المخاطر التي يتعرض لها المهاجرون بصفة عامة و التي تخص الذكر خصوصا ، أما عن الأنثى فكالمعتاد نتجاهل هذا الجزء من الهجرة السرية النسوية و المخاطر التي تتعرض لها عند خوضها السفر فزيادة على مخاطر السفر ، الموجودة في الروبورتاج : طول الإنتظار في دول العبور و التي تتعدى السنة ، كما لا حظناه قد تصل إلى خمس سنوات للبعض منهم ، الشتم ، الضرب و الحبس من طرف شرطة دولة العبور (مثل الجزائر و المغرب) بإعتبارها جنحة يعاقب عليها القانون ، سلب ما يملكونه ، المرض ، الموت عن طريق القتل أو الغرق ، الجوع ، الإنهيار العصبي ، التهديد ، فكل ما ذكر تتعرض له

367. Deniau Grégoire, La traversée clandestine sur Envoyer Spécial, France 2 , op cit.

المرأة زيادة إلى العنف الجنسي ، كالإغتصاب ، و العمل في الجنس رغما عنها تحت التهديد ، إحتمال كبير لحملها و التخلي عنه في مسار عبورها لمختلف الدول.

تتعرض المرأة المهاجرة سرية ، من خلال هجرتها إلى مخاطر حقيقية مما يدل على قوة الفاعلة لتحمل مختلف الأوضاع الصعبة سواءا في بلدها الأصل من إضطهاد و حتى عند هجرتها السرية لم تسلم من هذه الممارسات فهي تخاطر بحياتها أكثر من الذكر. و هي تشير إلى الحذاء الذي صنعته ، بطريقة مذهلة ، وهذا بإستعمالها للقارورات البلاستيكية و قطعة قماش فقط ، فهي تحاول تجاوز كل الظروف و العقبات الصعبة التي تعترضها في مسارها الهجري السري.

© France 2

صورة رقم 31 : تبين المهاجرة السرية الإفريقية في مظهر ذكر.

صورة رقم 32 : تبين الحذاء الذي صنعته المهاجرة السرية

صورة رقم 33 : تبين الحذاء الذي صنعته المهاجرة السرية

لكي نستطيع تصور درجة هذا العنف ضد المرأة ، يصرح الباحث[368] أنه في وسط صحراء المكسيك ، يوجد مكان به شجرة سميت بشجرة **"الملابس الداخلية النسوية"** ، فعند إغتصاب أحدى المهاجرات السريات ، يتم إظهاره ذلك بتعليق أحد ملابسها الداخلية ، كوسام الذي يفتخر به كل عضو من الجماعة الإجرامية.

و يذهب الباحث إلى أبعد من هذا أنه ، يعطي لهذا الخطر و العنف طبيعة و صفة ثقافية ، و هذا من خلال تصريحات المهاجرات السريات ، أن المهاجرين المرافقين ، إن كانوا من الممررين أو أفراد من البلدة او العرق ، يستغلون المرأة جنسيا ، فهذا يعطيهم حق و شرعية هذه الممارسات الجنسية بفعل الثقافة الذكورية للمجتمع الذي ينتمون إليه .

حراقات حالات الدراسة محضوضات لعدم تعرضهن إلى نفس المخاطر التي تتعرض لها مثيلاتها الحراقات الإفريقيات و وهيبة تؤكد على إختلاف نوعية الهجرة السرية التي يمارسونها الجزائريين مقارنة بأفارقة أو المغاربة و تصفها باللوكس .

" أحنا الحرقة أنتاعنا اللوكس، بابور جديد، موتور مجهد، و حتى الحراقة أنتاعنا ماشي مبهدلين، بصح كو تشوف لوخرين لي أفريكان، الحرقة نتاعهم ميزيريا هما و لمراركة، حنا خير منهم "

ترى الباحثة [369] أن المهاجرة، معرضة بطريقة خاصة للعنف و تذكر أيضا خاصة النساء اللواتي يهاجرن بطريقة سرية. و هذا بسبب تجاهلهن للنظم التشريعية وتعاملات بلد الإستقبال و حتى لغته ، و مكانتهن الإجتماعية الهابطة ، ونقص خبرتهن في الحراك و التنقل و حتى الإتصال الإجتماعي ، و تعرضهن إلى السجن.

368 .Guillermo Alonso Meneses , op cit, p16.
369 .Gautier Arlette, op cit.

و رغم الإهتمام الموجه لهذه الفئة من طرف المنظمات العالمية ، تبقى المهاجرات السريات أقل حماية ، و تقتصر الدول الأصلية على إقامة مراكز اللاجئين و في بعض الحالات ، تساهم في تكاليف السفر لإرجاعهم لبلدهم. و تعتبر أن الدعارة والتجارة بالنساء هو واقع متواجد أكثر فأكثر و هذا بتطور السياحة و الهجرة عموما.

- **خـــلاصـــة**

قد أكدت تصريحات الحراقة و الحراقات في إستخدام ذلك المعتقد لغرض حمايتهم من كل سوء و تفويض له بعض الأعباء النفسية ، كالقلق و الخوف. فنعتقد أن الخلفية الدينية ، كعامل مساعد في الهجرة السرية و التي لا يمكن تجاهلها ، والتمسك القوي و القناعة التامة للفاعلين (ذكور ، إناث) بمشروع الهجرة السرية. فتواجد مختلف العراقيل و معرفتهم المسبقة للمخاطر ، حتى إحتمال الموت ، لا يستطيع توقيف هذه الحرقة ، بل بالعكس يستعملون المعتقد و إيمانهم بالله و عزيمتهم ، وآمالهم في مستقبل آخر ، الطموح للسعادة ، كل هذا يدفع كل من الحراق و الحراقة على التشجع لخوض المغامرة رغم معرفتهم و يقينهم بما سيواجهونه. و يمكن إستخذام هذا المعتقد في فشل الحرقة بإرجاعه ، أن الله لم يأذن بعد لنجاح هذا المشروع ، فيعود إلى تكراره عدة مرات ، حتى النجاح.

فالمكتوب و القضاء و القدر ، أراد الله فما شاء فعل ، فكرة الحياة و الموت ، هي ليست ملك الإنسان هي ملك الله فهو الذي يتحكم فيها. و أيضا ربط النجاح و الفشل بقدرة و قوة الله و الإستعانة بها في مشروع الحرقة أكثر من أي شيء آخر و لأنها متعلقة بالموت ، و الذي لا توجد أي قوة تستطيع أن تمنع هذا الأمر ، لا الطالب و لا الساحر بل سوى الله.

الـفـــصـل الســـادس

مـكانـة الحــراقــات
بين الرقابة الإجتماعية و الإضهاد

- **تمهيد**

ارتباط ظاهرة الهجرة السرية بالظواهر الاجتماعية الأخرى كظاهرة الأمهات العازبات و ظاهرة المرأة ربة العائلة فانتماء الفاعلة إلى الظاهرة الاجتماعية المذكورة يدفعها للجوء للحرقة في غياب حلول للخروج منها، فتختار أن تكون حراقة من خلال ظاهرة الهجرة السرية باعتقادها أنها المخرج الوحيد للفرار من عواقب هذه الظاهرة و عواقب الحرقة تكون أهون من الأولى.

أردنا ، التركيز في هذا الفصل ، على الوسط الإجتماعي الذي تنتمي إليه حالات الدراسي ، و مدى تأثير مكانتها الإجتماعية في إتخاذ قرار الهجرة السرية.

I - المكانة الإجتماعية للحراقة كدافع لهجرتها السرية :

تتحدد خصوصية الهجرة النسوية في المجتمع بالفارق الموجود بين عالم المرأة و عالم الرجل ، و اين تكون التيارات الهجرية هي نفسها ذات البنية الذكورية. فالمرأة تبقى في البلد الاصل او تلتحق بالزوج في بلد الهجرة بعد فترة زمنية.

في المقابل تصرح ميرجانة مروكفسيك[370] عن تواجد هجرة فردية للمرأة رغم عدم تقبل المجتمع لهذا النوع من الهجرة بالنسبة لها. فالفاعلات يذهبن في صف العازبات و الأرامل و المطلقات ، اذن يتعلق الأمر بفئة المرأة المهمشة بالنسبة للقيمة الاجتماعية. بمعنى انها لا تنتمي لفئة المرأة المقبولة اجتماعيا و التي تم قبولها في النظام الإجتماعي و التي تكون عاجزة عن تواجدها بمفردها. الفاعلة كمطلقة و عانسة و أم عازبة تؤكد على صعوبة تقبل هذه المكانة الإجتماعية من طرف المحيط و معاناتها في تواصلها مع الآخرين و بروز استقلاليتها.

فمكانة الأنثى تتحدد من خلال علاقتها بالذكر (الأب ، الأخ ، الزوج) و مدى سيطرته عليها و في نفس الوقت مدى خضوعها له ، فتتلقب بالأسماء التالية البنت المطيعة ، الزوجة الصالحة ، الأم المحافظة ، فكل هذه الألقاب تعطيها مكانة مرموقة و صورة ايجابية في المجتمع و إذا رفضت هذه الأدوار في المجتمع فستتعرض إلى تهميش و عزلة ، و تصبح صورتها سلبية و تلقب بالبايرة ، الهجالة ، المتمردة ، فكل هذا يحدث من خلال الخطابات الاجتماعية الغير رسمية.

370 .Morokvasic Mirjana, « Emigration des femmes suivre, fuir ou lutte »r, **Cahiers Genre et Développement**, n°= 5, 2005, p 60.

يشرح الباحثان[371] في مقالهما، مفهوم المرأة الفاسدة mauvaises femmes في العديد من الثقافات، تجري مقاربات و تنعيت ما بين مختلف الفئات النسوية المنبوذة و المعاقبات إجتماعيا. و خصوصا المثليات و المطلقات و العاهرة، والعازبة و في بعض الأحيان الأرامل و أيضا كل النساء اللاتي يعتبرن أنهن متحررات و مستقلات، متمردات، و الأكثر ثراءا، و الأكثر علما، و الأكثر إنتقالا و حراكا.

و هنا يرى الباحثان أنه يوجد علاقة ما بين الوضعية العائلية، و الحراك الجغرافي، الحرية الجنسية، و الإستقلالية العلمية، و الحيازة على التربية و على المعلومات، الحصول على المال و على المصادر، فكل هذه الأشياء في العموم ممنوعة على المرأة في أغلبية الثقافات الأبوية، و خاصة فئة المرأة الغير المرغوب فيها.

و يشير الباحثان في المقال أن هؤلاء النساء الفاسدات mauvaises femmes و التي تكون هي نفسها (المثلية، العازبة، المهاجرة، العاهرة) فتتعرض إلى التمييز الجماعي و الذي يضربهن بشكل عشوائي، فهؤلاء النسوة غالبا ما يطورن تواطئ و إتحاد من أجل مقاومة جماعية.

تصف الباحثة[372] أن هؤلاء النسوة في العموم ، يعشن حياة صعبة وغير محتملة في مجتمعها ، و ليس بالضرورة أن يكون لديها مشكل إقتصادي . فمن أجل دفع تكاليف مشروع الهجرة ، يجب على الفاعلة أن يكون لديها رأسمال un capital على الأقل ، و تصف الباحثة الفاعلات على أنهن يحملن في بعض الأحيان لـ سمعة سيئة une mauvaise réputation، إن كانت حقيقية او هذه الوصمة قد منحت لها من خلال الأقاويل الغير سليمة و الإشاعات في المحيط الإجتماعي.

371. Falquet Jules, Alarassace Sabreen, « Les femmes partie de leurs pays en raison de leur lesbianisme, un état des connaissances en France aujourd'hui », **Revue Asylon(s**), n°=1, octobre 2006. http : //www.resau-terra/ article 483.html

372. Arab Chadia, *Les Aït Ayad : la circulation migratoire des Marocains entre la France, l'Espagne et l'Italie*, Rennes, Presses Universitaires de Rennes, 2009, p 199.

هؤلاء الفاعلات متزوجات ، مطلقات، أو أرامل ، إمرأة بمفردها أو مع طفلها، إمرأة حاملة لشهادة بدون عمل، فهذه الوضعيات تدفع هنا لأغلبية منهن، التفكير في حياة أخرى في بلد آخر و الذي يكون دائما أوروبا.

إن الأبحاث حول الهجرة و التي تعتمد على عامل الجندر، فيجب على الباحث أن يأخذ بعين الإعتبار العلاقة الضيقة التي توجد في الكثير من النساء و ما بين الرغبة في مغادرة المنطقة الأصلية و مغادرة العائلة و مغادرة نظام إجتماعي ظالم.

من خلال دراسة الباحثة فيرونيك مانري، كامي شمول[373] ، و معالجتها لفئة النساء الجزائريات العاملات في مجال التجارة غير الشرعية و معظمهن مطلقات، أو أرملات أو يعشن تجربة زواج ثان ، و هن يكشفن عن وضعية إجتماعية هشة.

إنهن يخضعن للتمييز قضائيا و إجتماعيا فقط لكونهن نساء في المجتمع الجزائري. و تتعرضن للإقصاء و التهميش على ضوء وضعيتهن الزوجية، كونهن أرامل أو مطلقات أمر يجعلهن ضعيفات، و لا يستجبن للشروط التي تحكم مكانة المرأة و دورها.

و في الغالب تعيش الزوجات أزمة، ما بين الخيانة و العنف المتكرر ينتهي به الأزواج بإهمال عائلاتهم و عدم توفير احتياجاتهم. و التملص من كل أنواع الإلتزامات المالية ، و نادرا ما تجدهم يساهمون في سد مصاريف العائلية (عدم دفع المنح الغذائية للنساء المطلقات، مساهمة متدنية للأزواج في مصاريف البيت).

[373]. فيرونيك مانري، كامي شمول، ،"تجارة المرأة وجوه جديدة للحركية المغاربية في الفضاء الأورومتوسطي"، ترجمة منتهى قبسي، **مجلة النقد** ، العدد 28 ، 2010 ، ص 51.

مشروع الهجرة السرية بدأ بعد انفصالها من زوجها إذ رفضت الأسرة هذه الوضعية باسم العيب و أقاويل الناس ، بعد التجائها إلى العدالة و خوض معركة إدارية طويلة دامت سنتين و استعمال الزوج حيلا متعددة للسيطرة على الوضع فالتجأت إلى الخلع.

هذا الطلب كان جديدا حتى بالنسبة للمجتمع لأن المرأة تشتري بطريقة غير مباشرة حريتها بعد التعسف الذي شهدته من طرف الرجل.

وهيبة وحيدة أبويها التي عاشت في أسرة ميسورة الحال الأب ضابط في الجيش و الأم معلمة رغم بروز دلالها في طريقة تجاوبها معنا لكن وصفها لتشدد الصارم الذي كان يفرضه أبوها على أمها و عليها ترك بصمت القساوة و الظلم. لكن بعد خيانة زوجها لها (فترة 10 سنوات من الرابطة) ، فكانت هذه الخيانة كصدمة عميقة في حياتها التي غيرت مجراها .

" راني مطلقة ، حتى واحد ما يبغي بنته تكون هجالة ، هاك راهم يسموني "

فالمكانة الإجتماعية التي أصبحت تحملها " **المطلقة** " نجم عنها ردة فعل عنيفة من الأسرة لأنها كانت باستعمالها للخلع لرفض الزوج منحها الطلاق، فتحميلها مسؤولية تفكيك الأسرة في نظرة الآخرين –هي التي أرادة الطلاق- .

حتى المحيط نظرته تغيرت فأصبحت كما قالت " **راني امرأة لكل الرجال** " فريسة يريد كل و أحد اصطيادها.

تتعرض عراب شادية [374]، للنساء اللواتي يذهبن بمفردهن غالبا ما يكن في وضعية صعبة في بلد الأصل، قبل الذهاب. و هذا ما يميزهن عن الرجال في الهجرة و ذلك لأسباب مغايرة و مختلفة. فالهجرة النسوية تعتبر هي الحل الوحيد لمشاكلهن ، و نستطيع أن نفكر في تواجد فئة من النساء المهيئة للهجرة prédisposé à émigrer ، و التي تكون متزوجة أو مطلقة أو أرملة ، إمرأة لوحدها أو مع أطفالها، إمرأة حاملة للشهادة بدون عمل، و هذه الوضعيات تدفع أغلبية الحالات للتفكير في حياة أخرى في بلد آخر.

374 .Arab Chadia, « Emergence de circulations migratoires féminines des marocaines vers de nouvelles destinations – l'Espagne et les émirats arabes unis », **Revue NAQD**, n=° 28, Automne-Hiver 2010, p183.

أما الهوارية فتجربتها مختلفة فبحكم مهنتها التي تزاولها فانها قد وضعت في مكانة خاصة بالمجتمع التي تعيش فيه مما أثر في فرصة الزواج فأدى إلى تأخره.

" الجيران يعيطولي بالبايرة و في كل مناسبة يسقسوني الفاميليا والناس علاش متزوجتيش؟ كرهت كلي أنا ماباغياش نتزوج"

إن المصطلح الشعبي المتداول الذي يشخص التأخر في الزواج هو البايرة أي العانس فهذا شيء لا تستطيع التحكم فيه و المكتوب لا يعرفه أحد -الاعتقاد الديني- و ما زاد هذه الصورة المتأزمة أنها حلاقة فسمعتها تتلخص في أنها امرأة ذات علاقات اجتماعية مختلفة و متعددة و لا تكثرت بالناس, مغرية و جذابة و تريد إغراء الرجال (المتزوج و الأعزب) و لها خبرة جنسية معينة فحتى الرجال الذين يريدون التقرب منها فالغرض يكون في إثبات ذكور يتهم ، فالمرأة حسب المجتمع يجب أن تكون تقليدية لا تظهر جمالها و تعيش لتنتظر الزوج فقط.

هوارية تمثل المرأة العانسة أن سنها يكون لها عائق للزواج فالهروب من هذه المكانة تدفعها و الكثيرات مثلها الى الموافقة على أشياء كثيرة من أجل الزواج كخوض مشروع الهجرة السرية. الهجرة السرية تتيح للمرأة فرصة اختيار زوج المستقبل بكل حرية في المجتمع الجديد بدون قيود و الهروب من ضرورة الزواج للأخريات و حتى المطلقة تنتهز الفرصة من خلال ذهابها لكي تبتعد عن عائلتها.

بداية التفكير في الهجرة بجدية كان بسبب هذه الوضعية المتأزمة التي تتخبط فيها حالات الدراسة و تعرضها الدائم للضغط الإجتماعي ، فهي لم تجد حلا آخر سوى الهجرة السرية، فبالنسبة لها لا توجد فرصة للنجاح و التطور و وضعية لائقة للعيش. فكل من وهيبة و هوارية تعتقدان مكانتهن قد منحتهن فرصة قرار الذهاب.

فتعتبر الباحثة عراب[375] أن هذا النوع من الهجرة لا يتوقف على الهجرة الإقتصادية بل هي هجرة بسبب الضغط الإجتماعي ، و الرغبة في الهروب من البنية الإجتماعية و مناخ معاد إتجاه المرأة.

إن إستراتيجية الحراك الجغرافي للنساء[376] mobilité géographique تعتبر في أغلبية الحالات هذه ممارسات متمرد و هي البحث عن أكثر حرية. وهي التي تجنب الكثير منهن العريس الموعود و الغير مناسب لذوقهن. و في الكثير من الحالات هي معرضة إلى خطر الإنخراط في فئة " **النساء السيئات** " و التي تخرج عن قوانين تبادل الزواجي المبني على إختلاف الجنس و المهيمن في المجتمع. و يعتبرون الباحثان في هذا المسار ، أن فرضية الهجرة من أجل أسباب سياسية- جنسية politico-sexuelles (رفض الزوج، الذي يعتبر في المجتمع اجباريا). فهذا الدافع هو الأكثر أهمية مما نعتقد. فرغم أهمية العامل الإقتصادي والبحث عن حياة أفضل ماديا فالباحثان يعرضان فكرة تطوير الدراسات حول تعدد العوامل و التي تدفع المرأة للهجرة، و الأخذ بعين الإعتبار اللواتي يشككن في الشكل الكلاسيكي للزواج. و يضيف الباحثان أن بالنسبة للهجرة النسوية والإستقلالية الإقتصادية يمنحون للمرأة إستقلالية جنسية كبيرة مقابل البقاء في مكانها و بيتها.

لم أصادف في حالات الدراسة ، فاعلة ذات مكانة جد حساسة ، و هن المثليات، و التي وجدناها في دراسة الباحثة فرانسواز قيومو[377] " **نادية** " فبفعل إختلافها عن الأخريات ، و عدم فهمها و تقبلها من العائلة و الأصدقاء ، حتى أنها قامت بمحاولت الإنتحار، و قررت أنها لا تستطيع العيش في الجزائر، و المذهل أنها جزائرية و من مدينة وهران، فلا نستطيع نفي تواجد هذه الفئة رغم أقليتها، لكن في الواقع يشكلون أحد المواضيع التي تنتمي إلى طابوهات المجتمع، و التي تمثل أحد الفاعلات في التيار الهجري النسوي.

375. Arab Chadia, *Les Aït Ayad : la circulation migratoire des Marocains entre la France, l'Espagne et l'Italie*, 2009, op cit, p 201.

376. Falquet Jules, Alarassace Sabreen, op cit.

377. Guillemant Françoise, « Stratégies des femmes en migration : pratiques et pensées minoritaires repenser les marges au centre », **Thèse de doctorat**, Sociologie et Sciences Sociales, Université de Toulouse II, 2007, p 491. http://www.fflch.usp.br/ds/pos-graduacao/sites/trajetorias/txts/7h09%206%20decembre%20these%20derniere%20version%20.pdf

و في هذا الصدد إلتقينا مع أحدى المثليات في طاكسي خلال مدة إنتقالنا من وهران إلى تلمسان ، و في الوهلة الأولى لم نذرك أنها أنثى ، لكن عندما طلبنا منها تغيير المكان لأننا أنثى و الباقي كانوا ذكورا ، قد ثارت علينا بشكل عنيف ، و رفضت مبررة هذا بسوء رؤية الناس لها، و لردة فعلهم الغير لائقة، ففي بعض الأحيان يرفضن النساء الجلوس بجنبها و إذا جلس أحدهن يظهرن خوفهن منها، وهذا يسبب لها حرجا كبيرا، أما عن الذكور فينظرون إليها نظرة الإحتقار .

فبالنسبة إلينا عند ملاحظتنا لهذه الفاعلة ، فهي تمثل في حذ ذاتها مكانة أبشع في نظر الآخرين بالنسبة للمطلقة و الأرملة و الأم العازبة ، لعدم تقبلها من طرف الجنسين، الأنثى و الذكر، و لا تستطيع إخفاء هذا الإنتماء لأنه يتشكل في أبسط الأشياء، كالصوت و طريقة المشي، و اللباس. فنتصور كيف تكون الحياة اليومية لتلك المثلية ، و ما مدى مقاومتها للنظرات و الأقاويل و ردود الفعل العنيفة إتجاهها، و ما مدى تحملها للرفض المستمر لها بسبب مكانتها كمثلية.

و في الأخير تعتبر عراب شادية[378] أن عبور الحدود ، يسمح للمرأة بالتفوق وبتعدي قدراتها و تصبح إمرأة مستقلة. و مستقلة ذاتيا و حرة. و عند عودتها إلى المغرب، تأتي أكثر غنا، و بمكانة إجتماعية و عائلية ذات قيمة كبيرة و معترف بها في المجتمع مقارنة بمكانتها قبل الهجرة **l'avant migration**.

و لهذا عبور النساء الحدود الفضائية و الإجتماعية عبر الهجرة هو جراء التفكك الإجتماعي و التهميش لمكانتها، فكما أشارت له الباحثة من خلال مقالها عبور المرأة للحدود هو عبور للإرتقاء الإجتماعي و الإقتصادي.

378 . ARAB chadia, « Emergence de circulations migratoires féminines des marocaines vers de nouvelles destinations », 2010, op cit, p 193.

و تصف الباحثة[379] مسار هؤلاء النساء الجزئريات الممارسات للتجارة غير شرعية فسوف نرى أنه مسار يتميز بترقية و ادماج اجتماعي متقطع، و وضعية مهمشة خارج المعايير الإجتماعية، و غياب الحماية العائلية و القانونية. فهن ما يمكن تسميته "خارج التصنيف" ، مهمشات خارج الأطر التي يعترف بها المجتمع. فيعلوهن العار و الذل و الإهانة. و يصبح الإنخراط في نشاط التجارة الغير شرعية للحصول على مرتبة اجتماعية ذات قيمة.

L'affranchissement spatial et social à la production de fracture sociale et de marginalisation.

II - ارتباط الهجرة السرية بظاهرة الأمهات العازبات :

يعتبر د. محمد رمضان[380] أن الهجرة السرية تنشأ نتيجة الأحداث المفاجئة التي تعرض الأفراد إلى ضغوطات مختلفة، يستحيل معها التفكير الحكيم و اختيار السلوك السليم، الهجرة السرية وفق هذا المنظور تحدث بالتدرج تبدأ الرحلة بالإغتراب و الإحساس بالعزلة و القهر في الثقافة المحلية.

إرتباط ظاهرة الهجرة السرية بالظواهر الاجتماعية الغير متوقعة كظاهرة الأمهات العازبات، فانتماء الفاعلة إلى الظاهرة الاجتماعية المذكورة وإضطرارها للجوء إلى الحرقة في غياب حلول للخروج منها، فتختار أن تكون حراقة من خلال ظاهرة الهجرة السرية باعتقادها أنه المخرج الوحيد للفرار من عواقب هذه الظاهرة و عواقب الحرقة تكون أهون من الأولى.

379.فيرونيك ماناري، كامي شمول، ترجمة منتهى قبسي، مرجع ذكر سابقا ، ص 52.
380.د.رمضان محمد، " الهجرة السرية في المجتمع الجزائري، ابعادها و علاقتها بالإغتراب الإجتماعي" ، دراسة ميدانية ، **مجلة المواقف** ، ديسمبر 2009 ، العدد 04 ، ص 203.

في هذا اطار، تم تسجيل 7943 ولادة غير شرعية في سنة 2007 من بينها 7200 حالة حمل غير شرعي، أي أنهن أمهات لهن أبناء غير شرعيين سواء من أب واحد أو أكثر و ذلك حسب تقرير قامت به "جمعية أصدقاء الأطفال المسعفين"[381] . و حسب هذه الإحصائيات ، تقدر عدد الولادات الغير شرعية بنسبة 1 % من مجموع الولادات، و هذا لا يعكس حقيقة ظاهرة الأمهات العازبات في الواقع لأن هذه الأعداد غير مصرح بها سوى في المستشفيات فقط.

فيربط الباحث[382] تفاقم ظاهرة الأمهات العازبات، بنسبة تخلي هؤلاء الأمهات عن أطفالها، عند ولادتهم ، و هذا معبر عن الحالة الإجتماعية التي تعيشها هذه الفاعلة، و الشروط المفروضة عليها من طرف عائلتها من أجل إعادة الرجوع إليها. و هذا ما يفسر التخلي الكبير عن هؤلاء الأطفال.

إن العائلة الجزائرية، مثل كل العائلات في المجتمعات الأبوية، مؤسسة حول الشرف، و النسب، و الأصل. و المرأة لها دور أساسي ، فخارج عما تستطيع أن تحمله شخصيتها ، يجب عليها الحفاظ على كرامتها الجسدية ثم المعنوية، و هذا ما يبقيها طاهرة، و يبقي عائلتها على طهارتها و عدم تلطخها بالدنس[383].

ففي العائلة ، كل شيء يتم من خلال حمايتها من العار ، فليس له مدة محددة، بل ينتقل من جيل إلى جيل. فالطفل الغير شرعي يهدد العائلة في تماسكها وديمومتها و تنقلها من مقرها [384].

---

381. بكار فاطمة ، " 9033 إمرأة معنفة،7943 ولادة غير شرعية،35 ألف حالة طلاق بأي حال عدت يا عيد ؟ " ، تاريخ الإطلاع 2012/12/05 . http://www.manqol.com/topic/print.aspx?t=41028-

382 .Ben Hmida Moez, « Le vécu social des mères célibataire issues et impasses, la famille, une institution sociale en mouvance », **Cahiers Des Cercles**, ONFP, 2006, p111.

383 بوتفنوشت مصطفى ، *العائلة الجزائرية ، التطور و الخصائص* ، ترجمة دمري أحمد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1984 ،ص 36.

384. Moutassem Mimouni Badra, *Naissances et abandons en Algérie*, éditions Karthala, 2001, p 23.

فالحمل بدون زواج في المجتمع الجزائري موسوم بالعار و الفضيحة ، وبمجرد أن نفتح أعيننا على ثقافة العيب و الممنوع و الخجل نكتشف أن العديد يخشى الحديث في مواضيع حياتنا التي سميت بالطابوهات كالجنس. و بما أن الممنوع مرغوب فيه فتختار بعض الفئات السير عكس التيار. و تتشخص حالة امينة فيما ذكر سابقا لحملها خارج إطار الزواج الشرعي فهي لا تتعلق بالفاعلة فقط بل بالمحيط الإجتماعي ككل.

حالة أمينة ، هي فتاة ككل الفتيات الجزائريات نشأت في محيط أين الزواج هو الهاجس الذي تعيش وراءه الأنثى و فتى الأحلام يلاحق ذهنها في كل لحظة. فبد فشلها الدراسي في المستوى الثانوي أصبح وقت فراغها كبير، فهذه الظروف ساعدت على إنشاء علاقة مع شاب فكل فتاة في سنها كان لديها حبيب و من خلال هذه العلاقة بدأ مشروع الزواج فكانت زوجته و كان زوجها حسب تعبيرها، كان ينفق عليها و يشتري ألبسة و أشياء أخرى و حتى أنهما في اتصال مباشر كل لحظة عن طريق الهاتف.

" كان يعيطلي مرتي، و أنا راجلي، كان يقولي كي نلايم دراهم نتزوجوا، كان يشريلي، متهلي فيا خير من دارنا، كانت تبالي نورمال نروح معاه علا خاطرش يبغيني، بصح كي حملت ، كلشي تبدل "

أما زهرة الطالبة ، كان شغف إكتشاف لتجربة الحب و العلاقة الجنسية من أسباب وقوعها في الحمل . تصرح هذه الحالة أن تواجدها بالإقامة الجامعية و في وسط الطالبات ، اللواتي كن يربطن علاقات عاطفية و جنسية مع الذكر و سردهن هته التجارب و التباهي بخبرتهن فأدى بزهرة المحاولة و لكن كانت النتيجة غير متوقعة.

زهرة : " تلاقيته في كارسان كي كنت نروح لدار ، هو لول لي عرفته و خرجت معاه ، كنت باغيا نسي معاه و نحس بلي كانوا يحكوه صحاباتي في شومبرة ، بصح وليت نبغيه و يبغيني حتى نهار لي وليت بالحمل "

إن تصور المجتمع السلبي يؤدي إلى رفض الأم العازبة في العائلة ، و حبس الفتيات الأخريات (الخوف من تقليد هذا السلوك) ، و طرد الأولاد في بعض الأحيان ، قتل الفتاة و رفيقها (جريمة الشرف) ، و عند إكتشاف الفتاة **"الغلطة"** la faute تهرب . و من أجل تفادي الفضيحة بفقدان العذرية و الحمل خارج إطار الزواج ، فهي تعد الفضائح الأكثر مضرتا للأسرة، و الغير محتمل لأنه يفتعل الأقاويل الكثيرة في المحيط الإجتماعي و الشتم و الرفض الإجتماعي. و عند دخول العار إلى العائلة، كل شخص ينتمي إليها ، كل كبير و صغير يصاب به بدون إستثناء [385].

إن تسمية ظاهرة الأم العازبة بالغلطة في المصطلح الشعبي و ذلك بسبب الطريقة التي تتم بها العلاقة الجنسية ، فتصرح يمينة رحو[386]، النجاسة ، بالحيلة ، بالإستغلال و بالخديعة ، و ليس عبارة عن خيار مسئول لكن هو عبارة عن ممارسة بالصدفة ، غالبا ما يكون مخبئ ، نكرة ، فحسب تصريحات الأمهات العازبات ، يعتبرن أنها غلطة ، خطأ. و نتائج دراستها تؤكد على ذلك حيث أن 145 حالة المدروسة 143 هن عازبات يعني 98 %.

يكفي علاقة جنسية واحدة ، لكي تقع الفتاة حاملا و هذا لعدم معرفتها الجيدة بالعلاقات الجنسية و طريقة منع الحمل. و أغلبيتهن يكتشفن أنهن حامل مع بقاء عذريتهن.

أمينة : " ماكنتش عارفة بلي راني بحمل في لول ، بصح كي بديت نتقيا وندوخ صحبتي شكت و قالتلي نروحوا لطبيبة ، هكا عرفت ، هداك النهار خفت بزاف عرفت بلي حياتي غادي تولي كوشمار"

385. Ibid, p27.
386. Rahou Yamina, « Les mères célibataires : une réalité occulté », **Revue NAQD**, Automne-Hiver 2006, n°=22-23, p 49.

و تكشف الباحثة[387] عن تصريحات المبحوثات و إحساسها بالمعاناة معبرة أن حياتها ليس لها أي قيمة أو معنى و هي تتألم من الإحساس لفقدان إلى الأبد الشروط اللازمة من أجل إسترجاع المكانة الإجتماعية **le statut social d'épouse** للزوجة و للأم المحترمة، مثل إمرأة كاملة. أمام هذه الوضعية تختار المرأة، رغم عدم قدرتها في تطوير تغيير الأشياء في المجتمع ، فهي تستثمر أكثر فأكثر في تجديد طرق الحياة فهي مطمئنة لتواجد الحل الجراحي في إعادة العذرية.

و هي لا تراه كعار أو خيانة للشرف ، بل هي تصفه كإنتقام من مجتمع قاسي و الذي يسمح بكل شيء حتى التزييف و الغش أمام الصدق.

فتلتجأ الأم العازبة إلى حلول لإخفاء أثر الحمل بعدة طرق ، خوفا من المساس بمكانتها و صورتها الإجتماعية للفتاة الشريفة " بنت الفاميليا "، زوجة المستقبل ، فهي تستعمل هذه الحلول حسب قدرتها على فعله ، منها :

- الإجهاض
- إجراء عملية جراحية لإعادة غشاء البكارة
- البحث عن رجل للزواج مقابل مبلغ مالي
- إعطاء الطفل لأسرة من خلال عملية التبني

أما في حالة إختيار الأم العازبة إبقاء حملها ، تخضع المجتمع لقبوله ، فهي تتحدى التقاليد. و بفعل إستقلاليتهن الإقتصادية ، فهي المصدر الأساسي لهذه الثورة la révolte ، فتساعدهن لتحمل مسؤولية قرارهن ، لكن مقابل هذا ، المعاش من طرف هذه النسوة إجتماعيا يبقى صعب معنويا ، ففي أغلبية الحالات تعتبرهن كعاهرات ، و متعرضات بإستمرار إلى الشتم و السب و الإهانة[388].

387. Hafdane Laala Hakima, *Les femmes marocaines, une société en mouvement*, édition l'Harmattan, 2003, p 173.
388 .Ibid, p 167-168.

تعتبر السيدة يمينة رحو[389] أن ظاهرة الحمل خارج إطار الزواج ، أو الولادات غير الشرعية هي في ازدياد و تنتشر أكثر فأكثر. وتتكفل السلطات العمومية بالمواليد الجدد في حالة التخلي عنهم ، ولكن تتجاهل حالة الأمهات العازبات اللواتي تكون وضعيتهن ، دوما ، هشة. فتقرر بعضهن تحمل أمومتهن في ظروف صعبة ، هي ترى أن الأمهات العازبات يتعرضن لعدوانية في علاقة بين رجل/امرأة ينزع المجتمع وخصوصا التشريعات المسؤولية عن الرجال .

ظاهرة الأمـهات العازبات هي من الظـواهر الشـائكة و الحـساسة في المجتمـع الجـزائري و الخلفية الثقافية و الدينية هي التي تسيطر على ردة الفعل أولا الأسرة وثانيا المحيط الاجتماعي. فلهذا تحاول الأم العازبة الهروب من مواجهة أسرتها و الآخرين و ذلك باعتبارها هي المجرمة و المذنبة الوحـيـدة وتحـمـيلها المسؤولية لأن الشرف يرتبط بالأنثى و ليس بالذكر.

تعرض الباحثة[390] في كتابها ثلاث دراسات حول الأمهات العازبات ، الدراسة الأولى في سنة 1991 و بمنطقة قسنطينة ، الدراسة الثانية في سنة 1992 في ولاية الجزائر العاصمة ، الدراسة الثالثة قامت بها الكاتبة في منطقة وهران. رغم إختلاف المناطق فإن الحكم على الأم العازبة مازال يكتسي ، تصور المسؤولية ، ومحاسبة حتى أنه يصل إلى القتل ، فإن العائلة من أجل أن تمحي هذا العار ، تستطيع أن تفعل كل شيء مقابل هذا حتى بقتل الأم و إبنها الرضيع ويعتبر الحمل خارج إطار الزواج ، هو أكبر مأساة تعيشها العائلة.

389 .Rahou Yamina, op cit , p 51.
390. Moutassem Mimouni Badra, op cit, p 40.

جدول رقم 37 : يوضح نتائج الدراسات عن تصور المجتمع للأمهات العازبات

	إدانة الأم العازبة	الأم العازبة الضحية
حشوف – راقي[391]	% 44	% 59
شبيب زيداني [392]	% 62,10	/
ميموني بدرة	% 60,7	% 46,4

زهرة قررت الإبتعاد عن عائلتها بعد ظهور حملها و خوفا من إكتشاف أحد أعضاء العائلة أو الأقارب ، لإدراكها بأن ما فعلته يعد من الممنوعات أو بالأحرى من المحرمات ، فقررت الهروب من الإقامة الجامعية و الإختباء عند صديقة ، فهي تفضل إحتمال عائلتها ذهابها مع شخص تحبه ، عوض معرفتهم حقيقة حملها.

" كي شفت بلي كرشي بدات تبان ، روحت من لاسيتي و ما وليتش لدار ، ورحت عند صحبتي ، ما علابالیش بلي راهم عارفين حكايتي و بلاك راهم عارفين بلي روحت معا واحد برك "

و يشير في نفس السياق الباحث[393]، تحميل مسؤولية هذا الفعل على الفتاة وعدم إجراء حكم على الطرف الثاني من العلاقة و وصفه كالمجهول من طرف المحيط الإجتماعي أو في حالات محددة يصبح يتكفل بمسؤولية ضعيفة مقارنة بالأم العازبة. فأمام هذه الوضعية المعقدة و التي تصعب من التعايش الإجتماعي والنفسي للأم العازبة ، و التي لا تستطيع مقاومة كل من رفض عائلتها لها ومسؤولية الطفل ، و أمام مواجهة الشرطة و القانون و أيضا ، أمام هروب و تنكر الأب، و حتى إلى النعت و التسميات المختلفة و étiquetage من المقربين والمحيط الإجتماعي، و الذي يندلع منها مآسي إجتماعية.

391. Hachouf et Raki, *la représentation sociale de l'enfant illégitime et de la mère célibataire*, journée national de la psychiatrie, Oeud-Athman, mai 1991.
392. Chebib Zidani, *l'enfant né hors mariage en Algérie*, ENAP, Alger, 1992.
393. Ben Hmida Moez, op cit, p 113.

إن علاقة أمينة بالطرف الثاني ، قد تطورت حتى اكتشفت الحمل، و أخبرته لتعجيل الزواج الرسمي لكن الصدمة الكبيرة هي هروبه بحجة أنه غير مستعد لذلك و إنكاره هذه العلاقة. لم يبق لدي سوى اللجوء للهجرة السرية خوفا من مواجهة الأسرة و المجتمع كله و أيضا الطرد من المنزل العائلي و التشرد وعواقب وخيمة.

"كنت نبغي واحد، و درته راجلي درت فيه الأمان حسبته ولد فاميليا مايسمحش فيا بصح كي قوتله نتزوجوا باش نستروا غلطتنا نكر كل شيء و دار روحه بلي ماشي هو "

و يرجع الباحث أن ما تعيشه الأم العازبة، ليس الحدث أو الواقع كمأساة، بل المنعوت التي تصبح تنتمي إليه، فهي تحاول بشتى الطرق للهروب من التقاليد، والعادات ، و المعتقدات و كل الميكانيزمات الرقابة الإجتماعية و التي هي جد قاسية أمام ولادة طفل خارج إطار الزواج ، فيصبح ولد الحرام، لقيط، إبن الزنا. فالأكثر ضررا و قساوة هو الصورة التي تبقى تحملها هي وإبنها إلى مدى الحياة.

حسب أمينة (حالة الدراسة) الذي كان حملها الغير شرعي كصدمة بالنسبة لها و الذي قلب موازين حياتها فهي مرغمة على التغيير، و العيش في المجال الاجتماعي الذي يتقبل حالتها الجديدة بعد رفض المجتمع هذه الوضعية. و في هذا

الصدد مباركة بلحسن[394] تؤكد ان الفتاة مرتبطة بالعائلة و بشرفها و سمعتها يجعلها مقيدة نفسيا و معنويا مما يؤثر على استقلالها الجسدي و الذاتي.

" كل شيء كان يباني كحل و ما قدرتش نقعد و كرشي بدات تبان و راني عارفة بلي مام نروح نزله مشي هذا هو الحل خاطرش كو واحد يبغي يتزوجني خاصني نكون عازبة خفت من الكشفة ليا و فاميليا و خوتي بلاك يطردوني من دار ، فالحرقة هي لي سلكتني من كشفة "

394. بلحسن مباركة ، " العذرية و الرقابة الإجتماعية " ، **مجلة التدوين** ، مطبوعات جامعة وهران ، ديسمبر 2010 ، ص 38.

الهروب هو إختيار الأمهات العازبات من خلال الهجرة السرية ، كوسيلة للوصول إلى دولة أوروبية، أين المجتمع لا يهتم بعذرية المرأة و لا بإنجابها بدون زواج.

لم يكن الهروب لزهرة فقط بل قرر شريكها الهرب معها لرفض عائلته زواجه من زهرة و هي حامل ، و أيضا عدم تقبل هذا الطفل ، فقرر الهروب معها إلى بلد آخر من خلال مشروع الهجرة السرية .

زهرة : " رانا باغيين نروحو لسبانيا ، تما نتزوجوا ، و عاونونا و حتى واحد ما يتحكم فينا ، بصح كون نبقوا ما غادي نديروا والوا و حتى واحد ما غادي يقبلني و لا يقبل ولدي "

III – تصور المجتمع حول الحرقات :

1- وصم و تجريم الحراقات :

التصور الموجود في المجتمع[395] الذي يقسم مكانة المرأة إلى نموذجين، المرأة المشرفة و المرأة التي ليست مشرفة، و كل خرق للتعاليم المجتمع يضع المرأة في تمييز من خلال الجندر، فالإبتعاد عن صورة الشرف، البراءة، الفضيلة ، العفة وإختيار " الإستقلالية الجنسية، الحراك الجغرافي ، المبادرة الإقتصادية ، المجازفة الجسدية و التي تمس إحترام الرجال الشرفاء " كل هذه الممارسات تعرض المرأة للعقاب.

395. Carnet Pauline , « Passer et quitter la frontière , Les migrants africains clandestins à la frontière sud Espagnole », **Thèse de doctorat D'Anthropologie sociale**, l'Université de Toulouse Le Mirail, septembre 2011, p449. www.theses.fr/157816125

و هذا العقاب يتمثل في الوصم ، فيعرف الباحث[396] Goffman Erving الوصم le stigmaمن حيث العلاقات الإجتماعية و ليس السمات les attributs ويضيف أنه ليست هي الملامح الشخصية للفرد ، بل مواقفنا هي التي من شأنها أن تخلق هذا الوصم ، فيعتبره كإنتاج إجتماعي مرتبط بالتفاعلات بين مختلف الجماعات. فالعادي و الموصوم هم ليسوا أشخاص فقط بل هم وجهات نظر ، فكل فرد معرض أن يكون يوما ما موصوم و خاصة في ظروف معينة.

أما الباحثان Link et Phelan [397]، يرى أن الوصم هو سمة أو خاصية التي تعبر عن هوية إجتماعية منحطة و في سياق معين. ففي هذا التعريف للوصم ، يشرح الباحث بشكل مباشر ، الصورة النمطية التي تلتصق بالفرد و تتمثل في مجموعة من السمات الغير مقبولة. و لهذا نحن نسقط هذا التعريف على حالات الدراسة ، و التي تتواجد فيها المرأة المطلقة ، الأم العازبة ، و العانسة و الناشزة و التي تلتصق بها مجموعة من السمات الغير مقبولة.

يضيف الباحثان في مقالهما أنه يتم إنتاج المنعوت من خلال خمس أجزاء :

1- تشخيص و إلصاق بعض الإختلافات.
2- الجمع ما بين مختلف السمات السلبية.
3- التفريق ما بين نحن و هم .
4- فقدان المكانة و التمييز.
5- الوضعية و السلطة.

396 .Goffman Erving, *Stigmate, les usages sociaux des handicaps*, Paris, les éditions de Minuit, 1975, p161.
397. Link Bruce G et Phelan Jo C , « Conceptualizing stigmat » , traduit par Jacquin Pauline, **Annual Review of Sociologie** , vol 27 , 2001, p 371. phelin-link-stigmate.pdf

يعتبر الباحثان[398] فقدان المكانة هو نتيجة نجاح الوصم السلبي و إنحطاط الفرد في هرم المكانة ، فالفرد يصبح مرتبط بسمات غير مقبولة و التي تنقص من مكانتها وفي نظر الذين نعتوها ، و كمثال يذكر أهمية المكانة و مدى تأثير وتغيير هرمها من خلال العرق و الجندر في داخل الجماعة . و الدليل أن الرجال و البيض (ذات البشرة البيضاء) ، في الغالب يحصلون على مناصب السلطة و البرستيج ، أمام المرأة و السود. و يوضح العلاقة التي تربط بين المكانة المنحطة (الغير مرغوبة) و أشكال مختلفة لعدم المساواة في العلاقات الإجتماعية داخل الجماعة. أما التمييز ، فيتشخص في طريقة التعامل مع الفرد المنعوت ، كرفض طلب عمل ، أو رفض تأجير منزل ، و يشير الباحثان إلى تمييز بنيوي discrimination structurelle مشير إلى بعض الأمراض العقلية ك Schizophrénie ، التي لا تهتم مؤسسات الدولة للإيجاد الأدوية لهذا المرض بتقديم المساعدات المالية للمخابر العلمية ، لأن هذا المرض منعوت بغرار الأمراض الأخرى.

لفهم العلاقة التي تجمع ما بين كل من فقدان المكانة و التمييز ، يعتبرها الباحثان[399] علاقة تأثير و تأثر حيث بإنخفاض مكانة الفرد تصبح فرص حياته ضئيلة و بهذا قاعدة للتمييز و هو المرحلة الموالية مباشرة بعد الوصم . فيذكران أن المكانة المنخفضة للشخص قد تحول الفرد إلى أقل إهتماما بالمشاركة في النشاطات الجماعية و حتى بالنسبة لتنشئته الإجتماعية.

في نفس السياق يعرف الباحث[400] Pheterson الوصم بالنسبة للمرأة ، فيعتبر العاهرة " هي علامة العار أو المرض ، المفروضة على المرأة الفاضحة " ويضيف أن درجة صورة العاهرة تتعلق أكثر بتجاوزات المرأة لرموز التمييز الجندرية مقابل العمل في الجنس الفعلي. و هذا يتعلق بالسفر بشكل فرداني ، الإستقلالية الإقتصادية ، طريقة اللباس ، أو عمل سياسي. فبالنسبة للباحث[401] يعتبر أن تجاوز المرأة للأدوار الإجتماعية التقليدية ، كان و لازال يسمى بالدعارة والعاهرة.

398 .Ibid, p 374- 375.
399. Ibid, p 376.
400 .Pheterson Gail, *Le prisme de la prostitution*, L'Harmattan, 2001, p 95.
401. Ibid, p 147-148.

و هذا يتفق مع رموز ثقافتنا الشعبية ، عند نعتنا لإمرأة غير مرغوب فيها ، نستعمل كلمات شتم لها علاقة بالجنس ، قحبة ، مريولة ، خامجة ، فرخة و الذي يشير بالدرجة الأولى لممارستها الجنس خارج إطار الزواج الشرعي ، رغم أنها قد تكون متزوجة و عازبة ، فالهدف هو نعتها بشيء رذيل لمعاقبتها.

هذا ما أشارة إليه كل من Link et Phelan[402] ، أن الثقافة هي عامل مهم في بناء هذا الوصم ، حيث التمثلات الموجودة في عاداتنا و تقاليدنا ، يكتسبها الفرد من خلال التنشئة الإجتماعية في بداية حياة الفرد ، و عند ترسخ تلك التمثلات والمفاهيم تصبح نظريات للحس السليم les théories du sens commun.

و حسب دراستنا ، أن الوصم و النعت يتعدى ما حدده الباحثين في التعريفات السابقة كالمكانة الإجتماعية للمرأة ، بل يرتبط بمهن معينة في حالة هوارية العانسة ، كان النعت لعملها في الحلاقة ، فمهنتها كحلاقة ، منحها صورة سلبية في المجتمع.

" دايرين ، كل واحدة تخدم كوافوز راهي خامجة و لا راهي مع خامجات، و هي تكمي و تشرب و تسهر المهم الدير كل شيء ما شي مليح، أنا كرهت "

و قد يتطور تحت ظروف معينة ، كظهور الهجرة السرية النسوية و وصم المهاجرات السريات. فعند نقاشنا مع المرشد عدنان، حول تمثلاته عن المهاجرة في أليكانت ، فكانت إجابته، عن المهاجرة الوهرانية في أليكانت و عن صورتها الغير محترمة، فحسبه أنها تقوم بسلوكات غير لائقة أمام الجميع و لا تبالي بأحد، فهي تشوه صورة المجتمع الجزائري.

402. Link Bruce G , Phelan Jo C , op cit , p 378.

فإنتماء المهاجرة إلى منطقة معينة مثل ولاية وهران، يعرضها إلى وصمة جديدة ، رغم أنها تستطيع أن تتكلم باللهجة الوهرانية أو الغربية (غرب الجزائر)، و لا تقيم بها بتاتا. فهنا نرى أن الوصمة التي يتكلم عنها عدنان ليس لها علاقة بهجرة المرأة لوحدها أو سلوكها كما قال ، بل بالمنطقة التي أتت منها ، و هذه الوصمة متواجدة في البلد الأصل قبل هجرة الفاعلة، أن المرأة الوهرانية منعوتة بشكل سلبي، مقارنة بالمناطق الأخرى. و إعتمادا على المنطقة الأصلية التي ينحدر منها عدنان و هي المنطقة الشاوية، فهو قد أكد هذا التصور الذي أتى به من الجزائر إلى أليكانت لكي يصادق على حقيقته بهذه الطريقة.

فأردنا بشكل من الأشكال التحقق من تصوره، فقارنا منطقة إقامتنا بنفس المنطقة التي تتواجد بها المهاجرة الغير المحترمة، فإرتبك و أجاب:

" ما تفهمينيش بلي راني نتكلم على كل الوهرانيات، راني عارف بلي كاين ناسا ملاح جايين من وهران، كيما أنتي ، و ما تقارنيش روحك بيهم هما يعملوا حاجات ما شي ملاح، خارجات طريق، ما علابالهم بحتى واحد، حتى بالجزايريين ألي عايشين في أليكانت و راهي فرحانا هاكذا"

أمام هذه التمثلات الراسخة في أذهان الأفراد في البلد الأصل و حتى في بل المهجر ، فمهما غيرنا المكان أو البلد ، فهذا لا يغير تعاليم و قيم الثقافة الذكورية التي تبني على التمييز الجندري، و الإعتراف بالنموذج وحيد و هو المرأة المشرفة و إدانة و تجريم كل ما يتعدى هذه المعايير من مظهر و سلوك و فكر و حراك وذات و شخصية.

و حسب الباحثة كارني بولين[403] ، أن في حالة المهاجرة لوحدها خارج إطار التجمع العائلي ، يعتبر خرق للقوانين الجندرية. و الذي ينجم عنه إستعمال الأفراد في البلد الأصل لمختلف الأقاويل ، و النعوت بسبب الذهاب و هذا من أجل عمل الفاعلة في الجنس أو المتاجرة بالمخدرات و الترويج بقصص غير موجودة في الواقع.

403. Carnet Pauline, op cit, p 552.

فحتى عند غياب الفاعلة عن مجتمعها الأصل تتعرض إلى تشويه لسمعتها والنعت و تشبيهها بالعاهرة ، و هذا كله مفتعل بدافع غيرة الآخرين الذين لم ينجحوا في مشروعهم الهجري و أيضا لكسبها المال و مساعدة أسرتها لتحسين وضعيتهم الإجتماعية.

لم يكن عدنان الوحيد الذي يحمل هذه الفكرة عن المهاجرة ، بل حتى الذي يتعاملون مع الظاهرة الهجرة السرية ، فعند زيارتنا لمركز أمن ولاية تلمسان، ونقاشنا مع موظف بمكتب الهجرة، لم يتحدث عن تواجد المرأة في التيار الهجري ، و عند إصراري على تواجدها بذكر بعض المقالات الصحفية، أكد تلك المعلومة لكن بفكرة أنها ليست مهمة و معتبارا أن الهجرة السرية أي الحرقة ذكورية محظة و أن مشاركة المرأة هي من الصدفة، لا غير ، لأنها ليست إمرأة بمواصفات المجتمع.

" المراة لي تحرق ما شي إمرأة أصلا، و المجتمع لي تحرق في المرأة ما بقا والو فيه، راني نستغرب ماحشمت من عايلتها و لا من واحد، وراكي عارفة هذا نساء راهوم باينين"

و تظيف الباحثة كارني بولين[404] المهاجرات اللواتي يأتين و يهاجرن عبر القوارب المطاطية يعتبرها المهاجر من نفس البلد على أنهن عاهرات ، عند وصولهن إلى بلد الإستقبال و حتى قبل ذلك عند تواجدهن في بلد الأصل. و سبب

هذا التصور أن فردانيتها و عدم حوزتها على الرأسمال الإجتماعي الذي يقدم لها المساعدة بفضل الشبكة العلائقية التي تتكون من الجالية و الأقارب و الأصدقاء إلخ، يضعها في وضعية هشة و التي من خلالها هي مرغمة على تبادل بعض الخدمات كالسكن و ايجاد عمل مقابل علاقة جنسية و حتى النقود.

404 .Ibid, p 553.

« Une femme qui arrive en pateras, sans avoir de famille ici, un frère ou quelqu'un, c'est pas normal »

فطريقة الهجرة السرية هي أيضا أصبحت من الرموز التي تنعت بها المرأة وخاصة من المهاجر مثلها ، و عندما تصل إلى الضفة الأخرى بدون إتصال بجماعة أو الجالية ، فبالنسبة لهم أنها آتية من أجل العمل في الجنس حتما.

و هذا ما اشارت إليه ميرجانة موروكفازيك[405]، إن المرأة المشاركة في التيار الهجري الذكوري تلجأ في حالات نادرة أمام عدم ايجادها للعمل الى الدعارة، في هذا الاتجاه إن المرأة لم تسلم من هذه الصورة الحتمية لمجتمع الانطلاق : " المرأة التي تذهب هي سوى عاهرة "، بخلاف ما ذكر سابقا ان هناك مجتمعات الانطلاق الاكثر تقبلا لهجرة المرأة و التي لا تضعها في صورة الدعارة، فتتعلق هذه الهجرة الفردية للمرأة بدافع رغبتها في تجنب تبعيتها للرجل و حياتها المرتبطة بخضوعها له و اجتناب العنصرية الجنسية.

و لعل الدراسة التي قام بها آيت سيدهم[406] حول الفتاة الجزائرية الجانحة، توضح كيف تختلف نظرة المجتمع إلى الجنوح بإختلاف جنس الفرد الجانح حيث لا تتأثر المكانة الإجتماعية و الأسرية للذكر إذا ما ارتكب أي فعل مضاد للمجتمع و سرعان ما يعود إلى الإندماج فيه دون صعوبات. في حين غالبا ما تتعرض الفتاة الجانحة للنبذ، و المقاطعة من المجتمع و الأسرة على وجه الخصوص، حيث ترفض الأسرة عودة الفتاة إليها إلا إذا كانت محتفظة بعذريتها. فإذا كان هذا هو موقف المجتمع و الأسرة من الفتاة الجانحة، فهو بدون شك هو أكثر شدة اتجاه الشابة الحراقة.

405 .Morokvasic Mirjana, op cit, p 61.

406.Ait Sidhom.A, « Expression des images parentales des jeunes filles algériennes délinquantes », une étude descriptive et comparative, **Thèse de doctorat de 3eme cycle**, Université Paris V, 1984, P27.

ففي هذا الإطار يرى الباحث PHETERSON [407] أن إستعمال العاهرات من طرف المجتمع ، هو عبارة عن تخويف و ردع النساء الأخريات من ممارسات عكس العفة. فالدعارة تستطيع أن تشكل شرطة حقيقية للجندر موجهة للنساء ، فهي وسائل مراقبة تستعمل ضد كل النساء، و ليست المراة العاهرة لوحدها. فأصبحت الدعارة هي شرطة و التي تقوم بمهمة فرض إحترام قوانين الجندرية.

فحسب الباحث PHETERSON، و ميدان الدراسة أنه أستعمل النعت و الوصم ، كطريقة تتبناها الأسرة و جماعة الإنتماء و المجتمع عموما لعقاب تجاوز الفاعلات القوانين الإجتماعية (الغير رسمية)، و وضعها في مكانة مهمشة و سيئة السمعة، و حتى تجريمها ، رغم أنها في بعض الحالات لم تمارس تجاوزات لها علاقة بالجنس. مثل حالة وهيبة طلبها الخلع ، كان من المطالب الغير مشروعة بالنسبة للمرأة في المجتمع و التي لها الحق على الحصول عليه قانونيا. فهي وضعت نفسها في فئة المنعوتات و المرفوضات حتما، و عندما هاجرة بالطريقة السرية ، قد أكدت على صورة السمعة السيئة التي تحملها، و كان العقاب أشد من النعت حتى أنها حرمتها أسرتها حق تربية أطفالها، و جلبهم إلى أليكانت للإقامة معها، رغم حصولها على الوثائق الرسمية، فوالداها يشكان في سلوكاتها و يخافان من إنتقال هذه الصورة الفاسدة إلى الأطفال.

فتستخلص الباحثة كارني بولين[408] " أن النعت و الوصمة ، لا يتعلق فقط بهجرة الفاعلة لوحدها، خارج إطار التجمع العائلي، لكن بالطريقة التي تمت بها الهجرة ، و السلوك و الممارسات التي تقوم بها في المجتمع الإسباني و أخيرا الرموز الخارجية التي تعلن عنها ". و تشير أن الرموز الخارجية هي أيضا تلعب دورا مهما في تأكيد تلك الوصمة التي تحملها المهاجرة لوحدها، كتناول السجارة أمام جماعة الإنتماء و طريقة اللباس الأوروبي. كل هذا يترجم من طرف الآخرين على أن المهاجرة هي إمرأة **"سهلة المنال"** « fille facile » مقابل إرتداء المهاجرة للحجاب، فهو يجعلها تحمل صورة **"المؤمنة الحسنة"**.

407. Pheterson Gail, op cit , p 98.
408 .Carnet Pauline, op cit , p563.

و بنفس الطريقة يستعمل النعت و الوصم ، لتخويف و تحديد ممارسة وسلوك المهاجرة لوحدها في بلد الإستقبال، و لإبعادها بقدر الإمكان من الإتصال بالأخريات التي وقعت عليهن ، وصمة العاهرة من الجالية.

الباحثة[409] تشير الى تواجد الخزي و القذف في حق الفاعلات أمام العجز في مراقبتها فيترجم بالشتم و الموسومة بالعاهرة ، المعنى الأساسي من هذه التسمية أن تلك الموسومة خارجة عن المعايير الجندرية.

2-محو و إعادة توظيف الوصم :

الباحثة تصف المرأة ، أن تواجدها في بعض الحالات يتداخل ما بين نموذج المرأة المشرفة و نموذج المرأة العاهرة ، فهي لا تعتبر نفسها عند خرقها للتقاليد والعرف ، بربط علاقات جنسية خارج إطار الزواج، أنها حتما عاهرة و تعمل في مجال الجنس، بل هذه العلاقة مع الرجل مبنية على أحاسيس و عاطفة و حب .

فالمرأة لم تنعت بالعاهرة ، لخبرتها الكبيرة في إخفاء التجاوزات الأكثر وصما في المجتمع ، فكانت لديها الإستراتيجية في تغيير إتجاه هذا المشكل.

تصف الفاعلات وضعها تكتيك ، من أجل حمايتها من الوصم ، كتفادي ممارسة بعض السلوكات التابعة لفئة الموصومات ، كالتدخين و إستهلاك الكحول ، الماكياج ، الملابس العارية الكاشفة عن جسد المرأة. و حتى أنها لا تربط علاقة حميمية و جنسية مع أفراد جماعة الإنتماء (من نفس المنطقة البلد الأصل)، لتفادي إحتمال كبير لنقل الأقاويل و القصص عن سلوكها و حياتها الخاصة.

بعد قطع هذه العلاقة ، يستطيع الرجل وصم الفاعلة بأشياء وهمية و غير واقعية عقابا لها أو إنتقاما منها و أيضا لحماية سمعتها في بلدها الأصل فهي ترفض الإختلاط بأولاد البلاد ، لأنها لها دراية بالثقافة التي يحملها و إستعمال سمعة المرأة كسلطة لتقييدها.

409 .Guillemant Françoise, op cit, p 492.

و هذا ما لاحظناه في حالة وهيبة و الضغط الذي مارسه عليها ذلك الرجل ، بإجبارها على مساعدته رغم وضعيتها المالية السيئة جدا، فالخوف على صمعتها بحكم تواجده في البلد الأصل، يدفعها إلى الخضوع لمطالبه.

فمازالت إحدى الحراقات تحتفظ بإبتسامتها و تعترف أمام الحراقة الآخرين ، بحملها بدون أي خوف أو تردد أو خجل ، و تعيدها مرتين و هي فرحة. فبعبورها الحدود تحطم كل القيود و الطابوهات و نلاحظ أن الحراق لم يتردد عن تصوير هذا التصريح ، فالعقليات قد تغيرت في هذه الظروف ، لم يضع حكما عليها. فهذا المشهد يعبر بشكل واضح عن درجة تغير الممارسات بتغير الفضاء الإجتماعي من خلال الهجرة ، فأعطى الجرأة الكافية لتصريح أكثر الأشياء نعتا في التقاليد والأعراف و هو الحمل خارج إطار الزواج الشرعي.

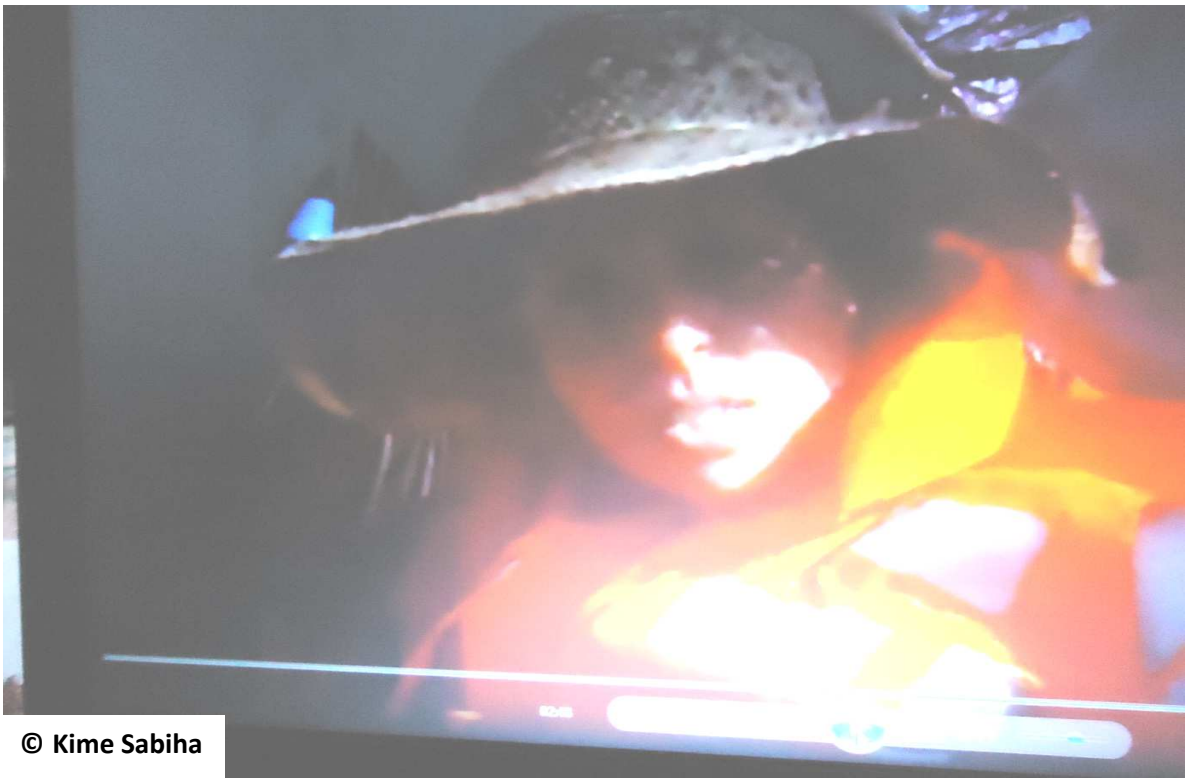

© Kime Sabiha

صورة رقم 34 : تصريح الحراقة عن حملها في الفيديو

IV -الرقابة الإجتماعية :

نلمس من خلال حالات الدراسة أن المحيط الاجتماعي المتمثل في الجيران، الأقارب، زملاء العمل، فكل هذه العلاقات الاجتماعية كانت بمثابة المراقب المباشر لكل تحركات الفاعلات و التطورات التي شهدتها خلال حياتها العائلية، الزوجية و المهنية و المدعم لهذه الرقابة هو طابع الحي الشعبي التي كانت تقطن به الفاعلات.

الرقابة الاجتماعية تتعدى هذا الإطار، حتى تصل إلى مراقبة عذرية المرأة فهي ليست ملك لها بل تعد أمرا خاصا بالعائلة و المجتمع و لا يحق لها التصرف فيه. فهو يمثل شرف العائلة و المحافظة على مكانتها من خلاله.

1- وسائل الرقابة الإجتماعية:

تشير الباحثة[410] إلى تواجد نوعين من وسائل الرقابة ، الأولى خطابية (شفاهية)، و الثانية عبر الفضاء العمومي.

أ- الوسيلة الشفاهية :

تتمثل الرقابة الجماعية على الجسد و جنسانية المرأة في المجتمع الأبوي من خلال إستعمال القيل و القال les commérage ، للجيران و الأقارب و الأصدقاء يعني كل من نعرفهم من قريب أو بعيد و هي أحد المصادر الأساسية للضغط الإجتماعي المسلط على الشابات.

410 .Carnet Pauline , op cit, p564.

يعتبر عبدلالي كرومي[411]، أن النساء لهن سلطة من خلال شبكة القيل و القال (الثرثرة) فيصبح " كلام الناس " هو أقاويل النساء، فالمعلومة نستطيع نشرها من خلال إيصالها إلى الأخريات و تقييمها، و إصدار الحكم عليها. هذا الانتشار العام للأقاويل الجديدة التي تصبح كلاما و عبارات الناس التي لا نستطيع السيطرة عليها، و إمساكها، و إدراكها، فهي تنتقل من فم إلى فم و عند وصولها إلى المكان المحدد تثبت على الأذن فتصبح غير منسية و من خلالها تكون النتيجة مس لشرف الضحية و أيضا شرف بقية العائلة و حتى الإخوة و الأخوات. تصبح الأعين والآذان، لسان الآخرين هم الحواس المفضلة من اجل إصدار حكم على كل السلوكات و الأفعال و أقاويل الناس و هذه " الرقابة الاجتماعية " تعمل عن طريق الشوافة[412] الأنظار الجماعية المنتشرة في ثقافة الطبائع و الأخلاق.

هوارية تصرح بأن المنطقة التي تسكن بها الكل يعرفها لا تستطيع الدخول أو الخروج إلا و الأنظار تلاحقها و الموضوع المفضل لديهم هو الزواج .

" كل يوم يهدرو على فلان خطب فلانة وفلان عرسه سوق الجاي و فلانة مدابزة مع راجلها و فلانة طلقت من راجلها و يكملوا بلي متزوجتش شراهي تقارع فاتها الحال كبرت بلا زواج ..."

يتبين لنا أنه تم بناء تصور حول الحراقات من خلال الأقاويل المختلفة لحالتهن الاجتماعية (عانسة، مطلقة، ناشزة، أم عازبة)، مما أدى إلى ترك انطباع سلبي حولهن و حتى داخل أسرهن و التي لا تستطيع تغييرها.

411.kerroumi Abdelali, *Trajectoires d'immigrants maghrébins, Réseaux, fratrie et mobilité sociale*, L'Harmattan, 2006, p 102.

412. عبارة عن فاعلة يتم من خلالها نقل الأخبار و رصد أخبار أخرى للجماعة فهو إعلام غير رسمي.

تجد الباحثة[413] أن الرقابة الإجتماعية أو بالأحرى الضغط الإجتماعي، يستطيع أن يتواصل رغم المسافة و الإقامة في مجتمع آخر. و هذا ما لاحظناه من خلال دراستنا، في حالة فطيمة الذي كان الإتصال بها لفترة طويلة (أسبوع) مما سمح لنا ملاحظة تفاصيل مهمة ، ففي تناولنا لفطور الصباح كانت فطيمة متواجدة كعاملة في الإطعام و أيضا منظفة في باقي اليوم ، فإنتباهنا لرائحة السيجارة التي تنبعث منها ، لكن عند تدخينها طلبت من صديقتها إغلاق الباب ، لكي لا أراها، وهذا بسبب إنتمائي لنفس المجتمع الأصلي و الدين (إرتداء للحجاب)، فهذا يرغمها على إخفاء رموز التجاوزات، لحماية نفسها من النعت و السمعة السيئة.

و في موقف آخر، تلقت إتصال هاتفي و هي جالسة معنا ، فذهبت تتكلم على جنب ، ثم اتت الموظفة تعلمها بإتصال شخص ذات إسم أجنبي، فشرحت لها بصوت خافت أنها تشاجرت معه و هي تعبر عن احساسها العاطفي اتجاهه والتمسك به رغم رفض أخته لهذه العلاقة.

فإستغربنا ، تناقض تصريحها و هي تتكلم عن زوجها و عائلتها، والزيارات السنوية التي يقوم بها زوجها و عبئ الهدايا التي يحملها معه في سفره و هي ترفض هذا البروتوكول الذي يقوم به المهاجرون ، فلم تعلن عن إنفصالها ، أو حتى إقامتها الفردانية.

أمام إخفائها عن التجاوزات التي تمارسها في حياتها ، فبعض الرموز الخارجية لهذه التجاوزات ، كرائحة التدخين و لباسها الذي يتفاوت مع سنها ، طريقة كلامها و صوتها المرتفع دائما، و نرفزتها المستمرة و أسلوب تعاملها مع الآخرين في بعض الأحيان كانت تشتم المسافرين الألمان باللهجة الجزائرية ، توحي بسمعة سيئة بدون معرفة التجاوزات الأخرى.

413 .Carnet Pauline, op cit, p565.

و لم تسلم حتى المهاجرة من الأقاويل التي تنتقل عنها في الوسط الإجتماعي من صور سلبية فتعتبر الباحثة[414] الأقاويل و القصص التي تمثل تصور تعرض المهاجرات إلى الإغتصاب و إستغلال من طرف أرباب العمل في بلد الإستقبال، كل هذا يساهم بربط فكرة العنف و الهجرة عند المرأة ، مما يحد من تنقلها، ويؤكد على إقتصار الهجرة على الذكور فقط. و من خلال أقاويل الآخرين تظهر الباحثة، أن المهاجرة تخاطر بسمعتها، فالرقابة تتم أيضا من خلال السمعة، و درجة الرابطة العلائقية في جماعة الإنتماء لها دور كبير في إستخدام الرقابة الإجتماعية من خلال القصص و الأقاويل التي تنتقل من شخص إلى آخر.

فتذكر هوارية ، الأقاويل التي كان يرددها والديها عند إتصالها بهم بعد هجرتها السرية.

"كنت كي نضرب لدار بويا يزقي و عاير ويقولي خارجة طريق ، بغيتي تروحي باش ديري لي تبغي و تعيشي مع الرجال ، و ما (أمي) تبكي يقولولي بلي فضحتهم و كل ناس تحكي عليا بلي هربت من الـدار"

و يشير الباحث[415] إلى درجة تأثير الرقابة الشفاهية من خلال الظاهرة الأمهات العازبات ، فهي تمس شرف العائلة بشكل مباشر و إلى صورة الرجل والذي سينتقذ من طرف المحيط الإجتماعي و ستتعرض مكانة الرجل للإهتزاز ولهذا نستمع مرارا، جملة ماذا سيقول عنا الناس ؟ أكثر من الإهتمام بوضعية الأم العازبة.

414 .Charpentier Isabelle, « Rituels de protection de la virginité féminine et nuits du sang dans la littérature (franco-algérienne) », in Lachheb Monia, Penser le corps au Maghreb, IRMC, Karthala, 2012, p 213.

415. Ben Hmida Moez, op cit , P112.

ب- وسيلة الفضاء العمومي :

أما الرقابة الإجتماعية في الفضاء العمومي، فتصفه الباحثة[416] بمراقبة الرجال في بعض الشوارع ، فإستيلاء الذكور للفضاء العمومي يوحي بخصوصية ظاهرة. الوقوف في الشارع، الإتكاء على السيارات، على الحائط ، الجلوس على الكراسي العمومية، التجمع قرب المحلات الغذائية، فالرجال يتموقعون و يتحدثون.

هذا النوع من السلوكات الخاص بالذكور يتميز به مختلف المجتمعات وتحديدا المغاربية منها ، فإستعمال الفضاء لتبادل الأخبار و الأقاويل و إنتقالها من جماعة إلى أخرى ، يتم في المقاهي و الشارع و أماكن العمل و الحلاق و الحمام عند مداخل العمارات ، لكن المراقبة الإجتماعية و التعرف على تحركات وسلوكات الأنثى ، و مختلف المعلومات التي تتعلق بها تكون في الشارع ، بملاحظة الذكر بتواجده في المكان ، توقيت خروجها و دخولها و نوعية لباسها والأشخاص الذين يرافقونها و نوع عملها و السؤال عنها للذكور الذين يتواجدون مثله في الشارع.

يستعمل هذا النوع من الرقابة الكثير من الأسر لتزويج أولادهم ، بإستعانة بهذه المعلومات المتواجد عن المراقبين في الفضاء العمومي و خاصة الحي.

بالنسبة لحالة وهيبة الأقاويل تعددت بحكم خروجها و دخولها للعمل و كل تصرفاتها مراقبة. الكل يعرف الآخر و هذا يسهل انتقال الأخبار عن الحياة الشخصية للأفراد حتى وصل الأمر إلى تعرضها إلى مضايقات جنسية و عروض من المقربين (الأقارب، زملاء العمل، الجيران).

416. Carnet Pauline, op cit , p566.

" كامل يعرفوني في الحومة و يعرفوا بلي راني هجالة، طلاقي خلا الرجال يطمعوا فيا، واحد من الفاميليا و واحد من بانكة حتى جاري متزوج طمع فيا "

تواجد الرقابة الإجتماعية بالنسبة للفاعلة ، لا يمنع البعض منهن إختراقها وتجاوزها بطرق مختلفة ، فهي تبني إستراتيجية ، لتحطيم تقييد سلوكاتها و فاعلية هذه المراقبة، كالتقليل من الإتصال مع الجيران و الأشخاص الذين يقطنون الحي، مد معلومات خاطئة ، تغيير الإسم، مكان العمل، الإبتعاد عن منطقة إقامتها .

فإستعمال كاتيا لإسم مستعار، مغاير تماما عن إسمها الحقيقي، فالمقربين جدا (الذين لا يمثلون الرقابة الإجتماعية) هم الذين يعرفون إسمها الحقيقي، و حتى مكان إقامتها.

الباحثة Marie-Pierre Anglade [417] تشير أن التغييرات الإجتماعية التي تتم من خلال التأملات الفردية و ظاهرة في المجال العمومي، هل تسمح اليوم بإحتمال تمثلات نسوية مثل المنقسمة ما بين مشكل المحافظة على شرف العائلة و الإفتخار الشخصي. فهي ترى أن طريقة الفاعلات في إعطاء تسمية مغايرة عن اسمها الحقيقي عند مغادرتها الحي الأصلي، يبين جيدا التخوف في إبقاء و المحافظة على سمعة عائلتها. و عند عودتها إلى الحي، نظريا لا يعرف أي شيء عن ممارستها الغير شريفة le déshonneur.

417 .Anglade Marie-Pierre, « Formes socio-spatiales du côtoiement femmes-hommes en espaces publics : normes sociales, drogues et violences au jardin « Nevada » de Casablanca (Maroc), **Revue science and vidéo**, rubrique varia, 2008. http://scienceandvideo.mmsh.univ-aix.fr/Varia/Pages/anglade.aspx

2- أنواع الرقابة الإجتماعية :

أ- الرقابة الجنسية :

المرأة الجزائرية تتمثل في مكانة الأم التي تمثل الرابطة الأساسية لتضامن وتواصل الأسـر (أسـرتها و أسـرة الزوج)، و يجب أن تـكون هـذه المـساهمـة الاجتـماعية واضـحة و ظاهرة و خالية من النقد الاجتماعي و ان تكون نتيجتها الزواج، المجسد في صورة الجماعة و الدليل هو عذرية المرأة.

تعتبر مباركة بلحسن[418] من خلال مقالها أن ظاهرة العذرية ترتبط بثقافة الشرف الذي بدوره له علاقة وثيقة بمعتقدات ، و عادات محلية محضة ، بالأخص ظاهرة الإشهار بفض غشاء البكارة التي تعرفها المجتمعات المغاربية بالخصوص ، والمجتمعات المتوسطية على العموم. و أنه يجب إعطاء الدليل لشرفها امام المجتمع و محاولة المحافظة عليه بقدر الإمكان و استخدامه في ليلة الزفاف.

الرقابة الاجتماعية تتعدى هذا الإطار، حتى تصل إلى مراقبة عذرية المرأة فهي ليست ملك لها بل تعد أمرا خاصا بالعائلة و المجتمع و لا يحق لها التصرف فيه. فهو يمثل شرف العائلة و المحافظة على مكانتها من خلاله. عبدلالي كرومي[419] يشير أن التباهي بالشرف هو من أجل إبعاد الظنون السيئة، فإظهاره و إعادة إظهاره كان ضروريا أمام أنظار الآخرين. أنظار الآخرين نستطيع رؤيتها في التحقق من هذا الشرف من خلال الأقارب و الجيران و الأشخاص القاطنين بالحي و حتى الوالدين، الإخوة، الأخوات، بمعنى مع كل من نتقاسم معهم الحياة الإجتماعية.

418 .بلحسن مباركة ، مرجع ذكر سابقا ، ص 38.

419 .kerroumi Abdelali, op cit, p 103.

و خاصة المراقبة الجنسية للمرأة[420] le contrôle de la sexualité des femmes تلعب دورا مهما لتبعيتهم و أين يكون عمل العائلة و الجماعة موسع والذي يتم من خلاله المراقبة المستمرة للطريقة التي تعيش بها جنسانيتها.

و يعتبر زمورعبد العزيز[421] أن العذرية هي ظاهرة لها علاقة بالتقاليد و العادات وهي لا تتعلق بالفتاة و عائلتها فقط، التي لا يستطيع الهروب منها كالفاعلين العائليين، و حتى المثقفين منهم.بل لها علاقة بالرجل فتصبح قضية "الشرف" ومفهوم الشرف يتداخل و يختلط بإنتمائه للمقدس. يصف الباحث العذرية بـ :" إن عذرية المرأة هي " مقدسة " sacré، و هي محفوظة حتى يوم الزواج، و تتعرض المرأة للتخلي عن هذه العذرية من أجل تشريف المقربين، و بهذا الشكل، تشرف نفسها أيضا. فهي تَطمئن و تُطمئن الآخرين. و يجب أن تبرهن على نقاوة وطهارة القيم و الصحة الدينية لعائلتها.

" كو واحد يبغي يتزوجني خاصني نكون عازبة خفت من الكشفة ليا وفاميليا "

تعتبر الباحثة[422] في مقالها، أن العذرية هي عبارة عن رأسمال أنثوي الوحيد capital féminin uniqueالمتحول في سوق الزواج. و تشير أن فقدان هذه العذرية قبل الزواج، مازالت باقية حتى الآن كمخالفة رئيسية، و التي تخرج بصفة نهائية النساء من فئة النساء الشريفات و النساء الفاضلات و التي نستطيع الزواج بهن. إن إختلاف مكانة الجنس في المجتمع يفسر إستخذام الطقوس التي تهدف إلى ضمان عدم إختراق الممنوع و أيضا عدم إحتمال وقوعه بالنسبة للأنثى ، فالغلق الرمزي لغشاء البكارة [423] و الممارسة المعمرة في المناطق الريفية، كمنطقة بوسعادة و عين الدفلة ، و حتى العاصمة و سطيف و أكثر فأكثر في العائلات المثقفة.

420. Falquet Jules, Alarassace Sabreen, **Revue Asylon(s**) , n°=1, octobre 2006, op cit.
421 .Zemmour Zen-Eddine, « Jeune fille, famille et virginité, approche anthropologique de la tradition, **Confluence Méditerrané**, 2002/2 , n° 41, p 6. COME_041_0065.pdf
422. Charpentier Isabelle, op cit, p 202-203.
423.الرباط rbat ، ربيط rbit

هذا المعتقد هو يدخل في إطار التنشئة الإجتماعية ، فأتذكر أن بنت الجارة عند زواجها ، كان النساء يتكلمون أنها كانت مربوطة ، و صباح يوم زفافها، ذهبت هي و أمها و خالتها إلى المرابط و تم فك هذا الرباط.

هذه الممارسات لا ترتبط بالمنطقة الجغرافية فقط، و لا بالطبقة الإجتماعية، فهي تنتقل من عائلة إلى عائلة عن طريق الممارسات التي يكتسبها الجيل الجديد ، الفتيات من الأمهات من الجيل القديم.

" يتمثل الرباط في الطقوس السحرية، التي تمارس على الفتاة قبل البلوغ. ويهدف رمزيا إلى إعجاز الجهاز التناسلي، و إختراق غشاء البكارة والإنجاب (لا تنتهك حرمته) "

و تبقى العذرية بالنسبة للفتاة الجزائرية هي ليس خيارا شخصيا و إقتناعا فرديا بل مثل غصب و ضغط اجتماعي contrainte sociale ، إضافة إلى أن المرأة أصبحت ، متحضرة ، الحاملة للشهادة و العاملة ، فهي تعيش حياة جنسية سرية.

la clandestinité de la sexualité féminine [424]

إن استعمال الباحثة هذا الوصف للممارسة الجنسية بطريقة سرية لهو دليل على مواصلة الفاعلات من خلال الحرقة على ما بدأته في مجال ممارسة الجنس السري و تواصل هذا المسار في مجال الهجرة و سريتها. و استخدام مختلف الإستراتيجيات المحتملة، لإنجاح مشروعها و مواصلة استقلاليتها الذاتية في إتخاذ القرارات، و أيضا الجنسية و مقاومة الضغوطات الإجتماعية التي تحدد ممارساتها و تضعها في مكانة التي ترفضها.

إن هذه الممارسة الجنسية السرية خارج نطاق الزواج (الديني، الرسمي) لا يحميها من خطر **" جريمة الشرف"** و خلافا على التبري من المرأة la répudiation وهذا ما يرغم البعض من الفتيات التي فقدت هذه العذرية تلجأ إلى عمليات جراحية بطريق سرية و غير شرعية بتواطؤ مع الأطباء[425] و التي تهدف إلى إعادة هذه العذرية بإعادة غشاء البكارة في انتظار الزواج القادم[426].

424. Charpentier Isabelle, op cit, p 213.
425 .Les hyménorraphie et l'hymen plastie
426. Charpentier Isabelle, op cit , p 213.

يصف الباحث[427] أن المرأة هي مضحية من أجل حماية القيم و أيضا الدليل لإخلاص الفاعلة لقيم الجماعة. فيصبح الرجل هو الوسيلة لهذه التضحية، و المرأة هي الضحية المجيدة، إذا حافظت على عذريتها، فالمرأة تمثل المحافظة على شرف المقربين لها و المقيمة لمهمتها. فعند خيانة المرأة لهذا الشرف فهي تشعر بالألم لمسؤوليتها و تحمل مسؤولية تلطخ إسم و شرف العائلة في المستقبل. و لهذا تتلقى الفتاة، التخلص منها و من عارها،و المسبب في الدنس و هو التبري منها و طردها من الفضاء الإجتماعي و الجماعة. و لكي يتم الإعتراف بالحكم الإيجابي للعائلة من طرف المجتمع و هو التصرف كرجل.

و يشير الباحثان[428] أن هذه الرقابة تهدف أيضا إلى الحد من وجود فئة المثليين وخوف الأفراد من إعلان الإنتماء لهذه الفئة المرفوضة بتاتا" إن المرأة التي يعتبر، سلوكها غير لائق جنسيا حسب المعايير المتفق عليها في الجماعة تتعرض إلى عقوبة. في أغلبية المجتمعات، المرأة لا تستطيع ربط علاقة جنسية خارج إطار الزواج مع رجل الذي ينتمي إلى نفس الجماعة. و اللواتي يخترن أن يمارسن ما لا يتفق به الجماعة و التي ترفضه مثل ربط علاقة جنسية خارج إطار الزواج أو خارج جماعة الإنتماء الإثني أو الديني أو الطبقة الإجتماعية. التي تنتمي إليها أو إختارت علاقة جنسية مغايرة على النموذج تباين الجنس Hétérosexuelles، هن مستهدفات لممارسات العنيفة و المعاملة المنحطة.

و يستنتج الباحث[429] أن رغم حداثة الممارسات الجنسية اليوم و التي جاءت من إحتمال فرضها على المجتمع كنظام جنسي موازي للقيم و المعايير السائدة، و الفرد يتوسع أكثر فأكثر في فرض وجهة نظره و رأيه و طريقة لباسه و حبه ، و حتى أن نظم تقليدية للرقابة الإجتماعية لم تعد لديها نفس التأثير و القوة ، كما كانت في الماضي.

427. Zemmour zen-Eddine, op cit , p 9.
428. Falquet Jules, Alarassace Sabreen, op cit .
429 .Tchak Sami, *La sexualité féminine en Afrique, domination masculine et libération féminine*, l'Harmattan, 1999, p 226-227.

و في المقابل يجد الباحث أن التحولات سوسيوإقتصادية و ثقافية المرئية لم تستطع تغيير العلاقات الإجتماعية الأساسية ، ما بين الجنسين، فالرجال يبقى هو الحاكم، هو الرئيس هو الآمر، النساء مازالت ضحية الأحكام السلبية للجنس.

هذا ما نراه كالعائق الرئيسي، لتقبل المرأة ، مثل شيء و موضوع للرغبة أو الغريزة الجنسية ، و ليست مماثلة كالرجل في العلاقة الجنسية ، فالمرأة هي التي تواصل إستمرارية هذه الأحكام الجنسية و التي يتقلص دورها بسهولة إلى عاهرة في المجتمع ، إذا تجرأت إلى منافسة من خلال قدراتها و إمكانياتها هذا الرجل والذي يضعها في مستواه.

ب- المراقبة المؤسستية :

حسب الباحثة[430]، أنه طرء تحول للمراقبة العذرية الأنثى من الوسط العائلي ، إلى المجال المؤسساتي ، و هذا من خلال وثائق عقد القران في البلديات ، فيشترط تواجد شهادة طبية تثبت عذرية المرأة عند زواجها. و حتى أنها تنفي تواجد هذه الوثيقة في قانون الأسرة المعدل لسنة 2005 لإبرام عقد الزواج. و تفسر هذه الممارسة ، أنه بعض المسؤولين في بعض البلديات مثل البليدة و الشلف ، يترجمون بطريقة تعسفية للبند 7 لقانون الأسرة في 27 فيفري 2005 ، و هو يحدد تواجد شهادة طبية تؤكد عدم إصابة الزوجين بأي مرض ، و بعض المناضلات يطلقن إسم " وثيقة العار" le document de la honte شهادة الطبية للعذرية.

هذه الشهادة الطبية للعذرية، إن لم يتم استخدامها في الملف الإداري لعقد إبرام الزواج، ففي بعض الحالات يطلبها الزوج و عائلته قبل يوم الزفاف و هذا للتأكد من شرف الفتاة، أغلبية العائلات تستعملها كدليل إثبات شرفها في حالة إتهامها من طرف أحد أعضاء العائلة الزوج أو زوجها.

430. Charpentier Isabelle, op cit, p 206.

ترى الباحثة[431] أن البعد الجغرافي، يحرر المهاجرة من المراقبة الإجتماعية من طرف مؤسسة العائلة الأصلية، و هذا التحرر ليس متواجدا عند هجرة المرأة وذهابها : إن ذهاب المرأة لوحدها، ليس هو مؤشر على تقلص مراقبة و حراكها من العائلة، و التي تتضامن دائما مع ذهاب المرأة. و من جهة أخرى هذا يدمج أن مراقبة المرأة يأخذ أشكال جديدة عند قرارها الذهاب. و يزيد من مساحة هذه المراقبة فينتقل من العائلة إلى الدولة و الذي يدفع المرأة المحرومة إلى الصراع والمقاومة من أجل الحصول على حق التنقل و الحراك الدولي، من أجل العيش والعمل بطريقة شرعية في مجتمع الهجرة.

و تشير الباحثة أن بتخلص المهاجرة من المراقبة الإجتماعية في بلدها الأصل، فهي ليست على الأقل خاضعة لقوانين الجماعة (المجتمع، الدولة...)، بل أكثر رقابة من المجتمع الفرنسي (قانون الهجرة ، مراقبة الشرطة ، عائلة جديدة).

V -الجحود القانوني ضد المرأة :

و يذكر الباحث[432] كمثال ، الحالة الشخصية للمرأة في الجزائر le statut personnel des femmes، و يعتبر أن قانون العائلة الجزائري le code de la famille يحمل بداخله ، إستعدادات عنصرية إتجاه المرأة في جانب الطلاق والإرث و بنوة filiation و حتى في النظام الزواجي.

431 .Moujoud Nasima, « Effet de la migration sur les rapports sociaux de sexe au de la des visions binaires », Femme, genre, migration et mondialisation, **Les cahiers du CEDREF**, 2008, n°=16, p 9.

432. Kobanda Jean-Paul Mopo, « Femmes persécutées en tant que femmes face à l'impossible protection juridique et politique dans leurs pays d'origine et en France », **Revue Asylon(s)**, octobre 2006, n°=1. http : //www.resau-terra/ article 487.html

فالباحث ، يذكر أن طالبات اللجوء d'asile القادمات من الجزائر، فهي دول أين الحالة الشخصية statut personnel للمرأة هو عنصري و عند رفضها للخضوع للمصير الذي سطر لها، طلب الطلاق، إعادة الزواج، تربية أطفالها لوحدها تصبح ممارسات متمردة ضد المجتمع الذي يؤسس السيادة الطبيعية للرجل و حصر المرأة في مستوى تحت الرجل sous-homme . فيصف الباحث قانون الشخصي للمرأة في الجزائر كوسيلة نظامية للعنصرية و التي تشجع الإضطهاد الموجه نحو المرأة و حصرها في صف القاصرات فهي غير قادرة على أخذ القرارات لوحدها و أي مبادرة حول حياتها الخاصة و حتى على عائلتها.

من خلال مقال الباحثة فريال للامي[433]، و التي تعالج موضوع قانون الأسرة الجزائري، المعدل سنة 2005، و التي تشير أن هذا التعديل يحافظ على نفس النقاط الأساسية لقانون الأسرة لسنة 1984 و الذي يعالج كل من شروط الزواج وتعدد الزوجات، و شروط الطلاق و العلاقة الأبوية للإنجاب.

أردنا معالجة مكانة كل من المطلقة و الأم العازبة من خلال قانون الأسرة الجزائري، و ما هي الحقوق التي يمنحها لها المجتمع حسب وضعية كل واحدة.

1-الوضعية القانونية للمطلقة :

فتشير الباحثة [434] بالنسبة للطلاق لم يتغير أي شيء في شروطه فالقرار و السلطة الوحيد ترجع للزوج في هذه الحالة.أما عن الزوجة، فشراء حريتها، تستعمل الخلع و الذي يرغمها لتقديم مبلغ مالي للزوج من أجل الحصول على الطلاق.

433 .Lalami Feriel, « Les amendements au code algérien de la famille, une réforme en trompe-l'œil », **Confluence Méditerranée**, Automne, 2006, n°= 59, p24.
434 . Ibid, p25-26.

في حالة الطلاق، كانت الزوجة مرغمة على ترك المنزل الزوجية مع أطفالها، فهنا تغير هذا البند بتوفير للمطلقة الحاضنة مسكن من طرف الزوج، فهي تشير أن تم التلاعب في هذه المسؤولية، فالإجراء لا يرغم الزوج في إبقاء و توفير المسكن للمطلقة و أطفالها، فالكثير من الزوجات خوفا من تواجدها هي و أطفالها في الشارع، تتحمل العنف و الضغوط المختلفة، أما الأخريات فيجدن انفسهن بدون مئوى و سكن بعد تعرضها للطلاق.

في حالة توفير الزوج للمطلقة مسكن فهي تجد نفسها في أحياء و مساكن تحت المستوى التي كانت تعيش فيه هي و أطفالها

وهذا ما أشارة له كل من حالة وهيبة و سامية ، أن بعد طلاقهما فهي ماكثة في بيت والديها لعدم توفير الزوج الطليق للمسكن . و سامية تعرضت لظروف مادية متدهورة بعد طلاقها و هذا بسبب عدم عملها و حتى أن النفقة التي يقدمها لطفها لا تكفي لسد حاجياته.

سامية : " راني مغبونة ، كوماشي راني عند دار والديا نقعد في زونقة ، ما عطاني والوا حتى سكنة ما دبرهاليش و كي روحت لويسيي قالي ما عندك ما ديري "

و تظيف الباحثة[435] يعتبر القانون أن الأم المتزوجة (المطلقة التي تعيد الزواج)، فهي لا تصبح حاضنة عند إعادة زواجها، إلا في حالات نادرة، و هذا بعجز الأب على تربية أطفاله أو غيابه ، و في حالات للممارسات الإستعجالية.

إعاقة و حواجز إعادة المطلقة الزواج بشرط تخليها عن حضانة أطفالها ، و هذا ما يمنع أغلبية المطلقات إعادة بناء حياتها من خلال بناء أسرة جديدة و أيضا إعادة مكانتها كمتزوجة و هي المكانة المرموقة في المجتمع، فالقانون الأسرة الجزائري يساهم بشكل مباشر للمحافظة على نموذج المجتمع الذكوري من خلال نصوصه وبنوذه، و الذي يعطي الشرعية التام للزوج ألا و هو الذكر السيطرة على على حياة المرأة حتى بعد إنفصاله عنها.

435. Ibid , p26.

لم تسلم أمال من ثغرات قانون الأسرة ، و عدم قدرتها من الطلاق ، و إستخدام الزوج لنفس هذا القانون ضدها لوضعها في مكانة حساسة جدا في المجتمع ، فأصبحت الزوجة العاصية ، المتمردة ، الناشزة بعد ما رفض منحها الطلاق ، والمذهل أنها تبقى في هذه المكانة لعدة سنوات ، و حياتها أصبحت مرتبطة بحكم قانوني.

" القانون نتاعنا معا الراجل ، يبغي يتزوج كيما يحب و طلق كيما يحب ويبهدل مرته كيما يحب ، حتى حد ما قدر ينجيني منه و بالقانون راه محكوم عليا ، حتى راني خايفة يحبسوني "

2-الوضعية القانونية للأم العازبة :

و تشير الباحثة[436]، أن هذه الظاهرة لا تمسها جرائم الشرف له دليل على قبول وتسامح المجتمع الذي هو في تحول ملحوظ ، لكن هذه العملية هي مكبحة بفعل جمود الإجراءات القانونية و الذي يعد الركيزة الوحيدة و الشرعية للإعتراف وحماية الفرد، فالقانون الشرعي، و القانون الإجتماعي يواصل في رفض تواجد الأمهات العازبات. و تصف الباحثة ضعف الوضعية القانونية للأمهات العازبات ، لعدم قدرتهن بإستخدام النسب الأبوي، تحت إطار الزواج الرسمي . أما بالنسبة للأب البيولوجي فلا يوجد أي إلتزام للإعتراف بالطفل، سوى في حالة قصور الفتاة mineur.

في حالة إبلاغ الفتاة القاصرة عن الأب، فيتم عقابه بـ 5 سنوات سجنا و الزواج بها، لكن في الكثير من الحالات يشكك في هذا النسب، إذ يمكن أن يكون لها علاقة جنسية مع آخر ، كما فعلت معي، فلهذا تستسلم الكثير من هن من التصريح عن الفاعل، و تتحمل مسؤولية هذا الطفل لوحدها. فهي مرغمة على ولادته ثم التخلي عنه بطريقة سرية. لهذا بعض النساء يذهبن إلى تونس أو المغرب من أجل إسقاط الحمل أو وضع حملها تحت صيغة المجهول[437] (x)

436.Rahou Yamina, op cit , p 58.

437 .Moutassem Mimouni Badra, op cit , p 27.

حق عدم إعتراف الأب لإبن الأم العازبة البالغة من الجهة القانونية يضعها في إشكال إداري لإثبات الإنتساب العائلي و أيضا يحرم كل من الأم و الإبن من حقوق مدنية مثل الحصول على الدفتر العائلي.

رغم تغيير بعض المجتمعات في التشريعات القانونية (انظر الملاحق ص 404) لمساعدة الأم العازية كما اشار إليه الباحث [438] ، أن القانون التونسي قد ساعد وتضامن مع الأم العازبة و طفلها من أجل تواجدها في المؤسسات الإجتماعية. رغم هذا فالإطار السوسيو الثقافي و خاصة فيما يخص التمثلات الإجتماعية حول الأم العازبة، لم تشهد هذا التحول، و بقيت الأم العازبة، تتمثل في الفتاة التي قامت بالجريمة الإجتماعية الذي يتعلق بالضمير الجمعي و الدين و خاصة بالطابو الإجتماعي و هو الجنس.

تعتبر الباحثة[439] ان قانون الأسرة يعيق التطور الإجتماعي للمرأة و لا يأخذ بعين الإعتبار تحولات الأسرة الجزائرية و التي تغيرت فيها مكانة المرأة، و ذلك بفضل إرتفاع المستوى الكيفي و الكمي لتعليم الفتاة، و تأخر سن الزواج (29 سنة في سنة 2003) و إنخفاظ نسبة الإنجاب (أقل من 3 أطفال بالنسبة لكل إمرأة). و تؤكد على محدودية هذا القانون في تحقيق الأهداف المرجوة ففي إنتظار تطورات أخرى، تستعمل المرأة بعض الفتحات او الفجوات الموجودة في القانون و التي تستطيع توظيفها كحيلة قانونية ليمنحها في هذا المعنى و الإتجاه ، أن يكون الحكم في صالح المرأة.

في غياب مساعدة المؤسسات الإجتماعية ، كالجمعيات لحماية الأم العازبة وطفلها، و تأهيل المرأة المطلقة لإندماج في سوق العمل ، فالمرأة عاجزة على تواجدها كالفاعلة إجتماعية و إثبات ذاتها ، و أيضا تحقيقه في إعادة إنتمائها إلى عائلتها و المجتمع.

438 .Ben Hmida Moez, op cit, p 115-116.
439 .Lalami Feriel, op cit, p29-30.

يضل الفرق بين مضمون الإصلاحات و تنفيذها و الإعلان عنها كبيرا جدا ، " فبعيدا عن خطابات الدولة التي تقدر دور المرأة و تنادي بتحررهن كواجهة للحداثة. فانه عندما سئلت التونسيات في استطلاع للرأي أشرن على النقيض من ذلك الى تزايد الانتهاكات الممارسة ضدهن نظرا لتواجدهن الكبير في الساحة العامة كما أبرزن التوجهات المحافظة المسيطرة على القطاع الخاص. و صور التمييز على كل المستويات. و نظام الذكورية "[440]

فإذا كان هناك مقاومات اجتماعية و ثقافية لا تزال ثابتة في تونس على الرغم من وجود القانون الأكثر تقدما في المنطقة و المطبق منذ أكثر من خمسين عاما فماذا نقول عن حالة المغرب و الجزائر؟

يبدو ان التغيرات التي طرأت على حقوق المرأة في دول البحر الأبيض المتوسط وبصفة خاصة على قانون الأحوال الشخصية تلبي الإهتمام العام بمراعاة تناسب القوانين التشريعية مع التغيرات الإجتماعية الحاصلة خلال العقود الماضية. غير انها تظهر مدى تعقيد اصدار قانون الأسرة من نطاق قضائي مسلم و تستمر في مواجهة المقاومات، تعبير مجتمع يخشى من رؤية اصوله تتهدم من قبل حداثة عدوانية تؤثر على النواة المركزية له و هي المرأة و الأسرة.

رغم من ترسانة القوانين هذه مازالت حقوق النساء تنتهك، كما ان حريتهن الشخصية محل تهديد و تعيش نساء الجنوب هذه الدراما بصورة اكبر من نساء الشمال بسبب عجز القانون و تقليد الصمت المستمر في صفوف النساء[441].

440 .Marzouki Ilhem, « La conquête de la banalisation par le Code tunisien du statut personnel », **L'Année du Maghreb**, II- 2007, p 80.

441. جون لوي فيل ، " الهجرة النسائية بين دول البحر المتوسط و الإتحاد الأوروبي "، **يوروميد للهجرة 2** ، 2009 ، ص 98.

http://www.enpi-info.eu/library/sites/default/files/StudyonWomenredGIZ_EUROMED_II_AR_L.pdf

IV -الإضطهاد و العنف ضد مكانة المرأة :

إن الباحثين [442] يصنفان العنف الذي له علاقة بإطار السوسيوثقافي، و الآتي من المجتمع عموما و من الجماعة و من العائلة ، الفاعلين الغير تابعين للدولة و هو كالتالي:

- العنف المرتبط بقانون العادات و التقاليد و الدين و الضمير الإجتماعي و ضد عدم تناسق و تطابق مع المعايير الأنثوية.
- العنصرية اليومية في ميدان الدراسة و العمل و السكن و أماكن الترفيه و الحصول على الثقافة.
- العنف في إطار العائلة و الجماعة
- الزواج الإجباري أو الإغتصاب الجماعي
- العقوبة المتنوعة ، و التي تصل إلى الإبعاد و السجن في البيت ويصل حتى القتل.

أما تصنيف الباحثة [443]عن نوعية العنف التي تتعرض له الأنثى حسب الفضاء الإجتماعي :

- داخل إطار العائلة و الذي يتسم بالضرب ، و الإعتداء الجنسي، وإغتصاب الزوج ، تشويه للعضو الجنسي.
- داخل الجماعة ، الإغتصاب ، التحرش الجنسي ، الإضطهاد في العمل وفي المؤسسات التربوية و الأخرى، التجارة بالنساء و الفتاة ،الدعارة المفروضة بالقوة.
- الإضطهاد من طرف الدولة و المقبول.
- إختراق قوانين حقوق الإنسان و المرأة في وضعيات الحرب والصراعات المسلحة و خاصة القتل، الإغتصاب الجماعي ، الإستعباد الجنسي والإنجاب بالقوة.
- إجراء موانع الحمل بالقوة و الإجهاض، و العنصرية ضد الإنجاب (حسب جنس الذكر).

442 .Falquet Jules, Alarassace Sabreen, op cit.

443 .Gautier Arlette, «Les violence contre les femmes dans les pays en développement », **Revue Asylon(s),** octobre 2006, n°=1. http : //www.resau-terra/ article 536.html

من خلال تصنيف الباحثين أن المرأة تتعرض للعنف بأشكال مختلفة و الفضاءات الإجتماعية متعددة تبدأ من الأسرة و الشارع إلى المؤسسة التربوية إلى مكان العمل و هذا لإنتمائها للمجتمع الذكوري ، فالخلفية الثقافية لممارسة العنف ضد المرأة سائدة عند الذكر مهما كان وسطه أو طبقته أو حتى سنه.

تتعرض الفتاة في المجتمع الجزائري إلى عنف بأشكاله المختلفة و الأكثر بروزا هو العنف اللفظي ، حسب تصريح أسماء (فتاة شابة) " لا يمر يوم إلا و أننا نتعرض إلى تحرش و هذا من خلال الأقاويل الرديئة و الأفكار الإيديولوجية الذكورية من طرف بعض الشباب الذين ليس لديهم عمل سوى مراقبة طريقة لباس الفتاة الشابة و التعليق عليها " [444] .

فنلاحظ أن العنف يظهر في أبسط أشكاله كالمضايقات اليومية التي تتعرض لها كل واحد منا، و قد يتعدى أشكال أكثر خطورة كالضرب و الإغتصاب.

و لهذا تشير الباحثة [445] أن ثلث النساء قد تعرضن إلى الضرب أو الإغتصاب أو الإساءة في فترة حياتهن. و غالبا ما يكون من أحد أفراد عائلتها و هذا العنف هدفه يكمن في معاقبة المرأة عند عدم طاعتها ، غرضه الحصول على خضوع المرأة وتطابقها للدور المحدد لها، و الذي يرمز إلى ملكية جسدها و وقتها من طرف زوجها. تؤكد الباحثة أن هذا العنف هو مؤسس حول الجندر بسبب مكانة المرأة الخاضعة في المجتمع.

و في بعض الدول يصبح العنف كقيمة إجتماعية ، فتوضح أنه في سنة 1999 ، أن أغلبية المصريات و الرجال الفلسطنيين يحكمون أن تعرض المرأة المعارضة والغير مطيعة للضرب هو شيء مشروع. إن 13 % من اللاتينو الأمريكان الحضريين يعتبرون الإعتداء الجنسي هو دافع مشروع للعنف. و حسب **L'OS** وهو مركز الإحصاء أن 10% إلى 15 %من النساء اللواتي يعترفن بإغتصاب من

444. K. Assia, « Expulsés d'Espagne, huit harraga placés sous mandat de dépôt », **Le Quotidien d'Oran**, 22 novembre 2006, n=° 3627, p 09.
445 .Gautier Arlette, op cit.

طرف الزوج أو الرفيق الحميم. و هذا التصور للمرأة كملكية للرجل كانت دائما موجودة في القوانين الجنائية و التي لا تعترف بإغتصاب الزوج. و تشير الباحثة إلى دراسة للقتل المرأة في إسكندرية (مصر) و التي وجدت أن 47% من النساء المقتولات كان قاتلها أحد أعضاء العائلة بعد تصريحها لتعرضها للإغتصاب وفقدانها لشرفها.

هذه الإحصائيات لا تختلف كثيرا إذا ما قورنت ، بالوضعية التي تعيشها المرأة الجزائرية من عنف ضدها، صرحت السيدة مسعودان[446] (محافظة بالمركز العام للأمن الوطني و مكلفة بقضايا العنف ضد المرأة) ، في التظاهرة التي نظمت من أجل محاربة العنف ضد المرأة أن 5047 امرأة تعرضت للعنف الجسدي من 7042 حالة سجلت سنة 2011. أما في ما يخص العلاقة التي تربط الضحية وفاعل العنف ، 3431 ليس لها علاقة به فهو غريب عن محيطها ، أما 1540 فيعد الفاعل هو الزوج و 946 هو شخص مقرب . أما الفئات التي تتعرض لهذا العنف، فالمتزوجات يقدر عددهن بـ 3723 و العازبات بـ 2012 ، أما فيما يخص المطلقات فهو 727 من المجموع الكلي .

تضيف السيدة جعفري[447] (رئيسة مركز الجزائري للمرأة) أن 64 % من العنف الذي تتعرض له المرأة هو من الدرجة القصوى، و ان الزوج هو الأول في قائمة الفاعلين بنسبة 29,4% ، يتبعه الأخ بنسبة 6 %و يليه الأب 2,1 %و في الأخير الخطيب بنسبة 2%.

446. Société : plus 7.000 femmes victimes de violences en 2011, mis en ligne, 01/12/2011. http://www.algerie1.com/actualite/plus-7-000-femmes-ont-ete-victimes-de-violences-multiformes/

447 .ALGER- La présidente de l'observatoire algérien de la femme, Djaafri Djadi Chayaa a appelé à davantage d'actions et à une meilleure coopération avec toutes les parties en vue de briser les tabous qui entourent le phénomène de violence contre la femme. by Admin le 9 déc. 2011 http://weblog-dz.blogspot.com/2011/12/briser-tous-les-tabous-qui-entourent-la.html

أما عن الإحصائيات الأخيرة ، فكشفت السيدة لويزة آيت حمو[448]، عضوة بشبكة وسيلة، لمساعدة النساء و الأطفال ضحايا العنف ، أن 216 إمراة لقيت حتفها من بين 5000 كن ضحايا العنف في الشهور الثمانية الأولى من سنة 2012، و هو ما رصدته مصالح الأمن الوطني و 24 إمراة إغتصبت شهريا. و تعرضت 190 إمرأة للإغتصاب الجماعي حسب الدرك الوطني خلال 10 الأشهر الأولى من 2012 من بينهم عجوز ذات 74 سنة، كانت ضحية و التي توفيت إثر هذا الحادث في وسط الجزائر العاصمة. و تندد السيدة لويزة آيت حمو، على إصدار قرارات ردعية ضد المتسببين في تلك الإعتداءات.

يجب الإشارة إلى أن هذه الأعداد خاصة بالمرأة لجأت إلى الشرطة فأغلبيتهن كما صرحت مليكة بولنوار (قاضية في شؤون الأسرة)[449] أنه في اغلب الحالات تمتنع المرأة عن تقديم شكوى للشرطة ضد زوجها أو أبيها أو أخيها فالأمر يختلف عندما يكون احد أفراد العائلة أو غريب عنها حيث تختلف مصداقية الأعداد عند هذه النقطة.

أما أن المرأة ذات مستوى تعليمي مرتفع فهي التي تتعرض أكثر للعنف فهذا فقط أن لها قرار مباشر بتقديم شكوى للشرطة، و لدرايتها الجيدة بالجانب القانوني والقدرة على المطالبة بحقها كضحية. أما المرأة الريفية فتفكر مرتين قبل تقديم شكوى للشرطة و هذا للإنتمائها لمجتمع تقليدي الضغط فيه أكبر.

أما بالنسبة لقانون الأسرة الذي عدل سنة 2005[450] فإنه حسب القضاة أنه لا يعالج هذه القضايا بطريقة خاصة بل المهم الذي أتى به هذا القانون هو التأكيد على الواجبات الزوجية كنفقة الأطفال ، و حقوق الزوجة كمنحها السكن ، أما في هذه الحالة (العنف) فتلجأ إلى تعيين وسيط لإيجاد الحل بدون اللجوء إلى العقوبات القانونية ، فهذا ما يبسط السلوك العنيف و أيضا يدفع على تكراره مرة أخرى.

448. ص. بورويلة ، "في ظرف ثمانية أشهر من السنة الماضية ، مقتل أكثر من 200 إمرأة و 5000 آلاف ضحية عنف"، **جريدة الخبر**، 25-02-2013 ، العدد 6996 ، ص 28 .

449. T. H, « Selon Un rapport de l'OCDE, les Algériens en tête, des immigrants en France », **Le soir d'Algérie**, 15 juillet 2010, n°= 6002, p 5.

450.عباس عبد الحق ، "القانون الجزائري يعترف بحقوق المرأة بشكل شبه كامل وفي الميدان تكابد آلاف النساء من اجل بقائهن وسط جحيم يومي".www.etudiantdz.net/vb/t1198.html

صرحت وهيبة أن في أليكانت لا يبالون إن كانت متزوجة أو مطلقة أو حتى عازبة و لديها أطفال هذا لا يهم المرأة لديها حقوق و واجبات و يوجد قوانين صارمة تحميها. إذا تعرضت إلى عنف من طرف زوجها فالقانون الاسباني صارم يزج به في الحبس مباشرة ليس كما في الجزائر الرجل إذا مارس العنف على زوجته ففي مركز الشرطة يطلبون منهم الصلح لتسوية الوضعية لكي لا يتعرض الرجل إلى إجراءات قانونية.

يعتبر مكان العمل هو أكثر الأماكن التي تتعرض فيه المرأة للعنف و خطر إحتماله. و هي تظيف أن تواجد المرأة كجسد لرغبة الرجل و الذي يعتبره لا يمكن مقاومته و ذلك فور عدم إمتلاكها من طرف رجل آخر، و هذا ما يضعها في وضعية خطر.

وصل الأمر بوهيبة إلى تعرضها إلى مضايقات جنسية و عروض من المقربين (الأقارب ، زملاء العمل ، الجيران)، بسبب مكانتها كمطلقة.

" كامل يعرفوني في الحومة و يعرفوا بلي راني هجالة، طلاقي خلا الرجال يطمعوا فيا، واحد من الفاميليا و واحد من بانكة حتى جاري متزوج طمع فيا ، و ليت مرت كل الرجال ، كل واحد يجي نولي نتاع، حتى جارنا راح شكى بيا لبابا ، و قالوا بلي أنا كونت نحوس عليه "

لم تسلم هوارية من هذا العنف كونها عانسة بل بالعكس فهي تصرح ، أن رغبة بعض الذكور في إقامة علاقة جنسية فقط ، و بشكل مباشر ، بسبب تقدمها في السن بدون زواج، فهو يعطي لنفسه الحق بالحصول على ما يريده، ما دام لا يرغب فيها أحد.

" كونت نحسب كي يجي واحد و يبغي يهدر معايا و يشوفني، راه ناوي الحلال، بصح شفت بلي يبغوني نروح معاهم في les hotels ، ما فهمتش علاه راهم يديرو هاك بصح منبعت فهت بلي فاتني زواج ، نقعد عازبة و لا ما شي عازبة ، كيفكيف عندهم"

و في بعض المجتمعات، أين المرأة ليست محمية بفعل عدم زواجها فهي غالبا مهمشة marginalisé ، و ضحية العنف و حتى عنف جنسي. و في العديد من الثقافات، جزء معتبر من الرجال يعتبرون أن النساء لا يستطعن، أن يهربن من سلطتهم و التخلي عنهم. و البعض يرون أن عليهم إرجاعهن إلى " الطريق الصحيح " بشتى الطرق، و خاصة بالإغتصاب معتبرين أنه إذا كانت المرأة ليست ملكا فرديا ، بل تصبح ملكية جماعية [451] propriété collective.

و الكثير من الثقافات لديها نظما قيمية و مؤسسات التي تشرع هذا العنف و تساعد على إستمراره ضد المرأة. فهذه السلوكات يعاقب عليها إذا كانت ضد جار أو أصدقاء أو معارف، لكن في حالة تعرض المرأة لهذه السلوكات فهي مسموح بها وحتى إن كانت في عائلتها. كل هذا مسموح به تحت غطاء التقاليد الذكورية في المجتمع أين يسيطر فيه الذكر. و معارضة المرأة لهذه التعاليم و الممارسات يعتبر كتمرد ضد النظام الإجتماعي.

فتعرض المبحوثات (حالات الدراسة) للعنف اللفظي و الاضطراب النفسي داخل الأسرة، لم يكن مصرحا به مباشرة فمن خلال سردهن لمختلف الوقائع، نلمس التهرب من الإجابة و في بعض الحالات الصمت عند وصفهن للعلاقة التي كانت تربطهن بالأب او الزوج.

451 .Falquet Jules, Alarassace Sabreen, op cit.

و هذا ما لاحظناه مع وهيبة التي تعرضت للتحرش الجنسي من زميل في المهنة ، و أيضا من أحد الجيران و حتى أمينة كانت واثقة بردة الفعل السلبية والعنيفة لمعرفة عائلتها بحملها الغير شرعي ، فهذا يعرضها إلى مواجهة الأب والأخ و أيضا تتحمل كل ما ينجم عنه من شتم و ضرب ، ربما إرتكاب جريمة بحجة المحافظة على شرف العائلة و الخوف من العار. و هذا ما يؤكد النتيجة التي توصلت إليها الباحثة موروكفاسيك ميرجانة ، من خلال دراستها للهجرة النسوية ،أن الدافع الشخصي من أجل الهجرة بالنسبة للأنثى يكشف عن الطبيعة التعسفية و التمييز الجنسي بين الرجل و المرأة في منطقة الانطلاق[452].

452 .Morokvasic Mirjana, op cit, p 58.

• خـلاصــة

اللاتطبيق للقوانين الإجتماعية و الثقافية ، من طرف الفاعلات يتم بسرية تامة ، لكن عند فقدانهن العذرية ، أو الحمل و إكتشاف هذا السلوك من طرف أعضاء العائلة و المقربين و خاصة الذكور منهم ، فيهدد بشكل مباشر مكانتها ، فتصبح صورتها سلبية و هذا ما توصلنا إليه في هذا الفصل.

تصرح الباحثة لعلا حفضان[453] أنه نادرا ما تخترق المرأة ، هذه الروح الإجتماعية l'esprit social و الذي يضع العذرية كحاجز يصعب تجاوزه. فتعتبر هذه الفئة من النساء التي تؤمن في الإستقلالية الجسد مع الروح ، تمثل قطرة من المحيط البحر ، فأغلبية النساء تحتفظ بعذريتها حتى يوم زفافها.

453 .Hafdane Laala Hakima, op cit, p 158.

الفصل السابع

الحراقات ما بين القطيعة و الرابطة في بلد الأصل و واقعها المعاش في بلد الإستقبال

- **تمهيد**

إضطراب العلاقات الداخلية التي يعشنها الحراقات داخل أسرهن ، بقطع الرابطة وإعادتها من خلال إستراتيجيات مختلفة ، و إستخدام المساعدات المادية كأهم وسيلة لتمتين علاقتها بوسطها الإجتماعي ، و إسترجاع مكانة أقوى من مكانتها السابقة كمهاجرة و زوجة ، و إبراز وضعيتها الجديدة في مجتمع الإستقبال .

I -الحراقات ما بين القطيعة و إعادة الرابطة مع المجتمع الأصلي :

تعتبر الباحثتان[454] من خلال مقالهما أن القطيعة العائلية و الإجتماعية مرحلة لا بد منها و لا مفر منها في الطريق نحو الإستقلالية الفردية و الحرية. فتصف التاجرات الغير شرعيات (البزناسيات) بوضعيهن "اللاتصنيف" و التي تجعل منهن خارج نطاق المعهود، هي نفسها التي ستسمح لهن بتخطي مصاعب الحدود الأخلاقية و كل ما هو معهود و يدين حركة المرأة و ممارستها للتجارة. و الواقع أن هذا التهميش و الإقصاء الذي تعاني منه النساء، و "السمعة السيئة" تعتقها من الإحترام المطلق و التماشي مع الأعراف الإجتماعية التي تم قلبها. و هكذا يصبح الباب مفتوحا أمامهن و يستوعب الآخرون تصرفاتهن التي لا تندرج تحت النظم الإجتماعية المتعارف عليها و الإستجابة بشكل أقل للصورة التي ينتظرها منها المجتمع.

إن ممارسة التجارة هي عبارة عن جواب على وضعية " عدم التصنيف " والتهميش الإجتماعي إلى حد بعيد، و إن كانت وضعية التهميش هذه لا تمنعهن من الحصول على وضعية إجتماعية عن طريق التجارة.

1- المساعدات المادية و إعادة الروابط الأسرية :

يتعرض الباحث **شارف محمد**[455] إلى الصورة الإجتماعية للمساعدات المادية للمهاجر، فالعلاقة التي تربط المهاجر بمجتمعه الأصلي فهي عميقة و حساسة، ويتساؤل الباحث كيف يتم إصدار حكم على المهاجر و هو غير مقيم في جماعته، فيجد أن من خلال إرسال المساعدات المادية تصبح معيار يتم القياس به، فالمال يتشكل في سلطة المهاجر و يخلق الشعور بالغيرة و الرغبة في الذهاب بالنسبة

454,فيرونيك مانري، كامي شمول، ترجمة منتهى قبسي،"تجارة المرأة وجوه جديدة للحركية المغاربية في الفضاء الأورومتوسطي " ، **مجلة النقد**، العدد 28 ، 2010 ، ص 52-53.

455 .Charef Mohammed, *La circulation migratoire marocaine, un pont entre deux rives*, édition Sud Contact, 1999, p 41.

للأفراد الباقين في البلد الأصل. و يقاس نجاح المهاجر في وسط جماعة إنتمائه ، بالمال التي يكتسبه و بالطريقة التي ينفق بها ذلك المال في بلده الأصل و إظهاره بالإحتفالات الفخمة عند رجوعه ، و الهدايا التي تعتبر إجبارية عند رجوعه، و في المقابل يصبح هذا المهاجر فالصوا و جايح (فاشل) إذا لم يمارس تلك الأعراف التي ترتبط بالهجرة.

و تذكر الباحثة فرانسواز قيومي[456] حالة اورور ، أنها قد ساعدت أمها في إقامة مؤسسة صغيرة و التي تستخدم فيها عاملين، و تفيد أن مساعدتها في تأسيس هذه المؤسسة لأمها، قد أفادها جدا و حتى أنها تسافر من أجل شراء السلع و حتى في غيابها المحل يبقى مفتوح، فالأمور تمشي على ما يرام. تصرح المبحوثة أنه في بلدها الأصل، بفضل النقود تصبح لديك قيمة و إهتمام، يجب أن تحصل على المال، و هكذا الأشخاص يتكلمون معك بطريقة صحيحة، و الموظفون يعملون عملهم بشكل جيد. أما في بلد الإستقبال، فلا نستطيع شراء وثائق الإقامة فالمال ليس له نفس الدور في بلد الإستقبال، و لا يفتح نفس الفرص و الأبواب.

أما الباحثة عراب الشادية[457] ، فتشير إلى إنقلاب الوضعية الصراع العائلي حول المشروع الهجري يكون متواجدا دائما، لكن سرعان ما يتحول إلى علاقة مترابطة، بفضل عائد هذه الهجرة (إرسال الهدايا و النقود) و التي يساعد في تحسين شروط الحياة لأفراد العائلة الباقية في المغرب، تحسين البيت أو بناء بيت جديد ، فتح في بعض الحالات متجرا صغيرا.

البنية الأبوية la structure patriarcale ، تصبح هي جماعة الإنتماء بالنسبة للمهاجر، و الفاعل يلعب دورا إجتماعيا مهما لتواجد الفرد، و الذي لا تنقطع أو يتوقف تواجده من خلال هذه الجماعة.

456. Guillemaut Françoise, « Femme africaines, migration et travail du sexe » , **Revue Contributions Société**, n=° 99, 2008/1, p 97.

457 .Arab chadia, « Emergence de circulations migratoires féminines des marocaines vers de nouvelles destinations – l'Espagne et les émirats arabes unis », **Revue NAQD**, Femmes en migration : travail, bizness, exil, asile, n=° 28, automne-hiver 2010, p194-195.

و الفاعل يمثل الحامي لمشروع العائلة le protecteur d'un projet familial والفرد يحقق مساره الشخصي مع إبقاء إنتمائه و عرفانه و وفائه لعائلته و هو تحت سيطرة الواجبات التي تدفعه إلى المحافظة على تلك العلاقة التضامن و المساعدة مع عائلته des relations d'entraide.

إن الشابة التي ذهبت لوحدها تتحصل أخيرا على مكانة مركزية في العائلة. ففي القدم ، كانت تنتقذ، و حتى أنها منبوذة من العائلة reniée de la famille و اليوم هي مقدرة ، فهي كنموذج للنجاح العائلي من طرف محيط العائلة الكبيرة.

إن التضامن ، و الصبر هما قيم أساسية في مسيرة المهاجرة، الشبكات و المسارات هما وسائل مهمة للتواصل و تبادل ما بين الأشخاص و الفضاءات و التي من خلالها يندمج و يبقى وفيا لوظيفة " الجماعة المحلية " و الجماعة الأصلية .

Fidèles aux fonctionnements « du groupe natal »

فتشير الباحثة عراب شادية[458] ، أن من خلال المبحوثات قد إستطاعت أن تستنتج، أن غالبا ما يوجد "صراع عائلي" conflit familial حول مشروع الهجري. لكن سرعان ما يتحول بفعل الإيرادات الهجرية مثل الهدايا و النقود التي ترسلها المهاجرة لعائلتها لتحسين شروط حياة أعضاء الأسرة الباقين في المغرب. فتح تجارة صغيرة ، بناء منزل، و ترميمه. فهو حالة كل من آباء المبحوثات فالبنية الأبوية الأساسية و جماعة الإنتماء تصبح للمهاجر (رجل، إمرأة) كجماعة مرجعية. Un groupe de référence

المهاجرات تساعد أسرتها الباقية في المغرب و هذا بتعدد عملها في إسبانيا ، و في الكثير من الحالات عليها إيجاد الطرق لتحمل مسؤولية كل أسرتها. و ذلك رغما عنها و أيضا رغم بروز ثقافة أن يكون الرجل هو رب الأسرة، فهي أيضا تحتل مكانة جديدة داخل أسرتها، فقبل ذهابها كانت " الغير مرغوب فيها" détestée المبعدة و إحتلالها مكانة جانبية في الأسرة و المعتبرة كالغير قادرة ، الفاشلة و ذلك

458 .Arab Chadia, *Les Aït Ayad : la circulation migratoire des Marocains entre la France, l'Espagne et l'Italie*, Rennes, Presses Universitaires de Rennes, 2009, p 207.

أنها لم تستطع بناء حياة، أو إعادة بنائها في المغرب بإحترامها للتقاليد. و أنها فقدت شرف عائلتها و أفراد بلدتها. و الآن بعد هجرتها، هي محبوبة، مقدرة ، فهي إستطاعت أن تنجح في أخذ مكانة و مركزية في دائرة العائلة و حتى أنها يتم إستشارتها في إتخاذ القرارات الهامة التي تتعلق بالعائلة. و الأخريات يجدن في ذهابهن طريقة للتحرر من " الوصي الذكوري " la tutelle masculine و لكي تصبح مسؤولة [459].

تحاول هوارية توفير مبلغ مالي لمصاريفها المختلفة و نصيب ترسله إلى أسرتها في البلد الأصل.

"كنت في لول عند مشاكل في دارنا، علاخطرش روحت و ماقلتلهمش ، وفاميليا و ناس بداو يهدروا، بصح كي بديت نرسل الحوايج و الدراهم كل ناس تسقسي عليا و تبعث السلام ، المادة تبدل الناس حتى بويا تبدل ميحوسش كيفاش راني عايشة يحوس شحال نرسل".

المساعدة التي تقدمها للعائلة غيرت الوضعية الحراقة، فالآن يسألون عنها ويريدون أن تزورهم و يتباهون بها عند الأقارب و حتى الأب يفكر في مشروع تجاري (إقامة محل لبيع المواد الغذائية).

المهم بالنسبة للعائلة أنها تحول مبلغ مالي كل فترة وليس الحصول على الوثائق الإقامة، و تحاول بقدر الإمكان أن تطمئنهم بسرد وضعية مغايرة عن التي تعيشها و هذا خوفا من إرغامها على العودة و المدهش أن العائلة قد غيرت أولوية مشروع الزواج فالمهم هو الحصول على وضعية مالية جيدة لإبنتهم في بلد الإستقبال والأصل.

459 .Ibid, p 208.

عند إنطلاق الفاعلة من بلد الأصل في إطار الهجرة السرية تترك و راءها صورة سلبية لكن سرعان ما تتحول هذه الصورة إلى مظهر إيجابي، و ذلك بإرسالها النقود لعائلتها و مساعدتهم و الرفع من مستواهم الإجتماعي، و حتى أنها عند قدومها وهي تنتمي إلى مكانة مقبولة إجتماعيا، متزوجة لديها أطفال و حاملة للوثائق، فالمحيط الإجتماعي يمحي في ذهنه الصورة السلبية التي وضعها فيها ويعوضها بالصورة الإيجابية للمهاجرة الناجحة و المشرفة لعائلتها.

و تؤكد بولين كاري[460] نفس الفكرة أن تصور و تمثلات المجتمع الأصلي للمرأة المهاجرة بشكل سلبي و رغم هذا تستفيد الأسرة من وضعيتها الإقتصادية و تستغلها بإرسالها للنقود بإستمرار. إن المرأة التي تهاجر لوحدها عموما، تتجاوز بشكل من الأشكال رقابة عائلتها، و من خلال هذه الوضعية تقدم لها إنتقادات نحو حراكها لدولة أخرى، لكن في نفس الوقت تستغل الأسرة هذا العائد و تعيد تقسيمه.

حسب ملاحظتنا، أن هذا الإستغلال يتعدى مستوى الأسرة ، فرغم رفض المجتمع حراك المرأة لوحدها، و وصمه بالسلبي و الغير مشروع، كجنحة ، فنجد أفرادا آخرين، لا يبالون بهذه الصورة و يستغلون وضعية المرأة المهاجرة لوحدها ، الحاملة للوثائق.

حالة وهيبة ، في أحد لقاءاتنا معها، إتصل بها رجل و الذي يطلب منها ارسال مبلغ مالي لتسديد ايجار المحل الذي يتاجر فيه. في الوهلة الأولى إستغربنا لهذا النوع من الطلب، لمعرفتنا حسب تصريحها، أنها تنفق على أطفالها المتواجدين عند والديها بمدينة البليدة، فكانت ردة فعلها جد عنيفة، و رغم إخبارها له على عدم امتلاكها هذا المال ، فأصر عليها بشكل مباشر ، أن تجد حلا لهذه المشكلة، وبعدها سردت لنا قصة هذا الرجل و هي غاضبة.

460 .Carnet Pauline, « Passer et quitter la frontière, Les migrants africains « clandestins » à la frontière sud Espagnole », **Thèse de doctorat**, D'Anthropologie sociale, l'Université de Toulouse Le Mirail, septembre 2011, p 551. www.theses.fr/157816125

"سكن عندي في رمضان لي فات، كيما تعرفوا أنا ديابيتيك و ما نصومش و خاصني نفطر كول يوم واحد، فشفني ما كانش عنده وين روح و ما عندهش لي بابيي، بصح طردوه من سبانيا ، و درك راه حال حانوت في وهران مع خوه، و راني نعاونه، بصح كثر عليا، ما نيش نطبع في الدراهم، أنا حاصلة في روحي،راني نتسلف ماش ناكل"

إقامة هذا الرجل عندها و غير حامل للوثائق ، قبل طرده ، يوحي انها قدمت له مساعدات كثيرة و هي الإيواء و الإطعام قبل طرده من أليكانت و الآن تذمر وغضب وهيبة من هذه الوضعية، كان دليل على عجزها و رفضها على استمرار في تقديم المساعدة لهذا الرجل ، الذي لا تربطه علاقة عائلية بل علاقة خاصة (حميمية) التي تجبرها على ارسال المال. ولم يبال بوضعيتها المتأزمة، فحين إلتقينا بها لأول مرة مع رئيس جمعية السلام، كان سبب إتصالها به هو اقتراضها المال من السيد بلقاسم.

فبعد المسافة و عدم تواجد الرجل مع وهيبة ، لا يوقف هذا التصور لإجبارية المساعدة ، بل بالعكس يرغمها أكثر لأن هذه المساعدة تتعدى الإيواء و الأكل فأصبحت مالية و بإستمرار.

فهن لا يعتبرن بنفس الطريقة قبل ذهابهن و هجرتهن. فهي تجتاز حدود دولية، وهي تتعدي الحدود الإجتماعية و السوسيوثقافية و تقلب موازين الهيكل التقليدي الذي هو متواجد قبل هجرتهن، و هذا في حد ذاته ظاهرة جديدة.

إعادة الرابطة تستطيع أن تتعدى الإطار العائلي، إلى مستوى الفضاء الإجتماعي، كالحي .حسب تصريحات فتيحة ، أن عند رجوعها مع زوجها إلى البلد ، أرادت أن تترك بصمتها عند أهالي حي الحمري، من جيران و أصدقاء، وإسترجاع مكانة أحسن من التي كانت تحملها ، فجلبت معها الكثير من الهدايا ، لتوزيعها على الأقارب و الجيران ، حتى الأطفال .

" كي جيت أنا و راجلي، جبت معايا les cadeaux ، للفاميليا، للجوارين، للصغار في للحومة، حتى ولاو يعيطولي بابا نووال papa noël، ما نجيج و يدي خاويا "

فرجوعها كان لا بد أن يكون بطريقة تليق بالمهاجرة السرية التي نجحت في مشروعها و التي إستطاعت الحصول على الوثائق من خلال زواجها من جزائري، فرموز النجاح تتمثل في الهدايا و الزوج، التي تتباها بإضهارهم.

و حتى عند تعرفنا على فتيحة ، كانت في حالة حزن بسبب فقدانها لطفلها، فرغم هذا لاحظنا لباسها لمجوهرات كبيرة الحجم (و تأكدنا من هذا بتصريحها الجمركي في المطار) و التي ترمز في ثقافتنا إلى الفرح ، فهي لا تستطيع أن تفقد هذه الصورة للنجاح و الثراء رغم حزنها على طفلها و هي عائدة لدفنه في بلدها الأصل .

فكل ما تفعلنه و كل ما يهدفن إليه هو من أجل إعادة الإندماج في مجتمعاتهن والحصول على مكانة أفضل لكن بالشروط الجديدة التي تندرج تحت التجربة الجديدة. فالحركية و النشاط التجاري تصبح وسيلة لإسترجاع مكانة اجتماعية مسلوبة. فهن تبتعدن للحصول في مكان آخر على ما جحد به المجتمع عليهن غير أن إعادة الإستثمار الرمزي و الإعتراف هي أمور لا يمكن إنجازها إلا في مجتمع الإنتماء[461].

حسب تقرير الولايات المتحدة سنة 2006[462] يضع الدور الكبير و الأساسي للفاعلات في المجال الاقتصادي، عندما تذهب لوحدها و تستطيع الحصول على عمل، وهمهن الوحيد هو إرسال النصيب الأكبر من أجرهن و تنظيم هذا الإرسال إلى البلد الأصل و استثمار هذا المال في تعليم الأطفال.

حالة وهيبة المرغمة على شراء هدايا للأطفال عند الذهاب لزيارتهم في المناسبات الدينية أو العطلة الصيفية لتعويض الفراغ الذي تركته بسبب هجرتها .

461. فيرونيك ماناري، كامي شمول، ترجمة منتهى قبسي، مرجع ذكر سابقا ، ص 53.

462 .Gildas Simon, *La planète migratoire dans la mondialisation*, Edition Armand Colin, 2008, p 122.

"كي نتكلم مع أولادي و قولولي ماما جيبيلنا و ما نقدرش نروح للبلاد و ماعندي والوا كو نصيب ما نشرب ماناكل و نجيب حاجة لأولادي"

و يشير شارف محمد[463] على إستعمال بعض الأسر ، تقوية العلاقة بالمجتمع الأصلي بتزويج المهاجر بأحد أعضاء جماعة الإنتماء ، فيصبح un garde du corpsبهدف مراقبة المهاجر و ضمان إستمرارية إرسال هذه المساعدة المالية إلى أسرته في البلد الأصل و أيضا إرجاعه إلى الطريق الصحيح . و من هذه الفكرة لاحظنا أن بعض المبحوثات تستعمل الزواج بطريقة أخرى و هي إعادة الرابطة مع اسرتها.

2- إسترجاع الحراقة لمكانة جديدة من خلال مؤسسة الزواج :

تحدد الباحثة كاشا فطيمة[464] ، أن الزواج هو الوسيلة المشروعة إجتماعيا لإنجاب الأطفال، و أيضا في جوهر النظام **"إعادة التأهيل الرمزي "** processus de réhabilitation symbolique فمن خلال الزواج تستطيع المرأة المهاجرة لوحدها إسترجاع مكانة المرأة المشرفة و التي فقدته بسبب قيامها بخرق القوانين الإجتماعية. فإعادة ربط العلاقات الإجتماعية الجنسية بتواجدها هنا و يترجم بإقامة الزواج ، فيظهر الزواج هنا كتوضيح لوضعيةالمرأة المهاجرة، و لا نستطيع تحديد مطابقة نفس معايير الزواج المتواجدة في البلد الأصل، أمام مختلف الإستراتيجيات و الفرص و الإنتماءات لهذه الزيجات.

تشكك الباحثة في نوايا إبرام الزواج (الحقيقي أو المزيف) لكسب صورة مكانة المرأة الشريفة في بلدها الأصل لإعادة الرابطة الأسرية و غالبا ما تكون بسبب القطيعة التي سببتها الهجرة السرية .

463 .Charef Mohammed, op cit, p 42.

464 .Qacha Fatima, « Migrations transnationales. Rôles des femmes et des réseaux familiaux », **Doctorat de sociologie**. Université de Toulouse le Mirail, 2010, p 222.

إستعمال وهيبة هذا النظام لإعادة التأهيل الرمزي، بإرتباطها بعامل بالباخرة، وإقامة حفلة خطوبة بمنزلها العائلي بمدينة البليدة، و إعترافها بتحمل أعباء تكاليف الخطبة لوحدها.

"حتى الخاتم أنا شريته، هو جاء غير هاك، كو يعرف بابا ، يبهدلني، كان يحوس يدير les papiers برك"

الزواج كإستراتيجية ، لإسترجاع مكانتها في الأسرة و خاصة إتجاه أبيها ، لتغيير نظرته السلبية عنها، لكن لم تنجح رغم هذه المحاولة ، و الذي أكد لنا هذا الفشل ، هو إتصال الهاتفي لوهيبة بعد فترة زمنية من الإنتهاء من الدراسة الميدانية في أليكانت و رجوعنا إلى وهران، و إصرارها على التكلم مع أمها و توصيل صورة إيجابية عن إبنتها و تقديمها لنا المساعدة في البحث الميداني، فكنا مرغمين على ذالك لفهمنا الوضعية الحساسة التي تتواجد فيها وهيبة و محاولتها بكل الطرق لإسترجاع هذه الرابطة مع عائلتها لغرض إسترجاع أطفالها و حقها في تربيتهم.

" قولي لـ ماما بلي تبدلت ، بلي راني عاونتكم في قرايتكم و ستقبلتكم غايا، و راني عايشة ترونكيل ، ما راني ندير والوا "

رغم سردنا لصورة إيجابية لأم وهيبة ، لاحظنا تردد و جمود في ردة فعلها و هذا كان منتظر من أمها لأن العائلة فقدت الثقة في وهيبة جراء ذهابها عن طريق الهجرة السرية و بشكل سري و تركت أطفالها وراءها بدون مسؤولية أو التفكير

فيهم. فعند الحديث عن أطفالها يغمرها الحزن و الكآبة فقرارها للهجرة السرية قد أرغمها على ترك أطفالها عند والديها لرعايتهم و غيابها الطويل بعيدا عنهم قد ترك صورة سلبية عنها، أنها ليست أم مسئولة (متهورة) و هم يرفضون تسليمها أطفالها حتى الآن و تركهم العيش معها في اسبانيا.

تقترح الباحثة أن كل من التمثلات و النعت و الوصم هما متغيرات ، فهي لا ترتبط بالفرد بالنسبة أنه هكذا (المهاجرة لوحدها)، لكن بالفرد في تواجده في الفضاء والزمن و في وضعية معينة، فكل تغيير للمكان ، للزمن، أو للوضعية ، يستطيع أن يؤدي إلى تغيير في السمعة.

و الباحثة كارني بولين[465]، عند تعرضها لزواج المهاجرة لوحدها، كعامل لإسترجاع مكانة مرموقة و مشرفة ، تشير إلى إشتراط محافظة الفاعلة على عذريتها **"عذرية المهبل"**la virginité vaginale ، فعذرية الفتاة هو دليل على حيازتها لضمير حسن، فيصبح الزواج في حالة المهاجرة التي فقدت عذريتها ، ويغمرها الإحساس بالخوف و أيضا عليها إخفاء الغلطة، خاصة في الليلة الزفاف. المهاجرة لوحدها، هي واعية بخطورة السمعة السيئة التي ستصيبها، فهي تواجهها بالرضوخ للمعايير و القيم الإجتماعية، أو مراوغتها بإخفاء بصمات هذا التجاوز، و نادرا ما تواجه المهاجرة مباشرة هذه القيم الإجتماعية. و الجزء منهن على الأقل تنجح في تطوير استقلاليتها و فضاء حريتها، مع الإلتزام بالمعايير الإجتماعية لجماعة الإنتماء سطحيا، و لتقليل من العوامل السلبية لتجاوزاتها.

حالة فتيحة ، صرحت أن أحد شروط زواجها هو عذريتها، رغم كبر سن زوجها فهذا لم يمنع أن يحصل على زوجة صغيرة في السن و أيضا عذراء، فرغم تغيير المجتمع فيبقى الرجل متمسكا بالقيم و معايير الزواج و الذي يرتكز على شرف العائلة و عذرية المرأة. و في المقابل لم يكن لفتيحة خيار آخر للحصول على الوثائق و أيضا لإبراز نجاح مشروعها الهجري عن طريق الزواج.

" راجلي كان يحوس على بنت الفاميليا ، وحدة جايا من البلاد و ما باغيش وحدة من فرنسا، علاخطرش ما يديرش فيهم كوفيونس ، و كان يجي يشوفني عند خت ، تزوجت كيما راهم يتزوجوا في البلاد "

465.Carnet Pauline, op cit, p 573.

حسب فتيحة تخوف زوجها لا يقتصر على العذرية بل حتى تركه بسبب حصول المرأة على الوثائق.

" علا خاطرش راهم يجيبوهم من البلاد و يتزوجوهم بصح يسمحوا في رجالهم و لا يطلقوا باش يعيشوا حياتهم "

و تظيف الباحثة نسيمة مجود[466] ، في حالة المهاجرة الفردية الغير حاملة للوثائق الرسمية، فهي مرغمة لتسوية وضعيتها الغير شرعية على الزواج، فمؤسسة الزواج هي مفروضة على المرأة في كل من بلد الأصل و بلد الهجرة ، و لهذا يصبح موضوع إزدواجية المراقبة.

في بعض الأحيان ترفض المرأة الموصومة الزواج كحل لإسترجاع مكانتها في المجتمع و تحسين صورتها السيئة، فكاتيا هي دليل حي لمواجهة القوانين والضغوطات الإجتماعية و برفضها الزواج، فهي تؤكد على تحملها مسؤولية ممارسة هذه التجاوزات و هي لا تبالي عن السمعة التي منحت لها من الجماعة كعقاب، لكن بشكل بسيط تصرح تريد العيش كما تريد فقط.

"علبالي ناس شايقول عليا، ما تسواش، خامجة، بصح أنا ما علبالي بحتا واحد، راني عايشا حياتي كيما نبغي و ما عندي ما ندير بالزواج، واحد يحطني في دار ربع حيوط و باغي يحكم ، نعيش على حسابه، و باش ناس يقولو بلي تزوجت، و نولي نسوى، ما نسحقش "

466 .Moujoud Nasima, « Effet de la migration sur les rapports sociaux de sexe au de la des visions binaires, Femme, genre, migration et mondialisation », **Les cahiers du CEDREF**, n°=16, 2008, p 9.

الزواج ليس العامل الوحيد لإسترجاع مكانة المهاجرة لوحدها، بل أيضا المساعدات المختلفة التي تقدمها المهاجرة ، لتحسين مستوى عائلتها و المساهمة في المشاريع التي يتخذها أفراد العائلة، فتصبح الفاعلة تحمل مكانة مهمة و لديها الشرعية بإتخاذ قرارات رئيسية ، مثلا في استخدام المال في مجال تجاري ، أو بناء منزل. و حتى أنها يطلب منها نصائح و إستشارة التي تهم العائلة و الجماعة.

قبل ، كانت الضرورة في حماية نفسها من الطرد من خلال الزواج و قبل هذا كان لديها مشاريع للإستثمار في بلد الأصل بفضل عملها في الجنس في اطار رجوعها. لكن زواجها و الشروط التي وضعها زوجها قد أدى إلى توقفها عن العمل في ميدان الجنس[467].

مشروع الزواج هو من أهم المشاريع الحياتية التي تخطط لها الأسر فور انتهاء مرحلة الدراسة فتتعرض الفتاة إلى ضغوطات تؤدي بها إلى مواصلة مسار القدماء و إتباع العرف و التقاليد المعمول بها.

فرغم التغيير الذي شهدته المرأة في المجتمع الجزائري في مجال التمدرس و العمل و الاستقلالية في الجانب الاقتصادي فهذا لم يغير من ثقافة الزواج وطقوسه.

إن من أهم المواضيع التي تشغل بال الفتاة الشابة ذات 20 سنة هو الزواج و هو الحديث المتداول عندهن ، حديثنا اليومي يدور حول الذكر و نستمتع ببناء صورة زوج المستقبل و نحلم به ، فتكثر التساؤلات عن صفة زوج المستقبل و كيف تتصوره ؟ عدد الأطفال التي تريد إنجابهم ؟ ما هو السن المناسب للزواج بالنسبة لهن؟[468]

467 .Guillemaut Françoise, op cit, p 97.
468 .Le quotidien d'Oran 22 novembre 2006.

الفتاة تنتظر من الزواج حياة أخرى و من خلالها التخلص من القيود العائلية لكن هذه الآمال أغلبها تتحطم أمام الواقع ، حيث الزوج يأخذ مكان الأب أو الأخ. فتنشأ الأنثى على حاجتها الدائمة إلى ولي الذي يهتم بالحماية المادية و الاجتماعية و الجسمية, فمكانتها مرتبطة بالرجل (الزوج و الأب أو الأخ).

المرأة تستطيع أن تكون، عزباء، متزوجة أو مطلقة فهن يبحثن عن الزوج الذي لم يجدنه في الجزائر أو أنهن متقدمات في السن و حظوظ إيجاد زوج مناسب غير متوفرة في الجزائر[469].

و عند تأخر الزواج، فالمسؤولة الأولى هي الأم و أكثر إذا كانت مطلقة فهي ليست نموذج ايجابي بسبب طلاقها، هذا يخلق قلقا و تخوفا، حيث مكانة الأكثر مضرة هي العانسة[470].

ارتفاع سن الزواج و صعوبة الزواج في الجزائر ظاهرة واضحة و متعايشة. فظاهرة العزوبية في الجزائر و السن المتوسط للزواج لا يتوقف عن التأخر حسب دراسة قامت بها وزارة الصحة في 2003 بالنسبة للنساء 29,6 سنة و للرجال 33 سنة[471].

هوارية العانسة تمثل المرأة العانسة لأن سنها يكون عائق للزواج فالهروب من هذه المكانة تدفعها و الكثيرات مثلها إلى الموافقة على أشياء كثيرة من أجل الزواج كخوض مشروع الهجرة السرية. فدافع هجرتها هو فرصة إختيار الزوج المناسب بالنسبة لها و ترسيخ هذه الفكرة في المحيط الإجتماعي الذي تقيم فيه و حسب تصريح زبونة لهوارية :

469 .Têtu-Delage Marie-Thérèse, « Clandestins au pays des papiers expériences et parcours de sans-papiers algériens », Editions la Découverte, Paris, 2009, p 57.

470. Kerroumi Abdelali, T*rajectoires d'immigrants maghrébins, Réseaux, fratrie et mobilité sociale*, L'harmattan, 2006, p 98-99.

471 .Cahiers du Cread « jeunes, santé en Algérie », Alger, 2004.

" علاش ما تروحي إلى الخارج هناك تتزوجي كاين رجال بزاف عايشين لوحدهم كبار، يحوسوا غير وحدة تكون معاهم و تدي كواغط ،تم تعيشي غاية مخصك والوا".

و الهجرة السرية تتيح للمرأة فرصة اختيار زوج المستقبل بكل حرية في المجتمع الجديد بدون قيود و الهروب من ضرورة الزواج للأخريات و حتى المطلقة تنتهز الفرصة من خلال ذهابها لكي تبتعد عن عائلتها.

هذه الفكرة ان الفاعلة من خلال هجرتها تستطيع اختيار الزوج بكل حرية اما في بلد الإستقبال او حتى في بلد الأصل فمن خلال مكانتها كمهاجرة لديها فرص عديدة، اما اذا كانت في البلد الأصل فاختيار يكون واقع عليها، الزواج كحماية للمرأة، و الخوف من العنوسة و المحيط الإجتماعي، كل هذا يؤثر على الظروف التي تواجهها المرأة في الزواج[472].

أمام هذه القيمة المهمة للمهاجرة و حصول الزوج على فرصة الذهاب الى اوروبا فالقيم الأخرى المعروفة في المجتمع الجزائري و التي لديها خلفية دينية، كالخلق والمال، النسب، الجمال. فكل هذا لا يهم أمام الحصول على وثائق اقامة في بلد من اوروبا. و حتى اننا نذهب ابعد من هذا هو عذريتها، مكانتها كمطلقة أو ارملة وحتى سنها ، كبيرة في السن ، لديها أطفال ، فالمهم هو مكانتها كمهاجرة وحصولها على الوثائق.

فهاجس تحقيق الهجرة من خلال الزواج، يؤدي الى تخلي الأسر الى شروط مهمة و تعاليم تقليدية في المجتمع و الجانب الآخر أنه تعود فائدة و ربح حتمي بالزواج من مهاجرة على الفرد و عائلته. فنعتبر ان الزواج يعد استراتيجية مهمة تتخذها الفاعلات لتحقيق هدفهن بطريقة غير شرعية و حتى ان الفاعلين يتخذون الزواج من المهاجرات و الإلتحاق بها.

472 .Carnet Pauline, op cit, p162.

في دراسة للباحثة بولين كرنييه[473]، تؤكد ان المهاجرين السريين (المهاجرين الغير حاملين للوثائق)، لهم قيمتهم في البلد الأصل فتصرح من خلال المبحوثين انه تتم الزيجات بموافقة المهاجر السري و اسرة العروسة من اجل ابرام الزواج، بحضور الإمام من خلال الإتصال الهاتفي (الفاتحة في تقاليد المجتمعات المسلمة) و هو الوعد بالزواج و ابرام مراسيم الزواج في غيابه. ان اوروبا تعتبر ورقة المستقبل الحافل، و هذا في تصور و خيال الأفراد الباقيين في البلد فحتى المهاجرين الغير حاصلين على الوثائق يمثلون ، فرصة مهمة. Un bon partie

حتى الحراقات، و المطلقات و الأرملات و العازبات، و المسنات، يستطيعون انتهاز فرصة و الحافز الذي تمنحهن مكانتهن، كمهاجرة المسوية لوضعيتها ، بالحصول على علاقة عاطفية و حتى الزواج برجل شاب (اصغر سنا منهن) .

الفائدة التي تمثلها الهجرة هي مهمة، حتى ان الفتاة الشابة التي تقوم بهذا الحراك، بمختلف الدوافع، فمن بين تلك الدوافع و هو الإنفتاح لسوق الزواج و التي تعتبره مغلق بدون هذه الهجرة. ففي هذا الإطار، وجدت الباحثة بولين كرنييه في دراستها ان المغربيات تجدن تنافسا ما بينهن و بين الفرنسيات ذات الأصل المغربي و هذا لإتخاذ الأخيرات سلوك غير لائق و متكبر فتعتبرن انهن فرنسيات أما الثانية أو الأخريات ببلديات.

و في هذا السياق تسمي الباحثة مجدوبي[474] المهاجرات ***بـ السيدة الفيزا، ملكة الفيزا*** miss visa- madame visa

473. Ibid, p 163.

474 .Majdoubi Fatiha, « Miss Visa et ses articulations intimes entre espaces concrets et arrangements discrets : « Circulez, y a rien à voir ! » », **Revue Sociologies**, Dossiers, Amours Transi(t)s. Transactions sexuelles au prisme de la migration, le 27 janvier 2012. URL : http://sociologies.revues.org/3868

تؤكد الباحثة[475] أن من خلال حالة شرين، ان تواجدها في اوروبا مع وضعية سرية " حراقة " ، قد أدى الى طلب يدها من طرف أربع رجال من بلدة أسرتها، فالفاعلة تحمل حوافز جديدة من خلال هجرتها ، مقابل وضعيتها الاولى في بلدها الأصل. فهنا الهجرة تقلب النظام الهرمي للسلطة التي كانت بحوزة الذكور و الذين كانوا يبحثون سوى على الغنيات او الاكثر جمالا".

إن بعض الرجال يفضلون الزواج مع مهاجرة ، أو بالأحرى حاملة للوثائق أي ذات جنسية فرنسية أو من دولة أجنبية أخرى لغرض المنفعة التي تعود على المتزوج بها، ففي بعض الأحيان هذه القيمة تطغى على الرموز الدينية و حتى الإجتماعية، المهم الهجرة من خلال التجمع العائلي و الإستفادة من حق الإقامة الشرعية و كل الحوافز ، كمنحة البطالة و المساعدات الأخرى (الصحة ، التعليم ، السكن). وإكتشفنا ظاهرة جديدة تتعلق بهذا النوع من الزواج حيث أحد الطرفين يستغل وضعية الآخر لكي يحقق مشروع الهجرة بكل نجاح حيث يحصل مباشرة على الوثائق الرسمية مقارنة بظاهرة الهجرة السرية ، التي يعاني فيها الفاعلات للذهاب و الوصول و أيضا للحصول على الوثائق ، و الذي يسمى بالزواج الرمادي[476] le mariage gris.

II - بحث الحراقات عن الإستقلالية الذاتية :

حسب وهيبة و أمال و هوارية هو الحصول على تسيير ذاتي لحياتهن و إثبات القدرة على تحمل المسؤولية و هذا يظهر بالإعانة التي ترسلها كل واحدة منهن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة و المساهمة حتى في مشاريع تجارية للأسرة في البلد الأصل أو حتى في اسبانيا مثل تجارة البزنسة (كما تفعل وهيبة).

475 .Carnet Pauline, op cit, p 165.

476.TMC diffuse, mardi 06 septembre 2011 à 20 heures 40, l'émission "90' Enquêtes", Reportage arnaques et le business du cœur. http://www.wat.tv/video/mariage-gris-4u4sp_4u4rr_.html

إن المرأة لها القدرة و الرغبة و الجرأة للاستقلالية الذاتية المتواجدة قبل ذهابها للبلاد الآخرى أو قبل هجرتها ، ففي الجزائر هن يعملن في المجال الاقتصادي أو المهني أو كانت لديها الشجاعة للطلب الطلاق أو الحصول على الطلاق.

فتشخص الباحثة[477] أن مشروع الذهاب للمهاجرة الفردية (لوحدها) في المغرب نحو فرنسا هو نتيجة البحث للإستقلالية الذاتية ، التي بدأت في المجتمع الأصل، والمرأة تقرر الذهاب كخيار وحيد للوضعية القهرية التي تتعرض لها. و تعتبر الإستقلالية الذاتية للمهاجرة الفردية ، لا تتم إلا في إطار المكانة الشرعية ، و الذي يمنحها كل الحقوق الإجتماعية و السياسية اللازمة لهذه الإستقلالية الذاتية. والمهاجرة التي سوت وضعيتها، هي مسلحة أحسن لإنماء التضامن المادي مع مقربيها في البلد الأصل كالعائلة و تستطيع إظهار نجاح المشروع الهجري.

و هذا يشير إلى أن الهجرة السرية ليست عبارة عن قطيعة فهي مواصلة أو متابعة لما بدأته في البلد الأصل في شروط مغايرة و في ظروف أخرى لدينامكية كان قد تم تفعيلها بالاستعانة للخبرات و السلوكات و التجارب المكتسبة من السابق.

إن استثمار المرأة في الحياة العمومية و الاجتماعية من خلال الهجرة السرية، فالنساء يجدن كالرجال أعمالا غير شرعية و أحيانا في مجالات غير عادية كالكباسة و الدهان و الأخريات يواصلن الأعمال التي كن يتداولنها في البلاد كالحلاقة في المنازل و الخياطة[478].

إن البحث عن السكن و العمل و أيضا الحصول على الوثائق الرسمية ، يحول الفاعلة بشكل كبير إلى أكثر قوة و صلابة حتى في المواقف و الوضعيات الجد صعبة تتعدى قدراتها بإيجاد الحلول المناسبة .

477 .Moujoud Nasima, op cit, p 8.

478. *Les femmes immigrées, Facteurs d'exclusion et d'insertion au sein d'une société multiethnique*, la situation en France Edition UGT, 2000. p 58.

يؤكد هذا الحراك الهجري النسوي المتسم بالاستقلال الذاتي أن بعض النساء المنتميات لطبقة اجتماعية محظوظة و هن غالبا ما يكن شابات يعرفن القراءة والكتابة و الذي يساعد في اتخاذ قرار الهجرة السرية ، و هي الرغبة في أن تكون امرأة بشكل آخر. المرأة المهاجرة هي في تغير مستمر و نحن منبهرين من مسار حياتهن و إبداعاتهن، في أغلب الحالات هن يهربن من نموذج محدد مسبقا و الذي يعاكس النساء الغربيات "المتحررات" مقابل النساء التقليديات[479].

إن قيام الفرد بالذهاب له علاقة برغبته بإستقلالية، و يعني هذا أنه ينتمي لنظام الفردانية و التي يتواصل من خلال التجربة الهجرية و في هذا يصرحن النساء الصدد أنهن قد تغيرن . و من خلال شخصياتهن و إمكانياتهن الحراقات يؤسسن مسارات لحياة فردية ، ثرية و معقدة في إطار الهجرة السرية.

III -واقع المعاش لحراقات في بلدان الإستقبال :

1-الحراقات و الجنس كإستراتيجية جندرية :

تعتبر الباحثة قيومو فرنسواز[480] ، أن العاهرة الإفريقية المهاجرة، يعتبرن ضحية التجار بالبشر و في الجنس، و في الواقع الأمر أكثر تعقيدا من هذا التصور، و عن سماعهن سرد تجربتهن فهنا نستطيع فهم هجرتهن و العمل في الجنس أنها جزء من استراتيجية محددة من أجل تحسين شروط حياتهن و تلبية حاجاتهن و حاجات عائلتهن الباقية في البلد.

479 .Gildas Simon, op cit, p121.
480.Guillemaut Françoise, op cit, p 94.

و تشرح أن رغبتهن في الهجرة ترجع أساسا إلى العمل في الجنس و في كل الحالات لا يردن أن يطردن او يرجعن إلى بلدهن الأصل. و كمثال لهذا النمودج من الهجرة، تذكر النساء الجزائريات في مرسيليا، و التي تم الإلتقاء بهن ما بين سنة 1997 و سنة 2000 في أحياء بلسنس Belsumce و باب أكس Porte d'Aix. و يطلق عليهن بـ « les marcheuses » و تصفهن بالنساء المطرودات ، الهاربات من أحداث سنوات الأزمة السوداء التي عرفتها الجزائر ، فهي كربة عائلة لم يكن لديهن خيار آخر سوى الهجرة الى فرنسا. و قد قدر عددهن ما بين 1997 إلى 1999 أكثر من مئة إمرأة في مرسيليا.

و تصف وضعيتهن قبل مجيئهن إلى فرنسا، انهن لديهن عمل ، مثل موظفة في المصانع أو موظفة ادارية في مؤسسات. و البعض يصرحن أنه تم حرق المصنع بسبب تواجد اليد العاملة النسوية فيه. و الأخريات يفسرن هجرتهن أنهن تم ابعادهن من عملهن بسبب ضغط الإسلاميين. و تشير الباحثة أن اغلبيتهن كانت مسؤولة عن أسرتها "ربة عائلة" chef de famille و ذلك بسبب موت الزوج أو بسبب تنصل من الزوجة répudiation، أمام هذه الظروف لجأت إلى الهجرة و العمل في الجنس، و توازنا بعملهن في الجنس تعمل كتاجرة ، و هذا ما توضحه و تبينه لعائلتها و المقربين في البلد الأصل.

الباحثة[481] ، تصرح أن بعض النساء يهاجرن و هن يعلمن بإجتمال عملهن في الجنس و هذا بإتصالها مع بعض المهاجرات في فرنسا، و إن العمل في الجنس في فرنسا قد تمت المفاوضة عليه في "عقد المرور" le contrat de passage. فالعمل في الجنس هو ضمان لتسديد الدين للواتي أبرمن عقد الهجرة و الوصول الى اوروبا و ايضا لبناء رأسمال مادي و ايضا لسد حاجيات اسرة المهاجرة.

481. Ibid, p 97.

توازنا لتسديد الدين لتكاليف هجرتها و العقد المبرم مع الممرر، يسمح للمرأة المهاجرة مساعدة عائلتها ماديا، بالتداوي في حالة المرض ، و بمواصلة الدراسة وأيضا خاصة من أجل إخوتها و أخواتها و أيضا أبنائها، ضمانا لهم حراك إجتماعي إلى الأعلى لعائلتها. و أيضا تسمح لهم بفتح محلات تجارية أو حتى إنشاء مؤسسة.

يعتبر الباحث[482] أن الدعارة ليست فقط ، عندما تكون المرأة تعمل في الجنس بإستمرار تحت مراقبة، المستخدم في الجنس و هنا نستطيع إعتبارها عاهرة. بل يجب أن تعتبر الفاعلة و تعي (وعي) أنها كإمرأة هذا يعد إضافة بالنسبة لها، و أن **جسمها تعتبره كرأسمال** le corps est un capital.

لهذا الكثير من النساء، و الشابات حتى القصر منهم يستعلمن أو يستخدمن هذا التوظيف في جنسانياتهن un usage vénal de leur sexualité ، لكثير من الأسباب كالغذاء في مطعم، أو من أجل هذية، أو من أجل الحصول على النقود، من أجل شراء الملابس و أحذية أو حتى مواد التجميل و حتى شراء المجوهرات. و حسبه الحرية الجنسية، قد أنشأت عند المرأة إستقلالية ، و حتى أن تجمع ما بين الرغبة و الحصول على الجزاء المادي بسهولة و عادة ما تكون أساسية.

حسب حالات الدراسة، إن الدعارة أو ممارسة الجنس ، لا تظهر في صورة الشبكة الدولية التي لها علاقة بالهجرة أي جلب نساء راغبات في العمل في الجنس . فهي ممارسة خاصة بالفاعلة قبل و بعد هجراتها ، بل ربط علاقة حميمية مع الجنس الآخر، يستطيع أن يفسر الجنس في إطار عاطفي ،حرية المرأة في ممارسة الجنس خارج إطار الزواج و العرف و التقاليد و ليس دعارة.

482. Tchak Sami, *La sexualité féminine en Afrique, domination masculine et libération féminine*, l'Harmattan, 1999, p 125.

يرى الباحث[483] هذه الحرية الجنسية تعرضها إلى قطيعة مؤقتة أو نهائية للرابطة العائلة عند البعض منهن و مما يعرضهن أكثر إلى خوض الدعارة ، فتصبح كممارسة عادية و شرعية و أيضا طريقة من طرف الأخرى للقفوزية للحصول على الخبز.

أو بالعكس القطيعة حسب ما لاحظناه في حالة أمينة أنها بفعل القطيعة العائلية التي تعيشها فمن السهل أن تمارس العمل في الجنس من خلال مكان عملها ، فتستخدمه كإستراتيجية لزيادة دخلها و الحصول على حماية ذكورية خوفا من الإعتداء عليها في بلد الهجرة.

عند إلتقائنا بأمينة ، لم تكن مرتاحة من تواجدنا في مكان عملها و أيضا لم تكن متحمسة للتحدث معنا و معالجة موضوع الهجرة السرية النسوية (الحراقات) ، وحتى صاحب الملهى الليلي و زوجته ، أبديا إستغرابهما من خلال طرحهم للأسئلة . و لم نستطع التقرب منها كثيرا لإنشغالها في تحضير سهرة يوم السبت كالمعتاد ، لكن إستطعنا إبرام موعد معها برفقة وهيبة صديقتها .

عند وصول أمينة إلى اسبانيا كان الأمر صعبا بالنسبة إليها و هذا بسبب حملها وتوفير المورد المادي قبل و بعد الولادة غير ممكن أو مستحيل لكن الصليب الأحمر تكفل بها و ساعدها لتخطي مرحلة الولادة و بعدها كان عليها البحث عن عمل فلم تجد سوى في مجال المطاعم و النظافة حيث تنقصها الخبرة و الشهادة في نفس الوقت وضعيها الإقامة الغير شرعية. فبدأت كمنظفة في مطعم يملكه جزائري فساعدني في الأول ثم تعرضت لمضايقات أدى ذلك لترك العمل و البحث في مجال آخر لكن هذا الأمر كان صعبا جدا في ظروف الأزمة التي تعاني منها اسبانيا فدفعتها هذه الظروف للعمل في الملهى الليلي فالحقيقة الراتب مغري جدا.

483 .Ibid, p 127.

ترى الباحثة[484] في أن أمام غلق سوق العمل الرسمي و تضييق فرص الدخول إلى أوروبا، النساء المهاجرات ، في الغالب ليس لديهن سوى حل تلتجئ إليه ، هو العمل إما في مجال الخدماتي للأشخاص أو العمل في الجنس ، فالعمل الأول يكون في الفنادق، و الإعتناء بالأشخاص المسنين ، الخدمات نظافة في البيوت العائلات، فتعتبره شرعي و مقبول، أما الثاني فلا تعتبره كذلك. و تشير أن مجالي العمل (الخدمات، الجنس) هما مجالين غير محميين من طرف قانون العمل، على مستوى

الدولة و على المستوى العالمي. فمهما كان مؤهل النساء الإفريقيات المقبلات على الهجرة، ليس لديهن أي فرصة مناورة و خاصة أن أغلبيتهن غير حاصلات على شهادة الإقامة و الذي يسمح لهن بالعمل، أيضا بالنسبة لبعضهن أن العمل في الجنس هو جزء من إتفاقية عقد الهجرة.

المعنى أن راتبها مغري هو الخدمات المختلفة التي تقدمها للزبائن في هذا الملهى والتي لم تصرح عنها أمينة لكن عند ملاقاتنا لاحظنا أن الملابس كانت جد جذابة وأيضا في بعض المناسبات يقدمون عروض (رقص) و هذا حسب الإعلان الإشهاري المعلق على بوابة الملهى.

"راني هانيا مع ولدي، المهم نخدم و نجيب دراهم في الليل في نهار كيفكيف هنا مايحكم فيا حتى واحد و تهمنيش هدرة الناس كل واحد يحوس على مصلاحتاه "

484. Guillemaut Françoise, op cit, 97.

© Kime Sabiha

صورة رقم 36 : تمثل الملهى الليلي في أليكانت

© Kime Sabiha

صورة رقم 35 : تمثل اللافتة الإعلانية لبرنامج السهرة في المقهى الليلي

الآن تحاول توفير مستوى معيشي لائق لطفلها و لا تكترث لعدم حصولها على وثائق أو عمل رسمي المهم أن لها مصدر مالي و مسكن و تستطيع الحصول على مساعدة من مختلف الجمعيات أو المنظمات، المهم أنها إستطاعت التغلب على الأزمة التي عانت منها.

و تستطيع مواصلة حياتها بدون قيود و لا ضغوطات و أيضا أنها المسؤولة الأولى و الأخيرة عن تصرفات **"ربي غادي يحاسبني مشي والديا هما لي حاسبوا و لا المجتمع"**.

تذكر الباحثة[485] أن ميدان الخدمات و إشكالية الشبكات للدعارة في إسبانيا هي حالة في غاية الأهمية لأننا من خلالها نتعرف على أشكال جديدة للمهاجرات وخصوصية هجرية مختلفة تماما عن الرجال des profils migratoires . فعند قيام الباحثة بدراسة الميدانية في لوكا الإسبانية فمن ثلاث حالات التي قابلتها اثنان منهن تعمل في مجال الفلاحة و ايضا من أجل الرفع من أجرها الشهري تعمل في مجال الدعارة، مع رجال من جاليتها (مغاربة). فنرى أن الفاعلات تعيش حياة مزدوجة ، بعملها الدائم (في الفلاحة، الخدمات، ...) و الثاني في الدعارة كعاهرة.

عند تواجدنا بالملهى الليلي لم تكن أمينة لوحدها بل كانت تتواجد مع نساء أخريات ، يوجد منهن من تعمل في الجنس فقط و البعض منهن يردن قضاء وقت مسلي حسب وهيبة، و تسائلنا عن سبب تواجد إمرأة كبيرة في السن (أكثر من 50 سنة) ، لباسها كان كلاسيكي مغاير عن الأخريات الصغيرات في السن ، و هي جالسة على جنب.

485 .Arab chadia, op cit, p 188.

" بعد ما مات راجلها الأول، و عاودت الزواج مع سبنيوري نكروها ولادها، و درك راهي وحدها ، ما لقاتش كي تعيش، راهي تجي في البار تقعد و خطرات تخدم على روحا مع شيباني كيفها "

و حسب أمينة أن العائد من عملها جيد ، لأن الزبائن اغلبيتهم من الجالية الجزائرية يأتون من أنحاء مختلفة من إسبانيا و حتى أنهم يبرمجون سهرات خاصة يوم السبت ، و الرجال يحبون هذا المكان لأنه فيه البصمة المغاربية و فيه الأغاني الراي.

صاحبة المقهى أكدت أن هذا المكان هو مركز تلاقي الجزائريين فيأتون من مناطق مختلفة في اسبانيا فهو المكان الوحيد للترفيه و التعرف على الأخبار الجديدة وأمور أخرى (الجنس، المخدرات، الكحول، وحتى الوثائق، شبكات التهريب ...) وحسب تصريحها فأول مكان يتواجد به الحراقة (مختلف الأعمار و الفئات) للتخفيف عن القلق و أيضا التحرر من كل القيود التي كان يعاني منها في الجزائر.

" الحاجة اللولا يديرها الحراق، كي يوصل لأليكانت، يشرب ، يزطل ، كلي يكون محبوس في البلاد، و هذا البار يجوه بزاف الجزايريين، علاخاطرش فيه كلشي، فيه ليطرافيكوا les papiers ، فيه لبيعوا الغبرة، فيه النسا ، حتى الشوابين يجو باش يسهروا "

© Kime Sabiha

صورة رقم 37 : تبين المهقى الليلي من الداخل و الطابع المغاربي الذي يتسم به

© Kime Sabiha

صورة رقم 38 : تبين إستعمال ديكور و أفرشة لها علاقة بالبلد الأصل (مغاربية)

أما حالة كاتيا المريولة التي أرادة الهجرة السرية لمواصلة طريقة حياتها من خلال ممارستها للجنس، بدون ضغوط الرجل، لكي لا تصبح ملكا يوما ما بحجة الزواج حتى و إن كان غير رسمي.

" راني باغيا نعيش، كيما نبغي، نسهر، نشرب ، يكون عندي راجل بصح ما نتزوج بيه، مايدرنيش في الحبس، راني نتاعه علاخطرش تزوجته ويبقى يصرف عليا، باش ماناروح معا وحداخر برك "

مواصلة كاتيا في عملها في الجنس من خلال إقبالها للهجرة السرية كان بسبب الضغوطات التي تتعرض لها من الرجل الذي يريد ربط علاقة تحت إطار الزواج ، فهي طريقة حياة قد بدأتها و تريد مواصلتها من خلال الهجرة السرية ، فهذه الصورة مغايرة تماما عن ما تصفه الدراسات عن الهجرة الإفرقية من أجل العمل في الجنس.

إن الباحثة بولين كارنيي[486]، تصف شبكة متخصصة في الهجرة من أجل العمل في الجنس، فهي تعتبرها مؤسسة يتم توظيف الفاعلة من بلدها الأصل، خاصة الراغبة في الهجرة و ليس لها الإمكانيات و الفرصة لذلك، فيتم التعاقد معها، على تمويل مصاريف هجرتها إلى أوروبا و في المقابل، لتسديد هذا الدين عليها العمل في الجنس، كعاهرة في أحد شبكات الدعارة في أوروبا، و عند تسديدها الدين لفترة معينة (حسب قيمة المبلغ المتفق عليه في العقد و الذي يكون أضعاف التكلفة الحقيقية للسفر) فتصبح حرة و البعض منهن يؤسسن بدورهن مؤسسة هجرية للجنس ، بإدماج فاعلات جدد في الحراك الهجري للعمل في الجنس ،فتكون من نفس الحي أو من الأقارب أو صديقات.

486 .Carnet Pauline, op cit, p 254.

و حسب تصريح الوسيطة الثقافية " إن حلم المرأة لهذه البلدان هو الذهاب إلى أوروبا، و لهذا مفهوم المتاجرة في الجنس ليس مرتبط بتصورهن حول الأشخاص الذين ساعدوهن على الذهاب. و الذي نسميه نحن التاجر في الجنس proxénète هو بالنسبة للفاعلة هو المنقض le sauveur ، و هؤلاء الأشخاص يصبحون المساعدين لتحقيق أحلام النساء فتصبح مدينة له بالفضل، معنويا و إنسانيا فيصبح تقريبا، موضوع الشرف، و تعتبر أنه يأتي بعد الله [487].

فتتشكل كل من حالة أمينة و كاتيا و حتى وهيبة و فطيمة ، فكرة أن جسد المرأة ملك لها هي حرة في إستخدامه، بعيدا عن المراقبة الإجتماعية التي هي مفروضة عليها و التقاليد و العرف و الشرف، و الإحتفاظ بالعذرية حتى يوم الزفاف، فالبعض من الفاعلات يعشن هذه الحرية الجنسية بطريقة سرية، و تريد إثبات تواجدها ، كإنسانة ، إختارت و أخذ القرارات في أمور تتعلق بحياتها و لها قناعة بشرعية و حق وجودها في تلك المكانة ، رغم رفض أسرتها، المقربين ، المحيط الإجتماعي، فهي تواصل مقاومتها، و بشكل جديد من خلال ظاهرة الحرقة وتحاول العيش في فضاء آخر في ثقافة أخرى، أين يكون فيها إنتماء المرأة و مكانتها مقبولا في أشكاله المختلفة و تمثلات تصور المرأة مغايرة تماما عن البلد

الأصل في ممارستا للجنس سواءا في إطار عاطفي حميمي ، أو إختيار شريك للممارسة الجنسية مقابل مبلغ مالي خارج شروط العمل في الدعارة .

أشارة وهيبة عند تعرضنا لفكرة ممارسة المهاجرة السرية للدعارة ، لماذا لا يطرح هذا التساؤل على المهاجر ؟ لماذا لا تعالجون ممارسة المهاجر السري للدعارة ؟

كانت غاضبة و تجيب على الأسئلة التي طرحتها علينا، مصرحة أن بعض المهاجرين الغير شرعيين يعملون في الدعارة بالمقاهي الليلية ، بنفس الطريقة مثل المهاجرة ، لكن لا يتم الإعتراف بالدعارة الذكورية ، بل فقط النساء هن اللواتي يمارسنها في إسبانيا.

487 .Guillemaut Françoise, op cit, 98.

" علاه ما يتكلموش على الولاد كي يروحو في البارات نتاع أليكانت ويسهروا معا شيبانيات و يرقدوا معاهم ، هادوك ماعليش ماراهم يديروا والوا ، بصح النسا يهدرو عليهم "

فممارسة المهاجرة السرية للجنس و الدعارة سائدة في المجتمعات ذات الثقافة الذكورية و هذا ما يبعد الشكوك في إنتماء الذكر لهذا النوع من العمل رغم إلتجاء البعض منهم لهذه الممارسات الجنسية مقابل مبلغ مالي أو حافز آخر.

2-هشاشة وضعية الحراقات في بلد الإستقبال :

حسب تقرير الحكومة الإسبانية الذي يتعلق بعمل المرأة كمهاجرة سرية في إسبانيا و تعرض لميادين مهنية التي يحتمل عمل المهاجرة السرية فيها، العمل البيتي، خدمات التنظيف في الفنادق، الإدارات، المهن الحرة، الدعارة.و الذي إعتمد على إحصائيات رسمية للشرطة الإسبانية تتعلق بـ 150.000ألف إمرأة مهاجرة التي تمارس الدعارة و التي يقدر أكثر من 10 % من المهاجرات المغربيات. و يؤكد هذا التقرير على إجبارية المغاربيات على العمل في هذا المجال ، و في أماكن مختلفة ، كالفنادق ، الشوارع، و يصف أن مدة العمل اليومي تتجاوز 14 ساعة، وبأجر أقل بـ 76 %من العاملة الإسبانية، دعارة مكثفة، فيصفون الباحثون أن مجمل هذه الأعمال ، يوجد إستغلال، و عنصرية مباشرة و حتى يصل إلى ممارسات العبودية الحديثة[488].

نستنتج من هذا التقرير أن وضعية المهاجرة السرية ، يضعها في مكانة هشة ، لكونها إمرأة و تزداد درجة هذه الهشاشة و الضعف بسبب الوضعية الغير قانونية لتواجدها بدون وثائق مما يؤدي صعوبة إيجاد عمل. و التي تجبرها على العمل بطريقة غير شرعية، و إستغلال المستخدمين هذه الوضعية لصالحهم ، و أكثر ضررا هو العمل في الدعارة.

488.El Azizi Abdellatif, « Emigration clandestine, le calvaire des harragates », **Telquel Online**, édition spéciale 8 mars, n°= 166, du 5 au 11 mars 2005, p 12.

من خلال حالات الدراسة ، لاحظنا أن الوضعية المالية للفاعلات ، لم تكن جيد أو حتى عادية ، فعند إلتقائنا بوهيبة ، كانت تقترض المال من السيد بلقاسم و تلقت إتصال بحجز بضاعة كانت قد إشترتها في إطار عملها في البزنسة تقدر بـ 1000 أوروا.

و فطيمة هي أيضا رغم عملها كمنظفة في المركز إيواء الشباب بأكس بروفانس، فقد سمعتها تشتكي من عدم قدرتها دفع ضريبة السكن و التي تفوق بكثير راتبها .

" غادي يطردوني من داري، منين نجيب الدراهم (1000أورو) باش نخلص قاع هادوا دراهم ، بزاف ، في الجزاير يشكوا بصح راهم ساكنين باطل و ياكلوا باطل ، ما شي كيفنا "

و حتى هوارية فهي لم تستطع إيجاد عمل ، الذي من خلاله تسوي وضعيتها القانونية. فالمكوث بأليكانت كان بسبب العلاقات التي استطاعت ربطها مع الجالية، فحاليا هي تقيم مع حراقة أخرى قديمة في المهجر وهذا للتعرف على المحيط الاجتماعي الجديد و أيضا عن طريقها استطاعت التعرف على المهاجرين وإستطاعت أن تقدم لهم خدمات كالحلاقة بالمنازل مقابل مبلغ رمزي (خمسة أورو عوض سبعة في محل الحلاقة) ، و هكذا تحاول توفير مبلغا ماليا لمصاريف مختلفة و نصيبا لترسله إلى أسرتها في البلد الأصل.

" مزيا عندي حرفة في اليد ، راني نخدم بها ، و راني نسلك بها روحي ، هنا كومتخدميش حتاواحد ما يعطيك دراهم و لا يصدق عليك "

اشارة فتيحة إلى صعوبة الحصول على تكوين جامعي في فرنسا و ذلك لتكاليف تسديد التأمينات فقد أرغمتها هذه الوضعية على العمل كمربية لأبناء أختها ، لمدة سنتين ، ثم تزوجت بسبب الوضعية الغير شرعية لإقامتها ، فتعتبره كحل وحيد لوضعيتها، و حتى و هي متزوجة فيرفض زوجها فكرة عملها و لهذا فهي ترى نفسها جامدة و لا تستطيع تحقيق أحلامها و طموحاتها.

" بغيت نكمل قرايتي في الجامعة ، بصح طلبوا منى دراهم بزاف ، ما قدرتش ندفعهم ، و كنت عند ختى قادبتلها ولادها ، بصح كانت باغيتنى ندير la résidance، كتزوجت درتها بصح راني قاعدة في دار لاخدمة و لا قراية "

تشير الباحثة نسيمة موجود[489] أن وضعية المهاجرة الغير شرعية ترتكز على العلاقات الإجتماعية ، و الصداقة و الحب، و العلاقات المهنية و العائلية، في غياب النظم التي تمدها بها الدول من أجل العمل و التطور و في ظل هذه الوضعية تلجأ إلى خلق مصادر جديدة و إستراتيجيات متعددة و التي نستطيع تقسيمها في أربع أشكال:

1- **الإقتصادية** : المهاجرة الغير شرعية، هي مرغمة على البحث ، في المعاش المادي في المجال الأنثي، و الغير رسمي، الغير محمي، جنساني جنسي (الدعارة، خادمة غير مصرح بها، العمل في معامل سرية، المؤسسات العائلية، التجارة الغير شرعية ...).

2- **القانونية** : إن عليهن التركيز على إحتمالات تسوية وضعيتهن القانونية، وللحصول على الحقوق كمهاجرة شرعية أو مواطنة.

3- **الإجتماعية** : تحويل الروابط الإجتماعية (صداقة، علاقة حميمية جنسية، أو علاقة عمل مثلا) إلى الروابط التضامن في مختلف المجالات لحياتهن (مسكن، صحة، عمل، تسوية وضعية، إتصال مع المقربين).

4- **الجمعيات** : إن المهاجرات الغير حاملات إلى الوثائق، يتضامن في إطار التفاعلات و العمل في صالح المهاجرات، و هذه المبادرة تمنحهن فضاء مهم للدعم و الحصول على المعلومات المختلفة.

طرحنا سؤالا على وهيبة لماذا لا تعودين إلى البلاد لأن الظروف الاقتصادية المتأزمة لا تسمح لك بالعيش الحسن ؟

489 .Moujoud Nasima, op cit, 10.

أجابت عن الحوافز التي تستـطيع الحـصول عليها مثل تـكويـن مجاني في مخـتـلف التخـصصات في مــجال التســيير و الاقتصاد و الأهم هو الخدمات الصحية التي تتم في ظروف جيدة فالأزمات المرضية التي تعاني منها أرغمتها في بعض الأحيان على ملازمة الفراش لأشهر عديدة. و منحة البطالة التي تحصل عليها تساعدها على سد حاجياتها الأساسية لكن تبقى هذه الوضعية بالنسبة لها أحسن من العودة إلى البلد، فرغم تدهور الأوضاع في إسبانيا بسبب الأزمة الإقتصادية ، لم يغير من قرار عدم العودة إلى البلد الأصل ، لأن العامل الإقتصادي ليس هو السبب الوحيد لتواجد الفاعلة في الهجرة ، بل يوجد دوافع أخرى ، كالخدمات الصحية و الإجتماعية .

تسرد الباحثة فرانسواز قيومو[490] قصة فيت ، أرملة كانت تاجرة في بلدها الأصل وتجارتها كانت على مايرام ، لكن أرادت الذهاب من أجل تحسين وضعيتها ونجاحها و لأجل ضمان مستقبل أطفالها. لقد باعت تجارتها و بالنقود المتحصل عليها استطاعت دفع مستحقات مرورها نحو اوروبا. لكن بعد شهور من عملها في باريس ألقي عليها القبض من طرف الشرطة و حبست لمدة شهرين،بعد خروجها من السجن استطاعت تفادي طردها من بلد الإستقبال و ايضا لا تستطيع العودة الى العمل خوفا من تعرضها مجددا للحبس و الطرد. ثم ساعدها أحد أفراد جاليتها باسكانها ، و حاولت العمل في المجال الغير شرعي أو الغير رسمي ، كخادمة وهذا لعدم حملها وثائق الإقامة ، و هي لا تريد العودة و التي ستكون نهاية هجرتها. و يديها فارغتان و هي تعلم ايضا أن بقاءها في هذه الوضعية المهمشة لا تسمح لها بتلبية الحاجيات المادية لأطفالها. فلم تقدر على الرجوع الى بلدها الأصل، لتقييم مشروعها فهي في وضعية غير شرعية و ذهاب لفترة قصيرة يمنعها لإحتمال العودة غلى اوروبا. و بشكل متناقض ، فالزواج و الولادة هما اللذان يسمحان لها بتسوية وضعيتها ، و في نفس الوقت قد قيدها في فرنسا و أدى إلى فقدان استقلاليتها المالية.

490 .Guillemaut Françoise, op cit, p 99.

فكرة سوء الوضعية في بلد الأصل تتواصل من خلال الهجرة السرية ، فهشاشة وضعية المرأة تستمر بمسارها من خلال هجرتها في بلد آخر.

نلاحظ أن حالة سامية المطرودة ، إرجاعها إلى البلد الأصل زادها تدهورا وضعفا لوضعيتها ، فالآن تجربتها الهجرية موسومة بالفشل ، فهي تبحث عن الحلول المتبقية.

3-إستمرارية الفضاء العمراني لبلد الأصل :

عند إنتقالنا إلى أليكانت بإسبانيا، أراد **المرشد جيلالي** تعريفنا بالأحياء التي يتواجد فيها أكبر عدد من المهاجرين من المغرب و المنطقة الغربية في الجزائر و حتى من أمريكا اللاتينية، و إستغربنا لإستعمال تسميات لها علاقة وطيدة بالبلد الأصل، كساحة الجزائر و ساحة وهران، و الكتابة باللغة العربية ، و حتى أننا إعتقدنا أننا بمدينة وهران ، لا يوجد فرق بين الطابع الحضري في أليكانت و مدينة و هران.

© Kime Sabiha

صورة رقم 39 : تبين تسمية ساحة في أليكانت بوهران

و أيضا يغلب عليه ثقافة البلد الأصل في إستغلال المنشئات المعمارية ، و شاهدنا رمي الأوساخ، و الأثاث في الشارع ، تحويل الشقق. و عند دخولنا لبعض العمارات ، كنا نسمع أغاني الراي ، و كأننا في الأحياء الشعبية. و على طرف أليكانت (بعيد عن وسط المدينة) و هذا لمراقبتهم، و حل النزاعات المختلفة ، وتفادي ارتفاع نسبة الإجرام في هذه المنطقة.

© Kime Sabiha

صورة رقم 40 : تبين مجمع سكاني بأليكانت يقيم به مهاجرين من مختلف الدول

© Kime Sabiha

صورة رقم 41 : تبين تدهور مدخل أحد مبنى التجمع السكاني بأليكانت

© Kime Sabiha

صورة رقم 42 : تبين رمي الأوساخ بداخل مبني التجمع السكاني في أليكانت

© Kime Sabiha

صورة رقم 43 : تبين تدهور الفضاء الخارجي للمجمع السكاني بأليكانت

صورة رقم 44 : تبين تغيير السكان المهاجرين في المبنى بطريقة عشوائية

و خلال تواجدنا معه ، قد أشار إلى ملاحظة شخص كان يبحث في صناديق لرمي القمامات ، و صرح أن هذا الرجل في الخمسينات من عمره يجمع الأشياء الذي يرميها الناس و يعيد تصليحها و يبيعها في البلد ، فهم ليس لديهم عمل يقومون به ، يعيشون حياتهم ما بين إياب و ذهاب من أليكانت إلى وهران . و نفس الموقف قد لاحظناه في ميناء أليكانت ، رجل يحمل في عربة أشياء قديمة و مكسرة و هو في هيئة جد متسخة ، و كأنه متشرد.

فالصورة لم تتغير ، رموز الرقي الإجتماعي التي ذكرنا و التي تتم من خلال هجرة الفاعلين، لم تتحقق من خلال هذا المشهد، و كأننا غيرنا المكان فقط ، أما الأوضاع المعيشية و طريقة الحياة فبقيت ، و حتى أن **المرشد جيلالي** صرح لنا أنه تمارس نفس السلوكات ، كسرقة كابلات الكهرباء، و السكن في الأسطح والشجارات ما بين الجيران، و لهذا أنشأت البلدية مركز شرطة قريب من المجمع السكاني.

رغم أن الفرد يهاجر فيغير في المكان و المحيط و عليه الإندماج أي تعلم لغة البلد المستقبل، ثقافته، طريقة العيش، إحترام قوانينه، فيصبح مواطنا إسبانيا لكن المهاجر الجزائري، لا يقبل هذا الإندماج ، بل يعيد إنتاج محيط خاص به حسب ثقافة بلد الأصل، فهو يهاجر من أجل العمل (الجانب المادي) أو الحصول على شهادة إقامة فقط، لكن تغيير تفكيره أو تصوره ، فهذا لا يحدث.

فهو يعيد تصوره عن المحيط و ينتجه و أيضا الدولة الإسبانية، لا تتحرك من أجل تغيير هذا فهي تترك الأشياء، كما هي من أجل إثبات للعالم، أن المهاجرين لا يستطيعون الرقي و التحضر و أن يصبحوا مواطنين إسبانيين، فهذه صورة سلبية عن المهاجرين و العرب تخصيصا و لكي يبقوا في الدرجة الثانية، حتى المدرسة تتحول حسب التصور إلى مدرسة جزائرية.

- **خـلاصـــة**

و يرى الباحث سامي تشك[491] أن إستقلالية و تطور المرأة و الحصول على حريتها الإجتماعية التام ، لا يكون بالحرية الجنسية فقط بل يجب أن يرافقه ، تطور نسوي عام و إجمالي في كل المستويات.

فبالنسبة لحراقات ، حالات الدراسة ، لاحظنا أنه لا يكفي إنخراطهن في التيار الهجري السري ، من أجل تحقيق أهدافها و إسترجاع مكانتها الإجتماعية في بلدها الأصل ، بل يجب أن تتوفر ظروف ملائمة ، الإقتصادية و الإجتماعية لكي تستطيع تحقيق إستقلاليتها الذاتية و أيضا الطموح للرقي الإجتماعي و الإستثمار في بلدها الأصل ، و في الواقع من الصعب إسترجاع مكانتها خاصة إذا كانت منعوت ، إلا بإعادة زواجها ، و هي المكانة المقبولة في المجتمع.

491 .Tchak Sami, op cit , p 183.

خـــاتـــمـــة عـــامـــة

- **خـــاتـمة عـامــة**

كل مشروع هجري يشترط فيه الانفتاح نحو أفق جديدة و القدرة على إعادة بتاء كل ما اكتسبه من النظام الاجتماعي و الثقافي للبلد الأصل فالانفصال عن مكان الإقامة و الوطن يسهل على المهاجر إمكانية الوصول إلى فكر متزن ومتناسق الذي يواجه به النسق الاجتماعي القديم المحدد عادة عند الفرد.

لقد تبين لنا من خلال الدراسة أن مشروع الهجرة السرية يحتاج لثلاث عوامل أساسية و هي:

- الوسيلة المادية و التي تحاول الحراقة توفيرها بمختلف الطرق سواء كان من خلال أجرها أو بيع مجوهراتها.
- الرأسمال الثقافي و هو البحث عن أفق و مسار جديد بالاستعانة لمختلفة المعلومات منها الجغرافية والجوية و القانونية التي تتعلق بمشروع الهجرة السرية.
- التضامن الاجتماعي في كلا الضفتين (البلد الأصل و البلد المستقبل).

حالات الدراسة عملت على أن تتحقق هذه العوامل في مشروع هجرتها السرية لتضمن نجاحها و هذا ما لاحظناه من خلال مختلف تصريحات الحراقات.

الحراقات هن حاملات لشهادة جامعية و مثقفات ، أغلبهن يجدن صعوبة في الاندماج و الحراك الاجتماعي ، فهن يبحثن عن معنى لحياتهن ، مقيدات في مجتمعاتهن أين الأسر متسلطة فيؤدي إلى إحساسهن بالسجن فكان نتيجة قطيعة بين الحراقات و الجماعة ثم المجتمع.

حسب الفرضيات التي وضعناها في أول هذا البحث نستنتج أنها تحققت ، إذا اتجهت الفاعلات للنموذج التقليدي و هو النظام الأسري القائم على سلطة الأب ، تكتشف وجود الكثير من الممنوعات و في المقابل تكتشف النموذج العصري الذي يصفه المجتمع بالتحرري و الذي من خلاله تشعر بالذنب عند خرق بعض الحدود التي وضعها المجتمع ، و هذا ما وجدناه في كل من حالة المطلقة و الأم العازبة.

فالمكانة التي تحملها الفاعلات تدفع بالرغبة في تغيير نمط حياتهن ، فهو سبب حاسم أكثر من العامل الاقتصادي الذي يتمثل في البحث عن العمل و في الحقيقة فان الحراقات تبحث بالدرجة الأولى عن حياة أفضل بعيدا عن القيود والضغوطات الاجتماعية و خاصة الرقابة التي تركت فيهن ذكرى سيئة و هو دليل على عدم عودة بعض الحراقات إلى البلد الأصل تحت أي طارئ.

في نفس الوقت تجد الشابة النموذج المسيطر في المجتمع الجزائري و هو "مكانة المهاجر و المهاجرة " ، و خاصة عند نجاحه أو نجاحها ، فيصبح من رواد التجارب الناجحة و مثال حي لبعض الشابات و هذا يظهر عند رجوعهم إلى وطنهم و عليهم آثار النعمة و افتخارهم بما قاموا به و سرد تجربتهم في شكل جذاب يغري السامعين بأنه عمل بسيط و سهل ، يمكن التفكير فيه و محاولة تطبيقه في الهجرة السرية.

الحراقات يتظاهرن بأنهن يهاجرن من أجل الهروب من ظروف قاسية بينما هذا لا يشكل السبب الرئيسي بل هن في الواقع بدأن حياة جديدة مغايرة بسبب طلاقها أو حملها الغير شرعي أو تحملها مسؤولية الأسرة و بالطريقة التي تراها تناسبها و في المقابل يرفضها المحيط و المجتمع فهي تقرر الهجرة السرية للانتقال إلى مجتمع جديد يوافق و يؤيد الحياة الجديدة. بمعنى آخر ، إن دافع الهجرة السرية يتمثل في التناقض الحاصل ما بين التأملات الذاتية و الفرص الموضوعية للفاعلات ، فالحراقات يعتقدن أنه لديهن الحق في الهجرة السرية حيث الذي يقدم لهن اليوم لا يرضيهن.

الهجرة السرية تنطلق من الفاعلة قصد تحقيق الحرية الفردية (باغيا نعيش) ليتحول هذا الجانب لخدمة العامل الاقتصادي لمساعدة الأسرة فهو عمل اقتصادي اجتماعي لأسرتها في البلد الأصل و لأجل بناء صورة غير حقيقية عن وضعيتهن في البلد المستقبل ترسل الهدايا و تقدم المساعدة المالية في المشاريع العائلية (تعليم الأطفال ، تزويج أحد الأفراد ، بناء منزل). فهذا كله قصد تحقيق اطمئنان العائلة وأن الحراقة لها دخل مادي من عمل رسمي و مادام لها عمل فهي في ظروف تحسد عليها.

الواقع أن حراقات، حالات الدراسة كلهن في وضعية هشة بأليكانت بسبب عملهن في ميادين غير رسمية مما يعني اجورا منخفضة و في بعض الحالات تلجأ البعض منهن إلى بيع المخدرات أو العمل في الجنس و حتى استعمال طرق الاحتيال كالشعوذة و السحر و الدجل.

الهجرة لديها حرفيين و التجار الذين تتمثل وظيفتهم في سد الحاجات الخاصة للجالية و مجالات أخرى كالمطاعم و الفنادق و حتى الاهتمام بالجسم والسياحة و الأسفار ، التغذية (الأكل الحلال)، الملابس ، المقابر و حتى لديها الشيوخ و الحكام المجتمع التقليدي يحملون المسؤولية الدينية و المرقين حيث تتمثل وظيفتهم في الوساطة و المصالحة بين المتنازعين و أيضا يملكون السيطرة والقوة السحرية و الممارسات الثقافية ، فالجالية الجزائرية كانت عليها إنتاج من خلال

الفاعلين مختلف الأدوار ، مهمتهم تتمثل في ربط العلاقة المهمة التي تربط المجتمع الجزائري بالمهاجرين. فالنساء الجزائريات الأكثر تمدنا و اللاتي تتميزن بالتيار التجاري و التي يقدمن خدماتهن في البيوت بعلم الزوج فتبيع القماش والمجوهرات[492].

عبد المالك صياد إعتمد على وجود فاعلين غير رسميين يقومون بخدمة الجالية الجزائرية في فرنسا و هذا حفاظا على القيم الدينية و الثقافية و لرفض بعض الأزواج و الآباء اختلاط زوجاتهم و بناتهم بالفرنسيات و ما يؤكد ذلك أن الحراقات قد إستطاعت من خلال بعض هذه الأدوار البقاء في البلد المستقبل رغم وضعيتهن الغير شرعية.

الشبكات الاجتماعية تساعد على الهجرة السرية و توفر على الحراقات تكاليف مختلفة و تحميهن فهي تقوم بدور مجتمع تحتي في بلد المهجر فهي تهذب العمل الشاذ و تستثمره من الجانبين ، في البلد الأصلي فهي تورد الأموال و في البلد المستقبل توظف له الهجرة السرية.

الهجرة السرية و إن كانت تظهر في ملامحها الأولى أنها عشوائية لكن عند التعمق و تتبع خطواتها و ارتباطاتها بالشبكات الاجتماعية تثبت أن هذه الهجرة هادفة و منظمة لأنها تخضع لكل الحركات و التسهيلات التي تمدها بها الشبكات. ولهذا نرى أن إنخراط الفتاة الشابة في الحراك الهجري السري هو نتيجة للتحولات التي يشهدها المجتمع الجزائري و خاصة بالنسبة للفئة الشبابية.

إرتأينا تذكير المقاربة التفسيرية بالجمع ما بين المقاربات النظرية المختلفة لظاهرة الهجرة السرية النسوية التي عرضناها في الفصل الثالث ، لوضع مقاربة سوسيولوجية لدراستنا " حراقات أليكانت و الأخريات " ، أن العامل الماكرو سوسيولوجي ، نجده في نظرية الدفع/ الجذب ، فالظروف التي تعيشها الحراقة في ظل مكانتها في المجتمع الذكوري و الصراع الأسري اللاتي تتعرضن له ، يدفعهن

492 .Sayad Abdelmalek, *La double absence, des illusions de l'émigre aux souffrances de l'immigré*, Éditions du Seuil, 1999, p 97.

إلى الهجرة السرية ، أما الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية فهي التي تجذبها في الدول الأوروبية و حصولها من خلال هذه الوضعية الجديدة إلى مكانة مقبولة إجتماعيا و ثقافيا. أما العامل الميكرو سوسيولوجي يجب تواجد الشبكات الهجرية

لتحقيق المشروع الهجري السري و أيضا الإستفادة من عائد هذه الهجرة بالفارق في الأجر و مساعدة العائلة و الإستثمار في بلد الأصل ، فنجد كل من نظرية الشبكات الإجتماعية و إستثمار الرأسمال البشري تفرض نفسها في تفسير ظاهرة الهجرة النسوية السرية.

و نأمل أن تكون هذه الدراسة بداية لمجال بحث جديد ، للحراك الهجري النسوي وإرتباطه القوي بالتحولات المعيارية التي يشهدها المجتمع الجزائري عموما ، وخصوصا المرأة كفاعلة إجتماعية.

المـــراجـــع

I- المراجع باللغة العـربية :

1- الكـتـب :

- بوتفنوشت مصطفى ، *العائلة الجزائرية التطور و الخصائص* ، ترجمة دمري أحمد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984.
- حسن راوية، *مدخل إستراتيجي لتخطيط و تنمية الموارد البشرية* ، الإسكندرية، الدار الجامعية ، 2002.

2- مقالات في مجلة علمية :

- أديرانتي أديبوجو، "قضايا الهجرة الدولية و إتجاهاتها الحديثة في إفريقيا جنوب الصحراء"، الهجرة الدولية عـام 2000، **المجلة الدولية للعلوم الإجتماعية**، مركز المطبوعات اليونسكو، القاهرة، العدد 165، سبتمبر 2000.
- بلحسن مباركة ، " العذرية و الرقابة الإجتماعية " ، **مجلة التدوين**، مطبوعات جامعة وهران ، ديسمبر 2010 ، ص 38-40.
- جواكين آرنجو، "تفسير الهجرة : المداخل المفاهيمية و النظرية"، الهجرة الدولية عـام 2000، **المجلة الدولية للعلوم الإجتماعية**، مركز المطبوعات اليونسكو، القاهرة، العدد 165، سبتمبر 2000 .
- رمضان محمد ، " *الهجرة السرية في المجتمع الجزائري ، ابعادها وعلاقتها بالإغتراب الإجتماعي* " ، **مجلة المواقف** ، للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ ، العدد 04 ، ديسمبر 2009.
- مانري فيرونيك ، شمول كامي ، " تجارة المرأة وجوه جديدة للحركية المغاربية في الفضاء الأورومتوسطي" ، ترجمة منتهى قبسي ، **مجلة النقد**، العدد 28 ، 2010 ، ص 39-61.

3- الجـرائـد :

- بورويلة ص ، " *في ظرف ثمانية أشهر من السنة الماضية ، مقتل أكثر من 200 إمرأة و 5000 آلاف ضحية عنف*" ، **جريدة الخبر** ، 25 فيفري 2013 ، العدد 6996.
- زمام عائشة ، " *عبد القادر تيتانيك*" ، **الجمهورية** ، 31 أوت 2002.

4- الرسائل الجامعية :

- كيم صبيحة ، " *الشباب و الحرقة"* ، دراسة ميدانية لظاهرة الإقبال على الهجرة السرية بميناء مدينة وهران ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، **تخصص علم الإجتماع ، جامعة وهران** ، سنة 2006.

5- مراجع من الأنترنيت :

أ- تقرير علمي :

- لوي فيل جون ،" *الهجرة النسائية بين دول البحر المتوسط و الإتحاد الأوروبي"* ، **يوروميد للهجرة 2** ، 2009.
http://www.enpi-info.eu/library/sites/default/files/StudyonWomenredGIZ_EUROMED_II_AR_L.pdf

ب- مقالات :

- بكار فاطمة ، " 9033 إمرأة معنفة،7943 ولادة غير شرعية،35 ألف حالة طلاق بأي حال عدت يا عيد ؟ " ، تاريخ الإطلاع 2012/12/05.
http://www.manqol.com/topic/print.aspx?t=41028

- مسدالي فاطمة ، *المرأة المغربية المهاجرة و مسألة الإندماج* ، مركز دمشق للدراسات النظرية و الحقوق المدنية ،11\9\2008.
http://www.mokarabat.com/s4745.htm

- *حواء ضحية قمع ثقافي واجتماعي وآخر سياسي في الجزائر*
www.etudiantdz.net/vb/t1198.htmlabdou212008-05-05

- عباس عبد الحق ، القانون الجزائري يعترف بحقوق المرأة بشكل شبه كامل وفي الميدان تكابد آلاف النساء من اجل بقائهن وسط جحيم يومي.
www.etudiantdz.net/vb/t1198.html Mis en ligne le 09/2006

II- المراجع باللغة الفرنسية:

1. الكـتـب :

- Arab Chadia**,** *Les Aït Ayad la circulation migratoire des Marocains entre la France, l'Espagne et l'Italie***,** Rennes, Presses Universitaires de Rennes, 2009 .

- Ba Omar, *Je suis venu, j'ai vu, je n'y crois plus*, Max Milo Éditions, 2009**.**

- Badie Bertrand, Brauman Rony, Decaux Emmanuel, Guillaume Devin, Wihtol de Wenden Catherine, *Pour un autre regard sur les migrations, Construire une gouvernance mondiale*, Editions la Découverte, paris, 2008.

- Brachet Julien, *Migrations transsahariennes Vers un désert cosmopolite et morcelé (Niger*), Terra édition ,2009.

- Charef Mohammed, *La circulation migratoire marocaine, un pont entre deux rives,* édition Sud Contact, 1999.

- Chebib Zidani, *L'enfant né hors mariage en Algérie*, ENAP Alger 1992.

- Forget Bernard, *Los clandestinos mode d'emploi*, Cahiers migrations 31, Edition ACADEMIA, 2004.

- Gildas Simon, *Géodynamique des migrations internationales dans le monde*, Presse Universitaire de France, 1er édition, 1995.

- Goffman Erving, *Stigmate les usages sociaux des handicaps*, traduit par Kihm Alain, les Editions de Minuit, 1975.

- Hafdane Laala Hakima, *Les femmes marocaines, une société en mouvement*, édition l'Harmattan, 2003.

- kerroumi Abdelali, *Trajectoires d'immigrants maghrébins, Réseaux, fratrie et mobilité sociale*, L'Harmattan, 2006.
- Khandriche Mohamed, *Le nouvel espace migratoire franco-Algérien, des données et des hommes*, EDISUD, France, 1999.

- Laacher Smain, *Le peuple des clandestins*, Calmann-Lévy, 2007.

- Lacoste-Dujardin Camille, *Yasmina et les autres de Nanterre et d'ailleurs,* La Découverte, Paris, 1992.

- Mabrouk Mehdi, *Voiles et sel, culture, foyers et organisation de la migration clandestine en Tunisie*, les éditions Sahar, 2010.

- Merckling Odile, *Femmes de l'immigration dans le travail précaire*, l'harmattan, 2011.

- Merckling Odile, *Emploi, migration et genre des années 1950 au années 1990*, paris, l'Harmattan, 2003.

- Moutassem Mimouni Badra, *Naissances et abandons en Algérie*, éditions Karthala, 2001.

- Pheterson Gail, *Le prisme de la prostitution*, L'Harmattan, 2001.

- Piché Victor, *Les theories de la migration*, Paris, INED, 2013.

- Sayad Abdelmalek, *La double absence, des illusions de l'émigré aux souffrances de l'immigré*, éditions du Seuil, 1999.

- Tchak Sami, *La sexualité féminine en Afrique, domination masculine et libération féminine*, l'Harmattan, 1999.

- Têtu-Delage Marie-Thérèse*, Clandestins au pays des papiers, expériences et parcours de sans-papiers algériens* Editions la Découverte, paris, 2009.

- Virginie Lydie, *Traversée interdite, les Harragas face à l'Europe forteresse*, L'édition le Passager Clandestin, 2011.

2- مقالات في مـجـلات علمية:

- Arab Chadia, Sempere Souvannavong Juan David, « *Des rêveurs aux bruleurs de frontière : les jeunes harragas maghrébins se dirigeant vers l'Espagne* », **Migrations Societe**, vol 21, n=° 125, septembre-octobre 2009, p 43-48.

- Arab Chadia, « Circulations migratoires féminines des marocaines vers de nouvelles destinations – l'Espagne et les émirats arabes unis », Femmes en migration : travail, bizness, exil, asile, **NAQD**, n=° 28, automne-hiver 2010, p 179-200.

- Arab Chadia, « *Le hrrague ou comment les marocains brulent les frontières*», Dossier Nouvelles figures de l'immigration en France et en Méditerranée, **Revue Hommes et migrations**, n=° 1266, mars-avril 2007, p82-94.

- Ben Hmida Moez, « *Le vécu social des mères célibataire issues et impasses, la famille, une institution sociale en mouvance* », **Cahiers des cercles**, ONFP, 2006, p 111-118.

- Boukhobza Noria, « *Les filles naissent après les garçons, représentations sociales des populations d'origine maghrébine en France* », **REMI**, vol 21, n°= 1, 2OO5, p 227-242.

- Guillemaut Françoise, « *Sexe, juju et migrations. Regard anthropologique sur les processus migratoires de femmes africaines en France* », **Recherches Sociologiques et Anthropologiques**, 2008, n°= 39-1, p 11-26.

- Julian Dolores, «Les nouveaux modèles de la recherche et de la migration des femmes», **Journal d'anthropologie sociale**, Numéro spécial, 1999, p 29-42.

- Mabrouk Mehdi, « *Emigration clandestine en Tunisie, organisations et filières* », **NAQD**, n° 27 /26, 2009, p 101-126.

- Marzouki Ilhem, « *La conquête de la banalisation par le Code tunisien du statut personnel* », **L'Année du Maghreb**, II- 2007, p 71-95.

- Miranda Adelina, « *Les multiples situations migratoires féminines dans la méditerranée* », **NAQD**, n=° 28, 2010, p 21-34.

- Morokvasic Mirjana, « Emigration des femmes suivre, fuir ou lutter », Genre, Nouvelle Division Internationale du Travail et migrations, **Cahiers Genre et Développement** ,Dirigé par Christine Verschuur et Fenneke Reysoo, L'Harmattan, Genève – Paris, n°= 5, 2005, p55-66.

- Moujoud Nasima, « *Effet de la migration sur les rapports sociaux de sexe au de la des visions binaires, Femme, genre, migration et mondialisation* », **Les cahiers du CEDREF**, n°=16, 2008, p 57-79.

- Moujoud Nassima, « *Genre et migration de femmes seules, entre androcentrisme et prisme de la culture d'origine* », **NAQD**, n=° 28, 2010, p 55-77.

- Portes Alejandro, « *La mondialisation par le bas l'émergence des communautés transnationales* », **Actes de la recherche en sciences sociales**, 1999, Volume 129, n=° 129.

- Prévost Gérard, « *Qu'ya 'il de nouveau aujourd'hui dans les manifestations migratoire* ? », **NAQD**, n°26-27, 2009, p 21-38.

- Rahou Yamina, « *Les mères célibataires : une réalité occulté* », **NAQD**, n°22-23, automne-hiver 2006, p 47-60.

- Van Broeck A-M., *« Les immigrés latino-américains sans documents »,* **Johan Leman**, Les immigrés de l'ombre Latino-Américains, Polonais et Nigérians clandestins, Bruxelles, De Boeck-Université, 1995, p 31-70.

- Woo Morales Ofelia, « Migration clandestine Féminine», **la frontière nord**, vol 9, n° =17, Janvier-Juin, 1997, p 113-129.

- Zemmour Zen-Eddine, « Jeune fille, famille et virginité, approche anthropologique de la tradition », **Confluences Méditerranée**, vol 41, 2002/2, p 65-76.

3- مقالات قدمت في كتب :

- Akellal Ahmed*, « Les motivations historiques et sociales de l'émigration marocaine »,* in *l'émigration marocaine*, publications de l'académie du royaume du Maroc, Rabat, 1999.

- *Bolzman Claudio, «* Quels droits citoyens ? Une typologie des modèles d'intégration des migrants aux sociétés de résidence *», in* Perrégaux C*., Intégrations et migrations. Regards Pluridisciplinaires,* Paris, Éditions L'Harmattan, 2001*.*

- Charpentier Isabelle, « Rituels de protection de la virginité féminine et nuits du sang dans la littérature (franco-algérienne) », in Lachheb Monia, *Penser le corps au Maghreb*, IRMC, Karthala, 2012.

- Gaspard Françoise, « Invisible, diabolisé, instrumentalisées, figure des migrantes et de leurs filles », in Maruani Margaret, *les nouvelles frontières de l'inégalité. Hommes et femmes sur le marché du travail*, Paris, la Découverte, 1998.

- Guiraudon virginie, « Une lutte contre les passeurs qui se retourne contre les victimes », in Rodier Claire, Terray Emmanuel, *Immigration : fantasmes et réalités*, la Découverte, paris, 2008.

- Lakjaa Abdelkader, « La jeunesse algérienne entre valeurs communautaires et aspirations sociétaires », sous la direction d'Hervé cellier, Abla Rouag Djenidi*, Algérie France jeunesse, ville et migro marginalité*, l'Harmattan, 2008.

- Peraldi Michel, « Routes Algériennes », in Anteby Lisa, Berthomière William, Sheffer Gabriel, 2000 ans de Diasporas, Rennes, Presses Universitaires de Rennes, 2005.

4- الملتقيات و الندوات:

- Guillemaut Françoise, « Périple dans différents pays d'Afrique subsaharienne jusqu'au Maroc », **Actes du Colloque "Mobilités au féminin**, Tanger, 15-19, novembre, 2005.

- Hachouf et Raki, « La représentation sociale de l'enfant illégitime et de la mère célibataire », **Journée national de la psychiatrie**, Oeud-Athman , mai 1991.

- Nadif Mohamed, « La culture du hrigue, le mirage de la réussite sociale et l'obsession de l'immigration », Informations et commentaires, Le goût amer de nos fruits et légumes, n° hors série, **Forum civique européen**, Mars 2002.

- Nadif Mohamed, « La région du Tadla Azilal face aux migrations internationales », **journée d'étude organisée par la faculté des lettres et des sciences humaines**, université Beni Mellal, Maroc, 22 avril 2006.

5- الرسائل الجامعية:

- Ait Sidhom.A, « Expression des images parentales des jeunes filles algériennes délinquantes, une étude descriptive et comparative », **thèse de doctorat de 3eme cycle**, **université Paris V**, 1984.

- Qacha Fatima, « Migrations transnationales. Rôles des femmes et des réseaux familiaux », **Doctorat de sociologie**. **Université de Toulouse le Mirail**, 2010.

6- الجرائد:

- B. L, « Deux Harragates ont réussi à embarquer, **El Watan**, 26 février 2008, n°= 5260, p 10.

- Benyoub Djilali, « Elle a entendu parler des dispositions pénales et des peines de prison », **La liberté**, 3 décembre 2008, n=° 4937.

- Gaidi M-F , « Arrestation de 25 harraga à Annaba, des femmes, des mineurs et un enfant de 4 ans parmi l'expédition », **El Watan**, 12 novembre 2008, n=° 5480, p 5.

- K. Assia, « Expulsés d'Espagne, huit harraga placés sous mandat de dépôt », **Le quotidien d'Oran**, 22 novembre 2006, n=° 3627, p 09.

- Koudil Salim, « Prés de 50% affirment être de futurs harragas », **La liberté**, 3 décembre 2008, n=° 4937.

- Koudil Salim, « Sandage exclusif de liberté sur l'émigration clandestine », liberté, 3 décembre 2008,n=° 4937. **La liberté,** 3 décembre 2008, n° 4937.

- Meddi Adlène, Dahmani Lovichi Fatiha (Sociologue) : « Migration des femmes, une mémoire oubliée» , **El Watan**, 14 février 2006, n=° 5250, p 10.

- T. H, « Selon Un rapport de l'OCDE, les Algériens en tête, des immigrants en France », **Le soir d'Algérie**, 15 juillet 2010, n°= 6002, p 5.

- 2000 Migrants disparus en méditerranée cette année, **Le Quotidien d'Oran**, jeudi 08 septembre 2011, N=° 5099, p32.

III -المراجع من الانترنيت:

1- الكتب :

- Piché Victor, *Les theories de la migration*, Paris, INED, 2013. http://oppenheimer.mcgill.ca/IMG/pdf/Piche_-_Les_fondements_des_theories_migratoires_contemporaines_-_2013.pdf

- Tapia Stéphane de, *Système migratoire euro-méditerranéen, effets des transferts financiers dans les pays d'origine*, Éditions du Conseil de l'Europe, Strasbourg, 2008. http://book.coe.int/ftp/3135.pdf

2- المجلات :

- Anglade Marie-Pierre, « Formes socio-spatiales du côtoiement femmes-hommes en espaces publics : normes sociales, drogues et violences au jardin, Nevada de Casablanca (Maroc) », **revue science & vidéo**, rubrique varia, 2008. http://scienceandvideo.mmsh.univ-aix.fr/Varia/Pages/anglade.aspx

- El Azizi Abdellatif, « *Emigration clandestine, le calvaire des harragates* », **Telquel online**, édition spéciale 8 mars, n°= 166, du 5 au 11 mars 2005. http://www.telquel-online.com/archives/166/sujet4.shtml

- Falquet Jules, Sabreen Alarassace, « Les femmes parties de leurs pays en raison de leur lesbianisme, un état des connaissances en France aujourd'hui », **Revue Asylon (s)**, n°=1, octobre 2006. http : //www.resau-terra/ article 483.html

- Gautier Arlette, « Les violence contre les femmes dans les pays en développement », **Revue Asylon(s)**, n°=1, octobre 2006. http : //www.resau-terra/ article 536.html

- Ghosh, Bimal , « Huddled Masses and Uncertain Shores: Insights into Irregular Migration », In Monnier Laurent , note de lecture , **REMI** , 1998 , Volume 14, Numéro 14-3, p 228-231. http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/remi_0765-0752_1998_num_14_3_1655_t1_0228_0000_3

- Guillemaut Françoise, « *Femme africaines, migration et travail du sexe* », **Revue Sociétés**, 2008/1, n=° 99, p 91-106. www.cairn.info/revue-societes-2008-1-page-91.htm

- Kobanda Mopo Jean-Paul, « *Femmes persécutées en tant que femmes face à l'impossible protection juridique et politique dans leurs pays d'origine et en France* », **Revue Asylon(s)**, N°1, octobre 2006. http://www.reseau-terra.eu/article487.html

- Laacher Smain, « *Partir pour le bout de la terre* », **critique international**, 2003/02, n°= 19, p 157-170. www.cairn.info/revue-critique-internationale-2003-2-page-157.htm.

- Lalami Feriel, « Les amendements au code algérien de la famille, une réforme en trompe-l'œil », **Confluences méditerranée**, , Automne 2006, n°= 59, p 23-30. http://www.cairn.info/revue-confluences-mediterranee-2006-4.htm

- Link Bruce G et Phelan Jo C , « Conceptualizing stigmat », traduit par Jacquin Pauline, Annual Review of Sociologie , vol 27 , 2001, p 371. phelin-link-stigmate.pdf

- Majdoubi Fatiha, « *Miss Visa et ses articulations intimes entre espaces concrets et arrangements discrets : Circulez, y a rien à voir !* », *SociologieS*, Dossiers, Amours Transi(t)s. Transactions sexuelles au prisme de la migration. le 27 janvier 2012, URL : http://sociologies.revues.org/3868

- Schmoll Camille, « *Pratiques spatiales transnationales et stratégies de mobilité des commerçantes tunisiennes* », **REMI**, numéro spécial Femmes, Genre, Migrations et Mobilités, 2005, n=° 21, 1, p131-154. http://www.phal.archives-ouvertes.fr/docs/00/21/20/17/PDF/**Schmoll**REMI.pdf

- Têtu-Delage Marie-Thérèse, « *La migration au risque de l'illégalité entre France et Algérie (1998-2004)* », **REMI**, vol 24-n°= 3, 2008, p107-127. http://remi.revues.org/4831

- Wihtol de Wenden Catherine, « *Motivations et attentes de migrants*», dossier migration et frontières, **Revue Projet**, décembre 2002/4, n°= 272, p 46-54. http://www.cairn.info/revue-projet-2002-4.htm

3-موقع الإلكتروني :

- **CARIM** (Consortium pour la Recherche Appliquée sur les Migrations Internationales) .*www.**carim**.org*

- Bouklia-Hassane Rafik, « La féminisation de l'immigration d'origine Algérienne : un état de lieux », **CARIM, 2011/20**.
http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/15617/CARIM_ASN_2011_20.pdf?sequence=1

- Di Bartolomeo Anna, Jaulin Thibaut et Perrin Delphine, « Algérie, le cadre démographique et économique de la migration, le cadre juridique, le cadre sociopolitique », **CARIM**- profil migratoire, décembre **2010**.
http://www.carim.org/public/migrationprofiles/MP_Algeria_FR.pdf

- Hammouda Nacer Eddin, « Algérie : démographie et économie des migrations, Migrations méditerranéennes », Rapport 2005 (sous la direction de Philippe fargues) .
http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/3294/AR2005CARIM.pdf?sequence=1

- Labdelaoui Hocine, « Genre et migration en Algérie », **CARIM, 2011/12**.
http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/15597/CARIM_ASN_2011_12.pdf?sequence=1

- Labdelaoui Hocine, « Harrga ou la forme actuelle de l'émigration irrégulière des Algériens », **CARIM**, **2009/18**.
http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/11215/CARIM_ASN_2009_18.pdf?sequence=1

- Labdelaoui Hocine, « Les dimension sociopolitiques de la politique Algérienne de lutte contre l'immigration irrégulière », **CARIM**, **2008/67.**

http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/10112/CARIM_AS%26N_2008_67.pdf?sequence=1

- Lahlou Mehdi, « Les migrations irrégulière entre le Maghreb et l'union européenne : évolution récentes », **CARIM, 2005/03**.

http://www.carim.org/Publications/CARIM-RR05_03_Lahlou.pdf

- Mebroukine Ali, « L'attitude des autorités algérienne devant le phénomène de la migration irrégulière », **CARIM**, **2009/08.**

http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/10800/CARIM_ASN_2009_08%20Revised.pdf?sequence=3

- Sakho Papa, Binetou Dial Fatou, « Migration clandestine féminine », étude de cas de Dakar et sa banlieue, **CARIM, 2010/56**.

http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/14629/CARIM_ASN_2010_56.pdf?sequence=1

- Migrations méditerranéennes - Rapport **CARIM** 2006-2007

http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/8169/CARIM-AR_2006_2007.pdf?sequence=3

4- الملتقيات و الندوات:

- Ambrosetti et Tattolo, « Pétrole et migration de travail vers les pays du golfe », in les migrations internationales, observation, analyse et perspectives, **acte du 12eme colloque international de Budapest, 20-24 septembre 2004**.

http://www.erudit.org/livre/aidelf/2004/001373co.pdf

- Falquet Jules, « *Sexe, race, classe et mobilité sur le marché du travail néolibéral : hommes en armes et femmes de services* » , **Actes du Colloque Mobilité au féminin**, **Tanger**, **15-19 novembre 2005**.

http://www.mmsh.univ-aix.fr/lames/Papers/Falquet.pdf

- Khachani Mohamed, « La migration clandestine au Maroc, Entre mondialisation et protection des droits », Dynamiques migratoires marocaines : histoire, économie, politique et culture, **Casablanca, 13, 14 et 15 juin 2003**.

http://www.generiques.org/migrations_marocaines/interventions/khachani_article.pdf

- Meneses Guillermo Alonso, « *La dimension féminine de carrefour clandestin de la frontière Mexique-états unis* », **Actes du Colloque "Mobilités au féminin", Tanger, 15-19, novembre, 2005**.(version traduite), p 1-23.

http://www.mmsh.univ-aix.fr/lames/Papers/Alonso_FR.pdf

5- التقارير العلمية :

- Algérie, dans Perspectives économiques en Afrique, édition **OCDE**, 2008.

www.oecd.org/fr/dev/emoa/40568587.pdf

- Bâ Cheikh Oumar, « Les tendances migratoires actuelles en Afrique de l'Ouest : les migrations clandestines vers l'Europe », Synthèse de quatre études de cas sur le Ghana, le Mali, la Mauritanie et le Sénégal, Rapport final **OSIWA**, 2008. http://www.osiwa.org/en/portal/reports/2008

- Hein de Haas, « Le mythe de l'invasion », Migration irrégulière d'Afrique de l'Ouest au Maghreb et en Union européenne, Travail de recherche de l'IMI, octobre 2007.

http://www.imi.ox.ac.uk/publications/pdfs/le-mythe-de-linvasion

- Rapport d'observation : Visa refusé, enquête sur les pratiques des consulats en matière de délivrance des visas, la **CIMADE**, 08 juillet 2010.

http://cimadeproduction.s3.amazonaws.com/documents/contents/2587/original/Rapport_VisaRefuse_PremierePartie_definitif.pdf

6- الرسائل الجامعية :

- Carnet Pauline, « *Passer et quitter la frontière, Les migrants africains « clandestins » à la frontière sud espagnole* », **Thèse de doctorat D'Anthropologie sociale,** *l'Université de* Toulouse *Le Mirail,* septembre *2011.* www.theses.fr/157816125

- Escoffier Claire, « *Communauté d'itinérance et savoir-circuler des transmigrant- e- s au Maghreb* », **doctorat de sociologie et science sociales**, Université de Toulouse 2, juin, 2006. www.theses.fr/2006TOU20016

- Guillemant Françoise, « Stratégies des femmes en migration : pratiques et pensées minoritaires repenser les marges au centre », **doctorat nouveau régime Sociologie et Sciences Sociales**, Université de Toulouse 2, 2007.
http://www.fflch.usp.br/ds/pos-graduacao/sites/trajetorias/txts/7h09%206%20decembre%20these%20derniere%20version%20.pdf

- Mendoza carbajal Myrian, « Actrices de l'ombre, La réappropriation identitaire des femmes latino américaines sans papiers », **Thèse de doctorat**, Faculté des Lettres à l'Université de Fribourg (Suisse), 2004. http://ethesis.unifr.ch/theses/downloads.php?file=CarbajalM.pdf

7- المقالات :

أ- الجرائد :

- Gaidi Mohamed Fawzi, « Depuis le début de l'année, plus de 300 harraga ont tenté le voyage de la mort », **El Watan**, le 01.09.12.
http://iflisen2008.over-blog.com/article-plus-de-300-harraga-ont-tente-le-voyage-de-la-mort-109649202.html

- Rajoy, « Trop d'immigration et le crime entraînant la marginalisation », **El pais**, 12 mai 2002. http://elpais.com/diario/2002/05/12/espana/1021154401_850215.html

- Yárnoz Carlos, « Bruxelles vise à créer UE-Maroc patrouilles conjointes pour contrôler l'illégale», **El pais**, 6 octobre 2002. http://elpais.com/diario/2002/10/06/internacional/1033855210_850215.html

ب- مواقع مختلفة :

- Boutlélis Rachid, « Hausse sensible de tentatives d'émigration clandestine : les harragas préfèrent le ramadhan ».
http://elharraga.wordpress.com/2012/08/16/hausse-sensible-de-tentatives-demigration-clandestine-les-harraga-preferent-le-ramadhan/

- Boutkhili khadidja, « L'impact de la mondialisation sur le marché du travail l », émigration des femmes dans les pays du Maghreb, 2003 , observatoire national du développement humains , mis en ligne 2011-05-19.
http://hdl.handle.net/123456789/31477

- Djafri Djadi Chaia, « Briser tous les tabous qui entourent la violence contre la femme », l'observatoire algérien de la femme.
http://weblog-dz.blogspot.com/2011/12/briser-tous-les-tabous-qui-entourent-la.html

- Société , « plus 7.000 femmes victimes de violences en 2011 », Algérie 1, *01/12/2011.*
http://www.algerie-plus.com/actualite/plus-7-000-femmes-ont-ete-victimes-de-violences-multiformes/

- Zerkak Sabrina, Mekhmoukh Sakina , « La question du chômage et de la promotion de l'emploi en Algérie ».
*www.iefpedia.com/.../La-question-du-**chômage**-et-de-la-promotion-de*-l'emploi-en Algérie

8-الحصص التلفزيونية :

- Deniau Grégoire, La traversée clandestine diffusée le 4 novembre 2004 dans Envoyé Spécial sur **France 2** .
http://www.dailymotion.com/video/x2a41z_traversee-clandestine_news

- Souig kamel, Harraga Entre Rêves et Réalité Algérie-Espagne 1er Partie, **La télévision Algérienne,** 2010.
http://www.youtube.com/watch?v=4FSjr2l_Pyc

- Harraga et Chibania, Mise en ligne le 5 mars 2010 par mousmous1987
http://www.youtube.com/watch?v=FFt8_X0Gajs

- L'émission "90' Enquêtes", Reportage arnaques et le business du cœur, **TMC** , diffuse mardi 06 septembre 2011 à 20 heures 40.
http://www.wat.tv/video/mariage-gris-4u4sp_4u4rr_.html

9- المسرح :

- Yabdri Mohamed, Harragas, **Daraja Théâtre**, Mise en ligne le 12 janv 2011.
http://www.youtube.com/watch?v=iLSeo6HEjFw

الـمـــلاحـــق

دلـيــل الـمـقـابـلـة

1- السن:

2- مكان الإقامة:

3- المستوى الدراسي:

ايتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐ آخر ☐

* في حالة أخرى حددي:

4- هل الوالدان على قيد الحياة ؟

الأب : الأم :

5- مهنة الأب : - مهنة الأم :

6- ما هو عدد أفراد العائلة ؟

7- ترتيبك في الأسرة :

8- الحالة المدنية : عزباء ☐ متزوجة ☐ مطلقة ☐ أرملة ☐

* في حالة زواج :

1.8- هل لديك أطفال و كم عددهم ؟

9- ما هي مهنتك ؟

10- ما هو سبب عدم إيجادك للعمل ؟

11- ما هي الأسباب التي دفعتك للحرقة (للهجرة السرية) ؟

12- أذكري المراحل التي مررت بها من أجل الحرقة ؟

13- هل تلقيت مساعدة من أشخاص (حدديهم) ؟ و في ماذا تتمثل هذه المساعدة ؟

14- هل كانت المساعدة مقابل مبلغ مالي؟ كم هو المبلغ ؟

15- من أين دفعت هذا المبلغ ؟

16- ما هو موقف عائلتك من خوضك مغامرة الحرقة ؟

17- في رأيك ، ما هي أسباب رفض المجتمع لخوض الأنثى للحرقة ؟ و لماذا؟

18- هل تعتقدين أن هذا الرفض له علاقة بمكانة المرأة كمطلقة أو عانسة أو أرملة ...؟ و لماذا؟

19- هل تشكل الحرقة خطر ما قد تتعرضين له؟ و لماذا ؟

20- هل تعرفين أشخاصا نجحوا في طريق الحرقة (حدديهم) ؟

21- هل كررت أو تريدين أن تكرري محاولة الحرقة ؟

22- هل تعتقدين أن الحرقة ستغير حياتك و حياة عائلتك ؟ و كيف ذلك ؟

23- إذا نجحت في الحرقة ، هل ستقومين بمساعدة عائلتك ؟

1.23- و في ماذا تتمثل هذه المساعدة ؟

24- هل تريدين إضافة شيء آخر إلى هذه الأسئلة ؟

1. Lutte contre la migration irrégulière

Protocoles de Palerme6 : ratifiés
Loi n°09-01 du 25 février 2009 modifiant le Code pénal

- 2 à 6 mois d'emprisonnement pour tout citoyen ou étranger résident quittant le territoire de manière frauduleuse ou clandestine.
- 3 à 5 ans d'emprisonnement pour trafic illicite de migrants (sortie du territoire), jusqu'à 20 ans si circonstances aggravantes.
- Pénalisation de la traite des personnes (3 à 10 ans d'emprisonnement, 300 000 à1 million de dinars ; jusqu'à 20 ans de prison si circonstances aggravantes).

Protocole visant à prévenir, réprimer et punir la traite des personnes, en particulier des femmes et des enfants, et Protocole contre le
trafic illicite de migrants par terre, mer et air, additionnels à la Convention des Nations Unies contre la criminalité transnationale organisée, 15 novembre 2000.

Loi n°08-11 : Infractions aux règles du séjour et du travail punies d'une amende

- 6 mois à 2 ans de prison et 10 000 à 30000 dinars d'amende pour entrée ou sortie irrégulières.

- 2 à 5 ans d'emprisonnement pour soustraction à une décision d'expulsion.

- 2 à 5 ans d'emprisonnement, 60 000 à 200 000 dinars pour facilitation directe ou indirecte de l'entrée, la circulation, le séjour ou la sortie d'un étranger de manière irrégulière. Peines accentuées en cas de circonstances aggravantes.

- 2 à 5 ans d'emprisonnement pour mariage de complaisance.

- Responsabilité du transporteur

2. **Cadre sociopolitique de l'Algérie**

Migration irrégulière

- Ministère de l'Intérieur
- Ministère de la Justice
- Ministère délégué à la Coopération régionale
- Gendarmerie nationale
- État-major de l'armée

3. Stratégie gouvernementale

- Améliorer le statut des émigrés et de leurs descendants (réforme de la loi de nationalité), assouplir les procédures consulaires, mettre en place des actions de proximités(ex. : création d'écoles algériennes)
- Mobiliser les compétences et les capitaux des Algériens de l'étranger en faveur du développement en Algérie
- Soutenir la participation des Algériens à l'étranger aux élections présidentielles et législatives

Migration irrégulière

- Contrôler l'entrée et la circulation des étrangers sur le territoire
- Renforcer les sanctions à l'encontre des personnes impliquées dans la migration irrégulière (passeurs, compagnie de transport, etc.)
- Lutter contre les réseaux mafieux et de contrebande
- Renforcer la coopération régionale en matière de contrôle des frontières

4. Action de la Société civile

Mobiliser les capitaux et les compétences des Algériens de l'étranger :

- ACA (Association des compétences algérienne)
- Association algérienne de transfert de technologie
- REAGE (Réseau des Algériens diplômés de Grandes écoles et des Universités françaises)
- Coopération universitaire scientifique et technique
- ANIMA (réseau méditerranéen pour l'investissement)

Migration irrégulière

Campagne de sensibilisation contre les dangers de la migration irrégulière(reportage et débats dans les médias, associations)

5. Défis

- Définir une politique cohérente en direction des Algériens de l'étranger afin de renforcer les liens économiques et culturels
- Répondre au défi que représente un taux de chômage élevé, en particulier les jeunes diplômés, et adapter les formations aux besoins du marché de l'emploi

Migration irrégulière

Définir une position commune aux Etats arabes et africains afin d'obtenir des concessions de l'UE en matière de circulation des personnes et d'aide au développement

6. Coopération internationale

- Projet de développement dans le cadre du programme MEDA

Migration irrégulière

- Membre du Dialogue 5 + 5
- Coopération avec l'UE et certains Etats membres de l'UE (France, Italie, Espagne) pour renforcer les capacités de l'administration judiciaire et de la gendarmerie ;
- Accord de rapatriement avec la France, l'Allemagne, l'Espagne, l'Italie, et le Royaume Uni.
- Coopération régionale pour le contrôle des frontières avec la Mauritanie, la Tunisie, le Niger, le Mali et la Libye, mais pas avec le Maroc
- Boycott de la Conférence Euro-Africaine de Rabat en 2006
- Refus de coopérer avec l'agence européenne Frontex, sauf ponctuellement depuis 2009
- Refus de créer des « camps de transit » pour les migrants irréguliers sur le territoire Algérien

/http://cear.es/index.php/que-hacemos/acogida

- Le **programme des abris d'urgence** ., visant à immigrants sont arrivés sur le territoire espagnol à travers coûts La réception a lieu à 7 délégations de CEAR, Alicante, Barcelone, Cullera, Madrid, Malaga, Séville et Valence, pour une période de 15 jour.

Ces jours, l'équipage du programme, dirige, informe, conseille ... sur la situation juridique et social dans lequel ils se trouvent. Presets un bref plan d'intégration possible dans les possibilités de votre situation le permet. Ils abordent facilite les contacts personnels que vous avez ici sur la péninsule.

http://www.hellas-hell.eu/12-claves/11-la-burocracia.html

XI - La bureaucratie

En raison du faible taux de réfugiés reconnus comme tels, en Grèce, il ya essentiellement deux documents réalisés par les migrants:

- Le **carton rouge** , ce qui leur permet de vivre à la maison tout en étudiant sa demande d'asile. Un document qui est valable pour six mois et peut être renouvelé.

- La **carte blanche** , une communication présentée à eux une fois arrêté et fonctionne comme ordre d'expulsion. Une fois que vous obtenez ce rôle est considéré que les migrants doivent quitter le pays dans un mois et sur leurs propres.

De nombreux migrants ont évité deux rôles. Ils vivent dans la clandestinité pour ne laisser aucune preuve de leur présence en Grèce, parce que si elles atteignent un autre pays européen pourrait être renvoyé sur la base du règlement Dublin II.

Evolution des voies de passages entre l'Afrique et l'Espagne

Les voies empruntées par tous les Africains :

- Le passage du détroit à bord de *pateras*, puis des embarcations en bois un peu
plus grandes, et enfin des zodiacs ; partant des côtes marocaines et algériennes
vers les côtes andalouses. Le prix oscillerait entre 1200 et 1500 euros.
- L'achat d'un visa.
- Les mariages pour les papiers. Les sommes varient entre 6000 et 10 000 euros.
- Le passage avec les papiers de quelqu'un d'autre, en général un membre de la
famille (Marocains et Subsahariens).
- Le visa à travers l'insertion dans un groupe d'artiste. (3000 euros pour les Marocains).
- La mise en vente des contrats saisonniers (7000 à 8000 euros pour les Marocains)
- Le passage en avion, qui inclut les faux papiers et parfois une ou plusieurs escales et donc les frais de séjour qui en dérivent. (7000 euros pour les Marocains ; 35000 euros pour les Nigérians).

Les voies empruntées majoritairement par les Maghrébins (essentiellement Marocains) :

- Le passage du détroit à bord d'un bateau de pêche, qui complète ses activités par
le transport de migrants.
- Le passage du détroit dans un véhicule, à bord d'un ferry en partance de Tanger
ou de Nador. Il peut se faire de différentes façons :
    - ➢ On se cache dans un camion. C'est gratuit si le chauffeur n'est pas au courant sinon, ça peut aller jusqu'à 4000 euros. Du fait de cette gratuité, cette voie semble particulièrement utilisée au Maroc, par les enfants qui partent sans le consentement de leurs parents.
    - o En voiture, en utilisant de fausses pièces d'identité ou en étant caché à l'intérieur. Le migrant est transporté jusqu'à la destination demandée (entre 6000 et 8000 euros).
    - ➢ En soudoyant les forces de police.
- Les employés des ferrys effectuant le trajet Maroc-Espagne, profitent souvent
d'un trajet pour rester.
- Connaître un pilote participant au trafic de haschich et qui embarque des migrants, sans le dire à son patron, afin de se faire de l'argent en plus.

On trouve d’autres modes de passages :
-On se cache dans des contenairs d’ordures, allant de Ceuta à Algeciras.
-La traversée du détroit sur un matelas de plage gonflable.
-La prospection sur des sites de rencontre comme My Space, pour se lier d’amitié avec des Européens et Européennes en vue d’obtenir une lettre d’invitation, à ajouter au dossier de demande de visa. (Marocains).

- la convention sur l'élimination de toutes les formes de discrimination à l'égard des femmes **1985.**
- la convention relative aux droits de l'enfant **1991.**
- le code de protection de l'enfant **1995.**
- la loi de **1998** et de **2003**, l'attribution d'un nom patronymique aux enfants abandonnés ou de filiation inconnue.

الملخص

ظاهرة الهجرة في المجتمع الجزائري تتميز بخلفية تاريخية، حيث تعرضت إلى العديد من التحولات كما أنها كانت مصدرا لتقدم متواصل نظرا لإمتدادها الجهوي و الإجتماعي أي انتشارها في معظم مناطق الوطن و اجتماعيا مست كل الفئات على اختلاف أنواعها جنسيا ، ثقافيا ، طبقيا. لقد عرفت الهجرة النسوية في الجزائر مراحل عديدة ، في بادئ الأمر كانت تتجسد في مجيء المرأة للبلدان المستقبلة في إطار التجمع العائلي، بصفتها إمرأة ماكثة في البيت و هذا التيار الهجري بدأ في السنوات السبعينات، و بعدها أخذ هذا التيار الهجري طابعا جديدا فقد إتسمت هذه الهجرة النسوية بالاستقلالية الاقتصادية و التي تتمثل في العازبات والمتزوجات ، فهنا تشارك المرأة في تشكل نظام جديد للحراك الإجتماعي و ذلك حسب المتطلبات الجديدة لسوق العمل و الذي يخضع لنظام العرض والطلب و برز هذا الحراك في أواخر سنوات الثمانينات. أما في السنوات الأخيرة نشهد إلتحاق فئة جديدة بظاهرة الهجرة السرية و هي الشابات ، فأردنا تسليط الضوء من خلال هذه الدراسة على أنثوية الهجرية السرية التي أصبحت واقعا مفروضا على المجتمع الجزائري.

الكلمات المفتاحية :

الهجرة الدولية؛ الهجرة النسوية الجزائرية؛ مشروع الهجرة؛ الهجرة السرية؛ الحراقات؛ الرقابة الإجتماعية؛ الرابطة الإجتماعية؛ المكانة الإجتماعية؛ المرأة؛ المجتمع الجزائري.

نوقشت يوم 10 أبريل 2014